

رواية

ياسين واليا

حسن ضد

الطبعة
الثانية



باسيکاليا

حسني محمد

باسيكاليا - رواية

انية مارس 2013

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2013/2719



insanfirst@gmail.com

01279296342-01119836110

-
ور شاهين متفرع من ش نوال

-
المعهد المصري الديمقراطي - 4

- القاهرة

تصميم الغلاف :

المدير العام : طارق عميرة

باسمك يا

حسني محمد



تنويه هام

يحتوي هذا العمل علي بعض المعلومات العلمية التي قد يشوبها بعض الأخطاء ، بعض أحداث هذه الرواية حدثت بالفعل ، و بعض أسماء الشخصيات الواردة بهذا العمل

"يخبط دماغه في الحيط"

حسني محمد

غرفة الحكايا

دار برأسى أنك طفلة صغيرة خائفة ،
تمنت ذات ليلة ان تختفى أمها
المتسلطة من الوجود ، وحين تحققت
أمنيتها فى الصباح طارت من الفرح
وظلت تلعب وتلهو حتى أتى الليل ،
وحينها لم تجد من يروى لها الحواديت
، ولم تجد من يُقبّل جبينها قبل النوم ...

(1)

...

روايتي الثانية ، حفل توقيعي الأول ، شعور بالفخر يغمرنني كلما قمت بتوقيع نسخة لأحدهم ، إحساس بالتميز ، شئ أشبه بذلك الشعور الذي كنت تشعر به في طفولتك حين

...

كنت أدرك جيدا ماذا يقول الزائرين في سرهم ، و كنت أقرأ ذلك في عيونهم ، أي كاتبة تلك التي تقرأ كتابها بهذا التركيز و متي ؟ أثناء حفل التوقيع ..

لكن الحقيقة أن كلمات الشاء التي تلقيتها بشأن كتابي السابق في هذا الحفل كانت كفيلة بإثارة فضولي الحالي ، هل هو أفضل من القديم أم أسوأ ؟ هل سيخيب أمل

لأسباب كهذه كان لابد لي من مراجعة كل كلمة كتبتها ، أعلم

الصغر كنت نموذجاً للطالبة التي يشرها قلق مرضي هستيري نحو إجابتها بعد انتهاء الإمتحان...

لكن الأمر هنا يختلف نوعاً ما ، فحين تتأمل في كتاباتك القديمة تتعجب من ذائك ، و تتسائل كيف استطعت كتابة شئ بهذا الإبداع ، حينها فقط تدرك أنك بحاجة لجلسة أمام المرآة تعيد فيها التعرف علي ذاتك من جديد...

لمحت بطرف عيني أحمد سامي قادما نحوي و في يده نسخة من كتابي ، ذلك الكاتب الشاب المهذب الذي يجبرك كل ما

الجميع يحترمه احترام غريب ، احترام ملئ بالحقد ، احترام ملئ
بالتقرب لأدني خطأ يصدر منه ، هذه ميزة أن
متوسط الإحترام ، تخطئ كبقية البشر...

-تقرأين كتابك ، ألا ترين في هذا نرجسية مبالغ فيها ؟

ابتسمت ابتسامه خفيفة محاولة إيجاد رد لما قاله...

أهتم كثيرا برأي

كنت أعلم أنه لا مفر من ذلك ، كالعاده سينتهي الحوار
باقتناعي بوجهة نظره فقط لأنه يريد أن يثبت لنفسه مدي
عمق آرائه و نظرته الفلسفية الحكيمة للحياة ، تلك الغريزة
التي لا أفهمها في بعض الأوغاد المزعجين ، فق
الناس بالمناقشة لصارت الحياة أجمل...

لأسباب كهذه قمت بتغيير الموضوع في هدوء كي لا تنفجر

-هل لديك أخبار عن طارق ؟

قلت مندهشة...

-حقا ؟ لم أعلم أن علاقتك به عميقة هكذا.

ابتسم ابتسامة باهتة ...

-ليس حقا إلي هذا الحد ، كاد يطردني بالأمس لأنه يكره أن يوقظه أحد لأي سبب أيا كانت أهميته.

-هانفه مغلق منذ ان انتهينا من تلك الرواية ، و كأنما كان ينتظر

-لا يتعلق الأمر بكِ حتما ، إنه يتعامل مع الجميع هكذا و دائما

قلت بينما انظر أمامي نظرة خاوية...

-لم يتصل حتي ليأخذ نغوده مني.

و طارق هو وغد مراهق في التاسعة عشر من عمره ، كان

معي تايبست علي روايتي الجديدة ، إنه متعدد المهارات إلي

...

في بداية عمله معي ظننته يتقمص شخصية د.هاوس لأنه يدمن مشاهدة حلقاته و يرفض بشدة أن يعمل في مواعيد تلك الحلقات ، لكنه ذات مرة أخبرني أن أول كلمة نطق بها في طفولته كانت سبة بذيئة وجهها لعتمته التي كان يكرهها لسبب

كرامته ، لذا ادركت من تلميحه هذا ان هذه طبيعته الفعلية ، و هاوس إلا تجسيدا لشخصيته و تدعيما لها ، و

هذا ما زاد الطين بلة...

...

في بينوس كافيه...

كان لدي شعور يقيني بأنني سأجده هناك ، لم يكن من هواة
الجلوس في المقاهي ، لكنني جعلته يعتاد علي ذلك حتي
صار يذهب بدوني أحيانا ، و"أ
لي تعمل في المقهي ...

هكذا حين لمحته جالسا توجهت نحوه متظاهرة بالغضب...

-هل تحاول

قال ساخرا في هدوء...

-نعم ، أحاول الاختباء منك في مكانك الأكثر تفضيلا علي
الإطلاق ، ذكاء بوليسي أليس كذلك ؟

وضعت حقيبتني علي المائدة و دعوت نفسي للجلوس قائلة...

-هاتفك مغلق منذ أيام ، لماذا ؟

-لا أريد محادثة أحد ، و نظرا لأنه لا أحد غيرك

تجاهلت كلماته متفحصة عيناه المنتفختين...

-كيف هذا ، لقد قال لي أحمد سامي أن...

قاطعني بنبرة حادة لغت انظار الجالسين...

- لا يمكنه التمييز بين من يريد النوم حقا و بين من يخبره بذلك كي يتخلص منه بطريقة ذوقية.

- ما الممتع في كونك وحيدا علي أية حال ؟ أتجد في هذا نوعا من التميز مثلا ؟

-ربما ، و ربما أحاول نسيان صوتك الذي صاحيني ثلاثة أشهر متوالية ، إن رؤيتك وحدها تصبيني بالصداع.

لم أعر لكلماته اهتماما و مددت يدي في حقيني قائلة...

-لقد اعتدت مجاملاتك الرقيقة علي كل حال ، خذ هذه نقودك.

ناولته طرفا سميكا قام بفتحه سريعا و شرع يعد النقود أمامي

...

-تساعد في اعداد عمل ما لثلاثة أشهر متواصلة ، ولا يثيرك ن النتيجة النهائية ، الثمرة في أوج نضجها.

رد بينما يبلل سبابته بلسانه...

-في الغالب لا أعمل إلا لأجل إنهاء الآمي الراهنة ، أنعجب من الذين يعملون سعيا نحو أهداف بعينها ، من أين لهم بالبال الرائق لفعل شئ كهذا.

أمسك إحدي الوريقات النقدية ثم ألقاها أمامي قائلا...

-هذه الورقة مهنرئة ، أريد غيرها.

...

- هل تحاول إفساد يومي بشكل ما ؟ لماذا لا تدعمني نفسيا
عندما أكون سعيدة ؟

قال بينما يستأنف العد...

- لا أحب أن أراك سعيدة ، هذا كل مافي الأمر.

ظارة كاليهود رفع عينه نحوي مستمرا في العد

...

- لا أحد يكره أن يكون سعيدا ، و لكن ما يسعدني قد لا يسعدك.

دس النقود في جيبه قائلا...

- منذ أيام كنت مكتئبة و تعيسة ، كان الحزن يضي علي
تصرفاتك نوعا من العقلانية ، أنظري إلي
كطفلة في الملاهي فقط لأن كتابك السخيف حاز علي إعجاب
بعض المراهقين و المتصابين.

رفعت عيني نحوه في ذهول قائلة...

ليحصل علي أجره كاملا في

النهاية.

التزمت الصمت لثوان احاول فيها استجماع شتات أفكاري ، إن
فكرة الجلوس مع طارق تشبه إلي حد كبير فكرة اصطدامك

بأحدهم و بعثرة أشياءك في كل اتجاه ، كل جلسة مع طارق هي صدمة أشد من سابقتها...

-كنت تعلم أنني أعلم أنني سأجرك هنا لأعطي

...

-بإمكانك وضع السيناريو المناسب ، ما يهم هو أنني حصلت

لم أجد ردا يليق ، رغم أنها ليست المرة الأولى التي يعاملني فيها هكذا ، لكنني برغم كل شيء حاولت الحفاظ علي هدوء أعصابي مكتفية بتأمله في صمت بارد ثم قلت...

...

-النهاية ، لكي لا أضطر للإصغاء لكلماتك عن كم أن الحقيقة مرة ، لسبب ما تعشق النساء لعب دور المنخدعات في الجميع.

رددت بينما أتصفح قائمة المقف...

-هذا لا ينبغي كونهن منخدعات بالفعل.

قال بينما يرتدي معطفه متأهبا للمغادرة...

-نعم ، لكن كما يقول الأمريكيون "الأمر السيئة تحدث" ، و هذا مذهب تفتقر أغلب النساء إلي اعتناقه.

تجاهلت كلماته و قلت...

-
-
-
فاهي لثوان ثم ارتدت نظرتي نحو القائمة في استسلام
...
-

(2)

بعد أيام قلائل انتهى المرح...

و ذات يوم أدركت أن الروتين اليومي قد عاد كما كان ، لم تتغير حياتي جذريا كما كنت أتوقع ، و علي مكتبي بشركة التي أعمل بها كنت أتظاهر أمام نفسي و الآخرين بالنشاط و السعادة ، لكن من داخلي كنت أقرب لطفلة بانسة ذهبت للمدرسة بعد انتهاء آخر أيام العيد ، هل كنت اعتصر عقلي لثلاثة أشهر متواصلة من أجل بضعة أيام من السعادة ؟ هذا غير عادل علي الإطلاق ، أريد المزيد من الإهتمام ، أريد المزيد

...

لماذا أشعر أنني مشيت في حلقة مفرغة عائدة لنقطة البداية ؟ كأنني أعشق الإكتئاب و أحد فيه ذاتي ، أو ربما أحب أن أرثي

...

طبعاً من تحصيل القول أن أقول أنني تمنيت في تلك اللحظة لو أمامي لأصرخ في وجهه قائلة : هل استرحت الآن ؟

بعد قليل جائتني المكالمة التي كنت أعلم بقدمها ، و دائما أعلم بقدمها...

- طيلة حياتي كنت امرأة تعشق النظام ، حتي...

- نعم حتي افسدت أنا تنظيماتك بشأني.

-ولا أنا أريد الشجار ، فقط أريد أن نغلق هذا الموضوع ، فقط لنري إلي أين ستذهب بنا الأيام ، أنا أو من أن بانتظاري الكثير لأراه ، أوقات سعادة و أوقات عصيبة ، و لكن وحدي ، يجب أن أواجه كل هذا وحدي.

-أتألم أكثر كلما أشعر بتلك المسافة التي تفصل بيننا.

-أمي لا أذكر كم تريليون مرة تحدثنا في هذا الشأن لكنني مازلت مصرة علي خوض تجربة الإستقلال بحياتي ، أنا علي مشارف الثلاثين ، لم أعد تلك الطفلة ذات الضفائر.

-علي كل حال لا داع للخوض في هذا الحديث الآن ، فقط تهنتك علي كتابك الجديد.

-كان الأمر ليكون أحمل بوجودك حينها.

-ليس و في داخلك هذه الأفكار بشأني.

-أخذت نفسا عميقا متمنية انتهاء هذه المكالمة سريعا...

-أمي ، مازلت لم تفهميني جيدا ، يجدر بنا التحدث سويا عما

-بيتي مازال بيتك ، انا بانتظارك دائما.

نهيت المكالمة بينما التقط أنفاسي ، قد يراني الجميع قاسية في ردة فعلي معها ، لكن الحقيقة أن أمي لم تكن بهذا الحنان يوما ، نعم هذه هي الحقيقة ، ليست أمي من ذلك النوع من الأمهات التي يمكنك تقبيل يدها دون الشعور بغصة في حلقك

...

ملابسها الأنيقة و اهتمامها الزائد بذاتها و عملها ، تسلطها
الزائد عن الحد و الذي كان سببا رئيسيا في ابتعادي عنها ، لا بد
أنك تفهمني...

صحيح أنني أعاني الآن في وحدتي ، لكن الأمر يستحق العناء
، أعلم أنني يوما سأجد علاقة حقيقية ، لن أكون مغفلة
هي آخر علاقة...

ابتسمت رغما عني حين ذكرني هذا بحوار دار بيني و بين
طارق منذ حوالي شهرين، حين بدأت الرسميات بيننا في
الزوال تدريجيا...

- لا أفهم كيف تركتك امك حتي الآن دون زواج.

- أمي لم تقلق يوما من فكرة عدم زواجي ، هي ليست ضمن
ذلك الطراز من الأمهات ، إنها...إستثنائية نوعا ما.

نظر لي في عدم فهم فأدركت أنني بحاجة للشرح...

-أمي تري أن سحر المرأة يكمن في ذاتها لا في نظرة رجل
نحوها ، تعتبر الرجال مخلوقات ثانوية في حياتها ، و أن الزواج
ليس أكثر من خيار بديل تلجأ له الأنثي وقت الضرورة فحسب.

-لقد قمت بالإستقلال بحياتك ، لا بد إذن أن لديك اتجاهات

-تقصد حياتي العاطفية ؟

- نعم ، أي طراز تفضلين من الرجال ؟

فكرت قليلا ثم تداركت نفسي قائلة...

- إسمع ، انا لست بحاجة لمزيد من التعليقات السخيفة كما

- حسنا ، إتجاهاتي العاطفية تشبه إلي حد كبير ما أقوم بكتابته

لم يقل شيئا ، فقط قام بهز رأسه متظاهرا بالإقتناع ، الامر الذي جعلني أتساءل عن نظرته الحالية نحو...

- رف نظرتك هذه حين تنظر للأمور باستخفاف ، حتما تراني

-ربما ، لكن المغفلين يجدون بعضهم بسهولة.

نظرت له في عدم فهم فأكمل قائلا بطريقة مسرحية...

-عزيزتي المغفلة ، من السيئ أن يكون الفرد منا مغفل ، لكن الأسوأ أن يكون المغفل الوحيد ، و حتما ذات يوم ست المغفل الذي يؤمن بكل هذا الكلام الفارغ الذي تؤمنين به ، إنها إحدى سنن الحياة.

هنا اتسعت ابتسامتي جراء كلماته ، إذ أنه بالنسبة لما ألقاه دائما من وقاحة هذا الفتى يمكنني اعتبار كلامه هذا شئ من

...

بعد حوالي ساعتين جائي أحد أفراد الأمن بالشركة بمصيبة

...

-أستاذة سمر ، هذه الفتاة معها ورقة تقول انها تريدك في أمر عاجل ، هل تعرفينها ؟

ملابس متسخة بالية ، حقيبة نسائية من الواضح أنها كانت فاخرة ذات يوم ، لم أتول هذا النوع من القضايا من قبل لكن بعض القضايا لا تحتاج خبرة كي تدركها بدقة ، بل ولا تحتاج محاميا من الأساس لإدراكها من النظرة الأولى ، هذه قضية

...

تقدمت الفتاة نحو مكثبي في حذر و أخرجت من حقيبتها
يض ألقته أمامي...

هكذا تناولت المطروف لأفتحه بينما لمحت بطرف عيني بعض الموظفين يراقبون الموقف من خارج المكتب ، ولا ألومهم علي

...

...

نظرا لطبيعة مهنتك ، فإنني أعلم يقينا كنه الأفكار التي تراودك الآن بشأن تلك الفتاة ، ناهينا عن كنه الأفكار السوداء التي

ستراودك حتما حين تقرأين تلك الرسالة ، لكن دعيني أؤكد لكِ

...

منذ فترة قصيرة ،

مسالمة للغاية ، بل هي الاستسلام يمشي علي قدمين ، لا تتكلم أبدا لكنها سريعة الفهم ، لا تريد شيئا سوي مكان يأويها ، أعتقد أنني لست بحاجة لقول المزيد لأنكِ ستقبلين هذا و أنا أعلم ذلك جيدا ، كما أنني لست بحاجة لإبداء أسباب لأنكِ ستقبلين هذا و أنا أعلم ذلك جيدا ، ولا تحاولي مفاوضتي في هذا الشأن لأنكِ ستقبلين هذا و أنا أعلم ذلك جيدا...

...

ربما لأسباب كهذه لا أصلح لمهنة إلا المحاماة ، لأنها تسير دائما وفقا للقانون و التشريعات ، هكذا أجد طريقا محددًا أمامي كي اسير فيه دون الحاجة للمجازفة أو اتخاذ قرارات حمقاء...

بذلك الأحمق بينما عيناى لا تفارق تلك الفتاة التي انكمشت في زاوية الصالة ، هل تخاف من الأماكن المتسعة ؟

(أنت تتصل في وقت غير مناسب حقا ، لذا إن لم يكن لديك ما تفعله سوي الإتصال بالآخرين في أوقات غير مناسبة ، أترك

(

ذات الرسالة السخيفة لبريده الصوتي...

ألقيت الهاتف علي المقعد المجاور في عصبية فارتعشت الفتاة

...

هزت رأسها نغيا بذات الخوف و الحذر...

-لا ، أعني حقا هل أنت جائعة ؟

...

-حسنا إسمعيني جيدا ، لا أعلم كنه المع
تلاقينها في العمل لدي طارق ، لكنني لست طارق ، لست
طارق علي الإطلاق بل و أختلف عنه بشكل جذري ، لذا سأعيد
الآن سؤالي للمرة الأخيرة ، هل أنت جائعة ؟

ذات الإصرار علي الرفض ، ذات تعابير الخوف و الهلع...

المسكينة...

(3)

في اليوم التالي اتخذت قراري بالذهاب لطارق في منزله ،
طالما أنه يتهرب من مواجهتي...

أكثر ، كانت الفتاة مازالت نائمة في الصالة في نفس موضعها ،
هكذا أوصدت باب الشقة خلفي بالمفتاح مرتين ، لست من
النوع الذي يثق بالآخرين سريعا لمجرد أن حالتهم مزرية و
ملابسهم متسخة بعض الشيء...

و في الطريق حاولت جاهدة تذكر عنوان طارق في بولاق

...

كنت أعلم أنه يعيش وحيدا في منزل من خمس طوا
أبيه ، و حين انتقلت عائلته بالكامل إلي الإسكندرية ظل هو
في القاهرة بحجة إنهاء دراسته في جامعة حلوان ، لكنه
صارحني ذات مرة أنه ليس مولعا للغاية بالتردد علي الجامعة
أو حضور المحاضرات ، و أنه لم يتخذ قراره بالبقاء في القاهرة

()

يسمعه ليلا من أصوات غامضة تصدر من الأدوار العلوية...

- أصوات حركة غير مبالية ، و كأن صاحب تلك الأصوات لا يهتم
كثيرا بإثارة رعبي بل هو يتحرك بصورة طبيعية كما يتحرك داخل

- هذا غريب .

- أن البيت مسكون ، لأنه ظل مهجورا لفترة

العليا بين الحين و الآخر ، تأتي مغادرة البيت منذ أن سكنا به ، راودتنا أحلام كثيرة مشتركة بشأنهم ، حاولنا أكثر من مرة التخلص منهم بأكثر من طريقة ، فعلنا كل ما فينا حتي أننا تدريجيا بدأنا نعتاد فكرة وجودهم ، بل و صرنا نضع لهم طعاما أمام باب الشقة ، هم لا يؤذونا علي كل حال لكن فكرة وجود هذه الكيانات بالبيت كانت مسألة تؤرقنا لفترة .

-أها أفهم قصدك ، و لماذا لم يفكر أبيك بتأجير الشقق ؟

-نحن عائلة انعزالية بطبع

بين أدوار المنزل ، حين تصورنا وجود شخص غريب يصعد و يهبط بالبيت شعرنا بصعوبة الأمر ، و شعرنا أن رفاقنا من الجن

-حسنا و الآن ذهبت العائلة ، ما الضرر إذن في أن ...

...

-هل تعلمين ؟ تلك الأصوات لم تكن موجودة حين كانت عائلتي

لوجود صحبة آدمية كان يصم آذاني عن تلك الأصوات ، ربما لسبب كهذا مازلت أحتفظ بريابطة جأشي حتي الآن ، أعني أنه ربما الوضع لم يتغير من الأساس لكن الأمر يتعلق بحواسي كثر رهافة بعد أن غادر الجميع .

تهيئة نفسي للصراخ في وجه طارق بأعنف ما أستطيع...

مئزة ، لا تختلف كثيرا عن رأس طارق لكنها في
النهاية ليست رأسه التي أعرفها ، كنت أعلم أنني أخطأت

...

-أسفة للغاية ، هل تعرف هنا من يدعي طارق ؟ طارق حسين.
أشار بيده نحو بناية مجاورة علي الصف الآخر قائلا في

...

-هذه البناية ، الدور الأرضي.

...

الزهايمر أو ما هو أسوأ ، كانت لا تمت بصلة للبناية النصف
مهجورة التي في ذاكرتي...

رغما عني دلفت لداخل البناية شاعرة بإهانة لا أستحقها ، و
لسبب كهذا لم انتظر رؤية طارق كي اخرج غضبي بل أخرجه
علي الباب الخشبي بقوة ، و حين فتح الباب لم استطع

...

كان وجهه شاحبا لونه أزرق ، و عينيه منتفخين مع سواد بالغ
كأنه أسوأ حالة إدمان ممكنة ، و برغم ذلك ابتسم في وهن
حينما رأني...

-

- ليتني أعرف ، ليتني أعرف .

عاد للداخل مرددا ذات العبارة بينما دعوت نفسي للدخول
شاعرة برائحة المصائب تملأ الجو ، أعرف الخطر جيدا حين
يقترّب ، أنا أرنبة جبانة و ردود فعلي هستيرية للغاية ...

كان المكان صغيرا للغاية ، حسبما اظن لا يزيد عن كونه غرفة
ما أثار توجسي و اشمئزاري هو تلك
() المركونة في أحد الزوايا و كأنها ديكور أو تحفة فنية ،
ناهيك عن أعقاب السجائر التي تغترش أرضية المكان ...

هكذا لم يتصرف طارق تماما علي نحو يشير لوجود ضيف
برفقته ، بل رقد علي سرير صغير و التحف بغطاء قانلا ...

- حماسة هو صاحب هذا المكان ، لذا لا داعي للتساؤل .

قلت بينما أصنع تشبيها ما فوق رأسي ...

-حماسة ؟ هل ذلك الذي في منزلك

-نعم ، هو ذلك المنكوش ، إنه جاري و بمثابة ال.....الغفير
المستقبلي لهذا الشارع .

-نعم و هذا سبب مقنع لتبادلوا المنازل سويا .

- ي أن تغيير المكان ربما يساعدني قليلا .

-هل تري علامة استفهام ضخمة فوق رأسي ؟

أخذ نفسا عميقا و قال في نغاد صبر ...

- إذا أردتِ تركِ الفتاة و إلقائها في الشارع فالأمر لا يهمني ، لقد
صارت قيد مسؤوليتك منذ أن أرسلتها إليك و لن أشعر بتأنيب
الضمير بعد الآن .

- ر من يتحدث عن الضمير ، لكنني لا أتحدث عن الفتاة
علي كل حال ، بل أريد أن أفهم ما الذي يجري ، ما الذي جعلك
هكذا ، هل تتعاطي شيئا و تخشي مصارحتي ؟

...

- لحظة واحدة ، لم تخش يوما مصارحتي بعيوبك بل تتفخر بها

لم تتغير نظرته الصامته و إن كانت اكنسيت مزيدا من الحدة و
الكراهية...

- هناك مالا تريد مصارحتي به لأنك تخشي أن تتغير نظرتي لك

مرة أخرى لا أحد منه أي رد فعل سوي نظرة الكراهية ، و هذا و

أعرفك بالأمس يا طارق ، أنا أتذكر كلماتك كلها...

في بينوس كافيه...

- لا أعرف ، ربما تظنني أستمتع بكوني وغدا...
بالفعل و لكن ليس بكل الأوقات ، هناك تلك المواقف التي أكون
فيها مضطرا لاتخاذ قرار بشأن أحدهم أو إحداهن ، و أكون

مضطرا أن أراعي مشاعره و أحافظ علي علاقتي به ، كل هذا
يشعرنني بالضعف ، بأنني مقيد.

ينظر للأسفل بنظرة تائهة ثم يستعيد نظرتة الواثقة سريعا و

...

-لسيب كهذا تكون حلولي دائما جذرية ، العلاقات البشرية

-لكنك تجلس معي الآن و بيننا علاقة عمل.

...

-توجد بيننا علاقة عمل ، لأنني بحاجة ماسة للنقود.

لحظات من الصمت طالت بيننا قبل أن يطرق حماسة الباب ،

شخص ودود رغم هيئته المرية...

-كنت أعرف أنه لن يقدم لك شيئا كعادته مع الجميع ، لهذا

قلت بينما اتها للمغادرة...

-

...

-فيما بعد سنستكمل حديثنا.

عندما عدت لمنزلي ليلا ظننت أنني أخطأت بعنوان شقتي ذاتها...

في غير مكانه ، أعني أنه كان في غير مكانه الذي وضعته فيه لكنني شعرت أنه صار في المكان الذي كان لابد أن يوضع فيه منذ البداية...

مرت بخاطري أفكار عابرة بلهاء كالعادة عن لص يعمل مهندس

منها دائما ، و كل هذا الفتاة و أدرك حقيقة الوضع بصعوبة ، من الواضح أن الفتاة لا تضيع وقتا ، إنها تعتبر أي شقة هي ميدان عمل لها ، و لكن كيف لها أن تصنع كل هذا في يوم واحد ؟ لا يبدو عليها كل ذلك

...

بحثت عنها في في كل أنحاء الشقة حتي أدركت أنها نائمة في ذات المكان الأول بنفس الزاوية بالصالون ، كان يبدو أنها منهكة و لم تأكل شيئا ثانية ، و هنا لم استطع الانتظار حتي تستيقظ ، قمت بهزها عدة مرات كي أوقظها ، و أدركت أنني لا أعرف حتي ما اسمها...

شيئا فشيئا بدأت في فتح عينيها و حاولت التحدث معها...

-

لم ترد كالعادة ، ظلت ناظرة نحوي بعيون ناعسة و كأنما ترحوني أن أتركها و شأنها...

-هل تستطيعين الكتابة ؟

كنت أعلم أنها لن ترد لكنني كنت احاول التواصل معها بأي شكل كان ، هكذا أغمضت عيونها ثانية و غابت في نوم عميق...

ذهبت نحو المطبخ و أخرجت من الـ

...

أخذت الطعام و ذهبت لأوقظها ثانية ، كان من الواضح أنها أكثر انزعاجا هذه المرة ، لكنني كنت أدس الطعام في فمها دسا حين أخلد للنوم دون عشاء...

ظللت علي هذا الوضع لدقائق حتي رفعت يدها في همهمة غير مفهومة و كأنها ترجوني أن أتوقف...

هكذا قررت تركها لتنام ، عالمة بأنني-فيما بعد- الكافي للتفكير باتخاذ موقف عقلائي بشأنها ، لا أريد أن تندفع مشاعري بهذه السرعة كما ...

(4)

...

قضية طلاق ، و أنا لا أكره في حياتي شيئا أكثر من قضايا الطلاق ، و أحيانا أشعر أن المدير يتعمد توكيلي في قضايا الطلاق علي الأخص ليخلصني من تلك المشكلة بمواجهتها

...

لكن الحقيقة أن مشكلتي في طبيعتها سيكولوجية و ليست مهنية ، و الدليل علي ذلك أنني في الغالب لا أجد مشكلة في إنهاء القضية لصالح موكلي ، في الواقع أنا ماهرة للغاية في التعامل بالقانون و التشريعات ، لأنها كما قلت ترسم لي طريقا

...

و أثناء خروجي من القاعة رن هاتفي ، و كان طارق المتصل...

-هل تعلم أن هذه المرة الأولى التي تتصل بي فيها منذ لقائنا ؟

-أعلم ، لقد أكتسبت عادات سيئة مؤخرا.

-

-أنا في بينوس كافي ، هل لديك بعض الوقت للتحدث؟

...

و في بينوس كافي

التي يرتديها لإخفاء السواد أسفل عينيه ، و حينما يتحمس

طارق لشيئ فإنه يستعين بيديه دائما في شرح الأمر ، و احيانا يطرق بها علي الطاولة بعنف حتي تشعر أنه ليكاد يقرب قلب

...

-هل تعلمين ما هي مشكلتي ؟ أنني قمت بالتركيز علي الأحداث كما يفعل الجميع ، قمت بالتركيز عل الأحداث فقط و اهتمت بها أكثر مما كان لابد لي من التركيز علي القوانين المسببة لها ، و أكثر مما كان لابد لي من التركيز علي الديناميكية التي تعمل الأحداث وفقا لها ، أنا أفقد أسلوبني السابق في التفكير هناك ما يشوش ذهني.

لم أجد ردا لأنني لم أفهم شيئا بطبيعة الحال ، لهذا استكمل كلماته منزعجا من جلوسه مع جاهلة حمقاء مثلي...

-ما أريد قوله هو أن البحث في كيفية عمل ديناميكية الحياة مجريات الحياة ذاتها.

...

-و تلك الأحداث هي...

فتح فمه ليقول شيئا ثم أغلقه ثانية و قال...

-هذا هو ما لا يمكنني البوح به.

-طارق أنت تثير قلقي بشأنك حقا.

-لا ، أنا أثير فضولك فحسب.

-هل تقول أنني لا أهتم لأمرك ؟

صمت قليلا ثم قال...

-لا ، أنت تهتمين لأمرى ، و لكن من تلك الزاوية التي تجعل شخصا ما يهتم لرؤية كسوف الشمس ، دائما شذوذ الظواهر الثابتة من شأنه أن يجذب اهتمام أي شخص طبيعي.

نمطيته جعلت منه شيئا مسلم به لدي جميع من يعرفونه
هذا شئ يزعجه...

-حسنا ، أنت محق ، لماذا جلبتني إلي هنا إذن بينما تعلم أنني

...

-لأنني لا أريد أن أدفع خمسون جنيها في الساعة لطبيب نفسي كل ما يفعله هو الاستماع لي كما تفعلين الآن.

تناولت قائمة المقهي قائلة...

- قع سببا أكثر أهمية.

تجاهل كلماتي قائلا...

-تفتحين قائمة المقهي لأنك غاضبة ، هذا ما تفعلينه دائما.

-حسنا ، من الواضح أنك بدأت تستعيد أسلوبك السابق في التفكير.

-إذن هل بإمكانك التنبؤ بما سأطلبه من القائمة الآن ؟

-ذلك الشئ الذي تطلبينه دائما ، ذو الرغبة الكثيفة علي الوجه

- اسمه موكا فرابتشينو.

- سادت لحظات من الصمت ظل فيها طارق محدقا نحو المائدة...

- مشكلتك ، فعليك أن تدرك أنني أيضا لا يثيرني الفضول بشأن
التي سببت مشكلتك ، و لكن يثيرني الفضول بشأن
ذلك الخطأ الذي وقعت فيه ، ذلك الخطأ الذي تسبب في كسر
نمطيتك ، أريد أن أعرف لماذا انكسفت الشمس.

- نظر لي بتشكك من أسفل نظارته و قال بينما يقرض أظافره...

- إذن لا تهتمين للأحداث ؟

- فقط قوانين.

- ساكنة للغاية ، لا تنشط إلا حين أخرج من البيت ، و حينما
أعود أجدها نائمة.

- قال بينما يعبث في أصابعه...

- إذن لم تتغير كثيرا.

-
مهما حدث.

-
يمكنني فهم الأمر من خلاله.

سادت الصمت بيننا لثوان قبل أن يقول في هدوء متعقل ، و
هذا شئ نادر بالمناسبة...

-
ني منذ فترة ، ليست أحلام علي وجه
التحديد ، بل هي أحلام تتظاهر بأنها ذكريات أو ذكريات تتظاهر
بأنها أحلام ، و أتعشم أن تكون الأولي.

أنه قد اكتفي بتلك الجملة التي لم استشف منه شئنا مفيدا
...

-
تفهمين ما أعنيه ، لا بد أن تكوني أنا.

-
نعم ، شئ كهذا.

-
هل يتعلق الأمر بالفتاة الخادمة ؟

هنا نظر نحوي فجأة ، هذه هي المرة الأولي التي أشعر فيها

بأعماقه السحيقة ، إن التحدث مع ذلك الشاب يشبه محاولة

استخراج البترول من مركز الأرض ذاته ، هذا لو كان مركز

...

-يتعلق بها...بشكل غير مباشر.

- زير ، لكن كلماتك هذه لا
تساعدني حقا ولا تحوي تلميحا علي الأقل.

- في حياتي ، هل تعرفين شيئا عن الإرتباطات الشرطية ؟

-تقصد أنها تذكرك بذكريات سيئة.

-مشكلتها أنني لا أذكر متي و كيف حدثت لي ، لكنني أعلم
أنها حدثت لي ذات يوم.

لم أفهم شيئا و هذا دفعه لاستكمال حديثه...

-أعني أنها حدثت لي و لكنني لم اكن في وعيي ، بل كنت
شخصا آخر حينها.

هنا فغرت فاهي كما لم أفعل من قبل ثم قلت...

-حسنا ، الآن أفهم ما قلته عن كم أن الأمر معقد.

هنا خلع نظارته السوداء و القاها علي الطاولة ليدفن رأسه
بين كفيه في احباط...

-طارق ، أنت بحاجة للنوم حتي يمكنك التفكير بالأمر ، ربما غدا
نتقابل ثانية و نبحث الأمر من بدايته.

قال بصوت مكتوم بينما لا يزال دافنا رأسه بين كفيه...

-الأمر ليس بهذه البساطة.

-طارق ، كل منا لديه سره الكبير ، ربما لا أعلم ما هو سرّك هذا

.....

طرق الطاولة بعنف قبل أن يصرخ في وجهي بصوت لفت أنظار
الجالسين بالمقهى...

- مصاب باضطراب تعدد الشخصية

لم اجد ردا من دهشتي فنظر نحوي بعينه المظلمتين قائلا
بصوت خفيض أقرب إلي البكاء...

- هذا هو سري الكبير ، يا أنسة سمر.

في المساء عدت لمنزلي منهكة...

أنها قامت بغسل الصحون و الملابس ثم عادت هاربة لأحلامها ،
هكذا قمت بإيقاظها ثانية من أجل إطعامها ، لا أفهم ألا تشعر
تلك الفتاة بالجوع أم تحاول قتل نفسها...

بعد ذلك تركت الفتاة تعود للنوم و أعددت لنفسني بعض القهوة
، كان لا بد لي من لحظة استجمع فيها شتات أفكاري ، إذ أنني
كنت في قمة الهدوء و الاستقرار قبل أن أستقل بحياتي بعيد
عن أمي ، و لهذا تصبح أقل المثيرات الاجتماعية لمن هي
مثلي شيئا ضخما يصعب تحمله ، لكن هذا يضفي لحياتي نوعا
من الإثارة علي أي حال ، أنا أكره الروتين...

كنت جالسة في غرفتي علي طرف الفراش بينما باب الغرفة مفتوحا أمامي ، كان عقلي مجهدا و كنت أحاول بصعوبة اداة أحداث اليوم رغم قربها ، لم اكن مندهشة مما قاله طارق عن كونه مريضا نفسيا بل أعطاني هذا تفسيراً منطقياً

يزعجني أنني لا أرى سبباً يدعو للتكتم علي مرضه بهذه الشدة ، و هذا ما دعاني للشك بما وراء أقواله و ليس بما قاله ، أنا علي يقين بأن هناك الكثير مما لا أعلمه عن طارق...

ظللت أتأمل في هيئة الفتاة النائمة بالصالة ، أحاول ان أضع نفسي مكان طارق كي أرى ما سوف توحى لي به هيئة الفتاة ، و كالعادة تقوم عاطفتي بإجهاض كل محاولة فلا أرى من

...

ربما كان طارق محقاً فيما قاله مسبقاً عن مدى الاختلاف بيننا...

- طارق ، بصفتك تمثل لي عينة من القراء الذين سيقراؤن

- هل تريد أن تخبرني أنك حتي هذه السن لم تختبر مشاعرك

- لم أقل هذا تحديداً ، لكن الأمر أكثر تعقيداً ، أكثر النساء يفرطون في استخدام الجانب العاطفي بداخلهن ، بينما أنا

ولا أحب أن أترك نفسي للوقوع تحت تأثير الانفعالات سواء

كانت حزن أو فرح أو حب أو غير هذا ، أنا رجل منظم في انفعالاتي ولا أحب أن أبدو ضعيفا أمام نفسي.

استغرقت بضع ثوان كي اعيد صياغة مصطلحاته السيكلوجية إلي شئ مفهوم ، مشكلة هذا الفتى أنه مولع

...

-هل تقول أن الجانب الإنفعالي هو نقطة ضعف داخل كل منا ؟ الحزن و الفرح و العشق و كل تلك الأمور الإنسانية ؟

...

-أعلم ما ستقولين ، أنا وغد ، و حين أتحدث عن العشق من الناحية السيكلوجية فإنني أحر

شئ ، لكن هذا لا ينفي حقيقة انه يندرج ضمن قائمة طويلة من التعبيرات الإنفعالية ، شأنه شأن الخوف و القلق الفرح و

الجانب الإنفعالي فلا تختلف خصائصه كثيرا عن باقي انفعالاتنا الهوجاء

بصابونة زلقة يصعب الإمساك بها ، و مهما أحببت و تم خداعك ستظلين بذات الحمافة منتشية بتأثير العشق حتي الثمالة.

أفقت من خواطري حينما لفت انتباهي شئ ما بحوزة الفتاة دائما ، تحتضنه بقوة و كأنه طفلها الوحيد ، شئ ل بالإطلاع عليه قط ، تلك الحقيبة الجلدية التي تبدو و كأنها كانت

...

في البداية اتهمت نفسي بالوقاحة كوني أفكر في التجسس علي فتاة مسكينة لا منزل لها ولا مأوي ، لكن فضولي أحيانا يتجاوز بعض الأخلاقيات...

هكذا تسللت بخفة من جانب الفتاة و سحبت الحقيبة من جانبها و عدت لغرفتي ، و ليثني لم أفعل...

(5)

...

() هاتفه مفتوحا ذلك اليوم...

-
المسافة بعد منتصف الليل من أجل أمر تافه.
تجاهلت كلماته و قلت مشيرة للفتاة النائمة...
- طارق ، ماهي أقصي معلوماتك عن تلك الفتاة.
فتح فمه ليقول شيئا لكنني قاطعته قائلة...

-
هرش ذقنه متأملا إياها و قال...

-حسنا ، كل ما أعرفه عنها أنها فتاة مسكينة لا منزل لها ولا

-كيف وجدتها ؟

-كانت تتسول في منطقتنا منذ فترة ، تعلمين تلك الوجوه

مددت يدي نحو الصور التي عثرت عليها داخل الحقيبة و
اعطيها له منتظرة رد فعله...

-مستحيل.

كانت هذه المرة الأولى التي أراه فيها مندهشا

علم له بحقيقة الفتاة...

-هل أنت مستوعب للآمر ؟ قد تكون تلك الفتاة هاربة من أهلها
و يبحثون عنها الآن.

قال بينما يتأمل إحدى الصور العائلية...

-هناك خطأ ما في كل هذا ، هل ترين التاريخ المطبوع

لم أفهم ما يقصده في البداية ، لكنني حين تأملت أدركت ما
يقصده ، كانت الفتاة تتحدث ، كانت لها عائلة ، كانت لها حياة
رائعة ، الصور تقول هذا ، و التاريخ المطبوع خلف إحدى الصور
يقول ماهو أكثر ، تلك الفتاة تركت عائلتها منذ بضعة شهور
لسبب ما نجهله...

-إن كنت متأكدة من شئ بشأن هذه الفتاة ، فهو أن ورائها
كارثة ، لا تترك فتاة عائلتها إلا من أجل رجل أحبته إلي حد
الجنون ، و حتما كان وعدا و غدر بها.

-أو ربما أرادت الإستقلال بحياتها.

نظرت نحوه بغضب حينما أدركت تلميحه...

-الآمر يختلف هنا ، كما أن لدي أسباب منطقية ، أضف لذلك أنها
مازالت في السادسة عشر تقريبا أي أنه من السهل التلاعب
بمشاعرها.

ألقيت كلماتي ثم هرولت إلي غرفتي و أغلقت الباب خلفي
بعنف ، القيت بنفسي علي الفراش و دفنت رأسي في

الوسادة لأبكي بحرقة ، طارق يعرف كيف يكون وغدا ، و كونه
وغدا يجعله يعرف كيف يضغط علي الجروح العميقة بلا رحمة ...

بعد دقائق جاء صوته من خلف الباب هادئا رزينا كما لم أسمعه

...

-سمر ، تعلمين أنني لا أجد فن المواساة ، من فضلك لا
تضعيني بهذا الموقف الآن .

صرخت من بين دموعي قائلة...

-

-و أنا لا أستطيع تركك بهذه

-لا تعلم حتي لماذا أبكي ، لا علاقة لك بهذا.

-

أثارت عبارته الأخيرة انتباهي و شغلتنني عن البكاء...

-

-

.....

هنا جريت نحو الباب لأفتحه و قلت له...

-

-أتصلت أمك بي منذ أيام ، كانت تريد مقابلتي ظنا منها أنني
سأنجح في اقناعك بالعودة ، لكن كما تعلمين ، في الفترة
الأخيرة لم أكن في حال تسمح بلعب دور المصلح الإجتماعي.

-

- قالت أنها تشعر بوحدة من دونك و أنها.....

-
نظر نحو الأرض لثوان متظاهرا بالحزن ثم قال...

- هنا لا أعلم ماذا حدث لي ، لم استطع تمالك نفسي من

ضحكي ألقيت بنفسي علي مقعد الصالون بينما كان طارق
أمامي و علي شفثيه ابتسامة مترددة تتسائل عن سر ضحكي

...

- ما الامر ؟ هل كانت أمك تخدعني بقصة مصطنعة أو ما شابه

قلت بينما أقاوم ضحكاتي المتلاحقة...

- لا ليس الأمر كذلك.

- قلت بينما ضحكاتي تزداد علوا...

- ليتني أعلم.

ابتسم رافعا حاجبيه في غير اقتناع ثم جلس علي المقعد

...

و بعد حوالي عشر دقائق بدأت أسيطر علي نفسي...

قال في هدوء بينما لازال محدقا ...

-اممم ، هل تعلم ؟ حين يشير وغد مثلك لقصتي بمصطلح () ، فهذا يعني أنه مازال هناك أمل في غد أفضل ، هذا يعني أنني لست أسوأ النساء حظا.

قلت متظاهرة بالتعقل...

-ت محق ، نحن النساء ، لا نفعل شيئا سوي البكاء و إثارة الفوضي ، لا نفعل شيئا سوي إحباط مخططات الرجال لخياتنا ، لا نفعل شيئا سوي.....

قاطعني طارق بينما كان ينظر لشيء خلفي...

نظرت خلفي فوجدت الفتاة غير موجودة ، حتي الحقيبة و توجهننا نحو الشرفة فوجدنا الفتاة تجري قرب نهاية الشارع و كأن الشيطان يلاحقها...

...

- لقد هربت الفتاة حين علمت أن أمرها قد كشف ، إن الضجة التي أحدثناها كانت كفيلة بإيقاظ الموتى.

-هل تلمح إلي أنني المسئولة عن

قال بينما يتأمل الشارع بنظرة فارغة...

-أنا لا ألمح لشيء ، لقد انتهت قصتها معنا علي كل حال.

قلت بينما أعود للداخل...

-إذن طالما انتهت قصتها هل يمكنني النوم الآن ؟ لم أتعود
علي السهر لوقت متأخر هكذا.

-هل يمكنني البيات هنا حتي الصباح ؟

قلت بينما أغلق

...

-إعتبر البيت بيتك ، المهم ألا توقظني حتي لو كانت نهاية

(6)

في الصباح كنت منزعجة لاستيقاظي في العاشرة...
و رغم أن اليوم عطلة أسبوعية ، إلا أنني لست من النوع الذي
نهضت من فراشي بصعوبة مهيئة نفسي لخمول و صداع
سيصاحبني حتي نهاية اليوم ، هذه عواقب الإفراط في النوم...
توجهت نحو الصالة فوجدت طارق مازال موجودا ، و المثير في
ي و فنجان قهوة ، حين يقول
أحدهم لطارق أن (يعتبر البيت بيته) فإنه يلتزم بتنفيذ الكلام
حرفيا...

الرفوف ، و من الواضح أيضا أن بداخلها قلم ، و من الواضح أيضا
أنه كتب بداخلها عددا لا بأس به من الصفحات ، و من
أيضا أنني سأفكر في قرائتها قبل أن يستيقظ ، و من الواضح
النفسي المعتاد قبل أن ينتهي الأمر بأن أقرئها...

2008... 28 27

لا أذكر التاريخ تحديدا ، و الحقيقة أنه ليس من عادتي قياس
التواريخ بل بالأحداث و التحركات و الإنجازات ، هذا يجعل
الأمر أكثر قابلية للتذكر...

و في ذلك اليوم-
في عيادة الدكتور لطفي ، و كما لايد أنك خمنت فهو طبيب
نفساني ، نعم كل الأطباء النفسيين اسمهم لطفي لسبب ما...

() و بعض راقصات الف ليلة و
ليلة ليكتمل الجو النفسي المطلوب ، محاولة فاشلة لأرخاء

العفاريث هذا لاسترحت اكثر...

-تفضل بالجلوس يا سيد

و هي من اللحظات النادرة التي ألقب فيها ، ناهيك عن أنني

(سيد) هذا يعني لي الكثير...

-في كلية دار علوم.

-أولي جلساتك أليس كذلك ؟

-لا أظنك صادفت وجهي من قبل.

- ساتك لدي طبيب نفسي بشكل عام.

-رائع ، هذا شئ عظيم.

شئ عظيم ، بالطبع شئ عظيم ، ما العظيم في هذا ؟ لا
تسأل طالما قال الطبيب أنه شئ عظيم فلايد أن هناك شئ
عظيم لا تراه أنت ولا يصل إليه إدراكك...

طبعاً من تحصيل القول أن أصف مدى ارتياحي و تشككي تجاه لطفي و تجاه جو عيادته بالكامل ، لايد أنه استشف انني مستجد في ذلك الأمر من تعابير التوحس المرتسمة علي وجهي ، و كأنني زبون داخل أحد محلات الهواتف المسروقة

القائلة ان الأطباء النفسيين هم من اخطر المصابين بأمراض نفسية...

نهض الدكتور لطفي من مقعده قائلاً...

-حسناً ، تفضل بالجلوس علي الشيزلونج.

آآآ الشيزلونج ، وصلنا لتلك المرحلة التي أخشاها ، كنت اتمني ان لا يكون طبيياً تقليدياً و ينهي الجلسة () في الواقع لست افهم حتي الآن كيف يساعد هذا الشد سترخاء ، إنني لا استطيع التنفس بحرية مالم انم علي احدي جانبي و الآن يطالبني بالنوم علي ظهري و الأسوأ ان اروي له تفاصيل مشكلتي...

الأخريين لم يصدقوا ، ولا اعتقد ان كونه طبيب نفسي سيكون سبياً كي يصدق هذا بسهولة ، لكن التجربة لن تضر علي اي

...

-صف ذهنك تماماً ، انس العالم بأسره ، فقط ركز فيما تريد التوصل لحل له ، أخبرني بكل ما يخطر ببالك مهما بدا لك غير منطقي ، لا أخلاقي ، دع خواطرك تنساب ، تنهمر ، إن أردت

...

...

كالمخايل...

بعد دقائق استيقظ طارق...

لمحته من داخل غرفتي و قد استيقظ مهرولا نحو الحمام مباشرة ، و كان أول ما فعله هو أن تقبلاً...

ثم توجهت نحوه بمنشفة لأمارس دوري الأنثوي في إظهار القلق ، و كان من الواضح أنه انتهى مما كان يفعله ، و هذا نبي نفسيا إلي حد ما...

قال بينما يجفف وجهه...

-لا ، ليت الأمر بهذه البساطة ، إنها الكوابيس.

-أي كوابيس تلك التي تسبب القئ لأصحابها ؟

-كوابيس أري فيها نفسي عاشق يحب بجنون ، بإخلاص غريب بالغ نقى ، و حين أصحو م
، و أشعر بدوار و غثيان ، و أشعر أنني مضطرب انفعاليا ، و

-لهذا لم تكن تريد النوم.

-نعم ، تلك الكوابيس لا تفوت فرصة أغفل فيها بعيني إلا و

اول تركيب الأمور ببعضها دون جدوي ، لكن طارق كأنما سمع ما أفكر فيه...

-أعلم أنك لا تفهمين شيئا الآن ، أعدك أن تكون الأمور واضحة بمجرد إنتهائي من كتابة المذكرات.

نظر نحوي ببحث بينما يرتدي حذائه قائلاً...

-هل تعلمين ؟ لطالما تسائلت عن ذلك الدافع ا
البعض لمذكراتهم ، ما الفائدة من كتابة ما يعرفه المرء نفسه
حق المعرفة ، خاصة و أنه في النهاية سيمارس حقه
الإنساني في التحفظ علي تلك المذكرات بحجة الخصوصية.
-حسنا تعلم أنني قرأتها ، أنا باندورا المعاصرة ، هل لديك شئ

تجاهلني مستكم ...

-في الواقع يكمن الأمر في تلك الكلمة ، الخصوصية ، نحن
نخلق الخصوصية خلقا كي نشعر بأن أسرارنا صارت معرضة
للخطر ، صارت ذات قيمة بالنسبة لكل منا.

-حسنا ماهي مخططاتك إذن ، هل ستنشرها في كتاب مثلا ؟

رفع حاجبيه في استخفاف قبل أن يتوجه نحو باب

...

...

-منذ يومين كنت تجاهد لتبوح لي بحقيقة مرضك ، ما الذي تغير

-اكتشفت أن هناك ما هو أكثر من كوني مريض نفسي ، ثم

- و ماذا عن القوانين ؟ لقد أخبرتني انك لن تفكر بالأحداث ثانية
و تكون موضوعيا.

- لا توجد قوانين هذه المرة.

- ربما لا تستطيع تحديد القانون المناسب.

- لا توجد قوانين ، ثقي بهذا.

-

...

- سأضع القوانين بنفسني.

- كيف ؟

...

- فكري بالأمر علي أنه تغيير في استراتيجية حل الأزمة ،
مشكلتي تكمن في أنها مستحدثة ، بلا قوانين مسبقة ، لذا
صرت ملزما بأن أعيد مراجعة الأحداث خطوة بخطوة ، لأري أين

وددت لو يعطيني فرصة أعيد فيها صياغة كلماته ، لكنه

...

- ثم إن ذلك سيجعل أسراري بلا قيمة ، و حينها ربما يمكنني
التخلص من وهم الخصوصية هذا.

بينما يهبط درجات السلم ، للمرة الأولى منذ فترة أراه يستعيد
في تصرفاته ، ولا أدري لماذا تمنحني ثقته هذه شعورا

بالإطمئنان ، رغم تأكدي بأنه مجنون يتبنى فلسفة غير واقعية ،
و رغم علمي أنه مازال مراهقا يتخذ قراراته بتسرع و مجازفة...

(7)

...

خطوبة أحمد سامي علي طيبة ما تدعي (هدى) ، و هي حد علمي مطلقة و لديها طفلة ، لذا بدا لي الأمر غريبا

الثلاثين...

أعني أنه غالبا عندما يصل الرجال لهذه السن دون زواج فإنهم يصبحون إنتقائين بصورة مستغزة ، و كأنهم يبحثون عن تلك الأميرة الكاملة المتكاملة التي تستحق للأسطورة الذكورية التي ظلت كل تلك السنين دون زواج ، هل حقا كانت هذه نظرة أحمد سامي نحو الدكتورة هدى ؟ أم أنه نظر لها من زاوية أكثر رقيا عن أقرانه من الرجال؟

كانت تجول بفكري تلك الخواطر بينما كنت بالحفل ، قبل أن اجتماعي اللزج في نهضة العروسين ، لذا توجهت نحوهم راسمة علي شفاهي ابتسامة صناعية ، قبلتان علي الخد للعروس ، و سلام باليد للعريس

...

الحفل ، منذ جئت و أنا أشعر بتلك الطاقة السلبية المشع

ثلاث سنوات تقريبا يتحدث معها و كأنما يتحدث مع فتاة

...

-ظننتك لا تحب الإجتماعيات.

قال بينما يعبث برأس الفتاة...

- و مازلت ، لكن خطبة أحمد سامي تعد ظاهرة نادرة تستحق بعض التضحية.

قلت بينما أشير للطفلة...

- نعم ، الآن تفهمين ما قلته عن التضحيات.

التزمنا الصمت للحظات تظاهر فيها كل منا بتأمل الحفل و العروسين ، لكنني قطعت الصمت مواصلة التأمل قائلة...

- أسلوبك في الكتابة جيد بالمناسبة.

...

- لهذا يشعرنني بالنفور.

تجاهلت ذوقه قائلة...

-لأنه يذكرني بتلك اللحظات التي كنت أكتب فيها روايتك ، ثلاثة أشهر هي فترة كافية للغاية لحدوث إرتباط شرطي لعين.

تجاهلت رفته قائلة...

.....

-ستساعديني فعلا ، و لكن بصورة أكبر من ذلك قليلا.

-كيف هذا ؟

قال بينما يتأمل شئ ما في رأس الفتاة...

-سيتم نشر الكتاب بإسمك.

هنا التفت نحوه قائلة في ذهول...

-هل جننت ؟ هل تظن الامر بهذه السهولة حقا ؟

-

-لأن القراء يعرفون أسلوبى جيدا ، و مهما

.....

-إذن ستنشرينها علي لسان مجهول ، كأحداث واقعية تقومين بسردها علي لسان أحدهم.

-لا أفهم هل تناقض نفسك مثلا ؟ ألم تقل أنك تريد التخلص من وهم الخصوصية ؟ لماذا تتراجع الآن ؟

...

- أقل من ثانية ،

-

-طارق ، صدقني فكرة الكتاب فكرة حمقاء ، أنت بحاجة لطبيب نفسي لتخليصك من الكوابيس أيا كان سببها.

-هل تظنينني أجهل الأطباء النفسيين ؟ إنهم مملون للغاية ، سأستغرق معهم دهورا كي أخرج من مرحلة الكلاسيكي إلي مرحلة المحاولات الجنونية ، ما أنا بحاجة إليه الآن هو محاولات جنونية بصورة مباشرة.

كنت أعلم أنه يتظاهر بالسيطرة علي الأمور ببعض التفلسف ،
يحاول حماية ذاته من الإنهيار ، فلسبب ما تمنحنا المعاناة نظرة
فلسفية نحو الأمور ، نظرة تبرر بها لأز
الفلسفة الملتوية ، و برغم ان هذا نوع من خداع الذات ، إلا أنه
أفضل كثيرا من أن تمنحنا المعاناة اسبابا مقنعة للإنتحار...

ظللت لبضعة دقائق أقرض أظافري بينما طارق يستمتع بإثارة
فضولي أكثر بصمته هذا...

قال بينما يضحك بصوت عال...

بالإسكندرية لا تعلم شيئا عن حقيقة مرضي ، لأنه في الواقع
لم يظهر إلا عقب ابتعادهم عني بحوالي أسبوعين...

في البداية كانت حياة الوحدة ممتعة بالنسبة لمراهق مثلي
تخلص لنوه من حجي

-تمت تربيتي علي أعلي مستوي

، كنت مثلا للفتي المطيع الذي لا يعصي لوالديه أمرا ، كنت
مبرمجا علي كل ما هو صحيح و أخلاقي لأفعله دونما تفكير ،
لم أكن أرتكب أخطاء ببساطة لأنني لم أكن أعرف كيف أخطئ
بل ولا أعرف كيف تبدو الأخطاء و لماذا أفعلها ، و في مجتمع
شعبي عنيف كحي بولاق الدكرور ، لا مكان لل(فراير)
، و لسبب كهذا كانت فكرة وجود صديق لي أمرا مستبعدا

...

- هل تريد إقناعي أنك لم تكن ذلك الوغد الذي أعرفه الآن؟
- لا أحد يولد وغدا كما أنه لا أحد يولد بذقن و شارب ، مثل هذه الأمور تستغرق وقتا كما تعلمين.

- ماذا بها ؟

مصرة علي تذكيره...

-السبة البذيئة ، أولي كلماتك في الحياة.

- أنني ذكرت لك هذا ، تذكرين عني أكثر

هززت رأسي بمعنى أنني أنتظر منه الإستمرار في حديثه ، و عندما أدرك ما أقصده مط شفتيه لثوان و كأنما يعيد التفكير في ...

- مني وغدا ، لكن التربية التي تلقيتها بعد ذلك أخفت كل هذا ،

عائلتي لم أحد من أثور عليه فثرت علي ذاتي نفسها.

-كيف هذا ؟

قال بينما يتأمل الطفلة التي بدأت تغفو بين يديه...

-سؤال جيد.

كما أخبرتك لم تظهر أعراض مرضي إلا بعد حوالي أسبوعين من مغادرة عائلتي ، أسبوعين من الوحدة الممتعة بدأت تتحول تدريجيا إلي عذاب...

في ذلك الوقت كانت بدايات دراستي بكلية دار علوم بجامعة القاهرة ، وفقا للتنسيق ، و حينها لم أكن أعرف ما هي دار علوم ولا ما الذي تدرسه تحديدا ، و لم أتحمس كثيرا حين علمت ، فليست اللغة العربية بالمجال المفضل لي ، لكنني

...

ظننت أنني سأنال حريتي حين أتخلص من عائلتي و أصير وحيدا ، لكن المشكلة التي واجهتني هي أنني وجدت نفسي مقيدا بذات الشخصية التي صنعتها التربية المحافظة ، الفتى الخجول المهذب الذي يفكر 2283927 أي فعل ما سواء كان صحيحا أو خاطئا ، لأنه في النهاية سيفعل الصواب ، لأنه يخشي تأنيب الضمير...

لا أذكر تحديدا أين قرأت هذه القصة لكنها معروفة للجميع ، قصة الغيل الذي لا يستطيع قطع ذلك الحبل البسيط المربوط بقدمه رغم قوة الغيل ، لأنه حاول منذ الصغر مرار أن يقطعه دون جدوي، هكذا استسلم لفكرة أنه لا فرار من ذلك الحبل

تراودني عندما أري الطيور عند البائع فوق الأقفاص مستسلمة لمصيرها لا تحاول الهروب ، فيما بعد اكتشفت انه يربط بعضهم

من المتمردين بحبل قصير إلي القفص كي يحدث ذات التأثير النفسي الحادث لأقرانهم ، إذن فالأمر يتعلق بقيود نفسية ، لقد خرجت المشكلة عن كونها تسلطا من أبي و أمي و صارت

...

هكذا لم يعد هناك مجال للخطأ ، لا أصدقاء ، حياة رتيبة مملة للغاية ، إنها التربة الخصبة المثالية لنمو أي مرض نفسي...

بدأ الأمر بتلك الأصوات الصادرة من الأدوار العليا ، أصوات حركة عادية ، و كأن هناك من يسكن في تلك الأدوار و يمارس حياته بصورة طبيعية ، و لولا أن ما مررت به مع عائلتي من خير الجن ساكنو منزلنا لعقدت عقلي منذ اليوم الأول ، كما أن وجود تفسير مقبول لتلك الأصوات هو شئ أراحني نفسيا إلي حد كبير...

لكن الأمر بدأ بالتطور مع ظهور تلك الهمسات ، همسات لا أدري مصدرها ولا تميز ما تقوله ، أسمعها مع اقل لحظة صمت تمر كأنها ملاصقة لأذني ، و مبهمة للغاية و كأنها كلمات متداخلة...

عائلتي تتردد في غرف المنزل ، ندائات في منتهي الوضوح ، لكن المشكلة لم تكن تكمن في الندائات ذاتها ، بل كانت تكمن في كوني أصدقها ، أصدق النداء حين يأتيني و ألبيه ، و كأنما لا توجد حقيقة في الكون غيره ، و هذا شئ لا يمكنني السيطرة عليه...

لكن قمة الهلوسة بدأت حين قرصتني تلك الحشرة الغريبة علي ساعدي ذات يوم ، حشرة لم أر مثلها من قبل... و لكن منذ متني كانت الحشرات كلها معروفة ، إنني لست خبيراً بالأحياء كي أدقق في مثل هذه الأشياء...

و كعادة كل القرصات فقد احمر موضعها ، و تركت علامة واضحة
كقرصات الباعوض ، لكنها ظلت فترة أطول من المعتاد ، ظلت
أياماً ، بل و أسابيع و العلامة تزداد اتساعاً و وضوحاً و ألماً ، و

لم أذهب لطبيب ، بل و لم أفكر في ذلك ، لست من هذا النوع
الهستيري الذي يذهب لطبيب لمجرد أن لديه ()

بعد أيام اتخذ الأمر منحني آخر ، منحني لا يقتضي الذهاب
لطبيب بل لحنايني !!

لقد نبتت العلامة الحمراء علي ساعدي ، و ظهر من قممها
برعماً صغيراً أخضر اللون يشبه ر

أفرع الشجر ، كان الأمر غريباً و مخيفاً لكنه أثار اهتمامي بذات
الوقت ، هل أعرضها أمام الناس و أدخل بها موسوعة جينيس ؟
لا ، سيكون الأمر سخيفاً ، و سأبدو كأنني وعد آخر بسعي
للشهرة ، هل أنتزعها بملقاط ؟ لا ، أنا لا أريد ذلك حقاً ، ما

إذن سوي إخفائها عن أعين الناس...

هكذا قضيت أياماً كنت حريصاً فيها علي ارتداء قمصان بأكمام
طويلة خاصة حين أسير بالشارع ، و أنا لم أكن معتاداً إلا علي
ارتداء التي شيرتات ، كنت أشعر بنظرات الجميع نحو ساعدي ،
أعطيه دائماً بيدي و كأنما أخشي علي النبتة أن تصطدم
بشيء ما ، كان مظهري مريباً لكنني كنت سعيد بتلك النبتة

لم تكن تحتاج لمياه علي الإطلاق ، و كأنها تستمد المياه من

الذبول تدريجياً و أصابني هذا بالهلع ، حقاً أصابني بالهلع و كان
هذا رد فعل طبيعي لم أره غريباً حينها ، فقد نمت بداخلي

الأبوة التي تنمو بداخل الرجل لدي رؤية طفله الصغير للمرة

لم أهتم يوماً بتفسير وجود النبتة ، لم أهتم بأي شيء سوي به
، قررت الإنعزال عن العالم و التفرغ لها ، فقط لها ، و ظلت هي
تنمو حتي بدأت أشعر بثقلها علي ساعدي...

لقد صرت لا أوّمن بأي حقيقة في الكون سوى تلك النبتة ، إنها أنا ، و أنا هي...
برغم كل هذا لم أقتنع بضرورة الذهاب لطبيب نفسي إلا بعدما التقيت بـ () ...

إصاة هو شاب في الثالثة و العشرين من عمره تقريبا ، جارنا منذ سنين طويلة ، يعيش وحيدا في شقته الضيقة بالدور الأرضي في البناية المواجهة لنا ، لكنني لم أجرؤ يوما علي التحدث معه ، بل ولم أجرؤ حتي علي أن أرفع عيني في عينه ، لأنه عنيف للغاية في ردود فعله ، غير متر إطلاقا ، متعهد شجارات الشارع حتي لو لم يكن الشجار يخصه فإنه يقحم نفسه فيه إقحاما منحازا لأبناء شارع ، يعشق

...

كان هاتفي يرن داخل الحقيبة ، و لم أكن أنوي الرد علي تلك المكالمة بأي حال من الأحوال ، فقط أكره تلك المؤثرات الدخيلة

...

لكن الحقيقة أن تلك المكالمة كانت غير متوقعة علي الإطلاق ، مكالمة جعلتني عاجزة عن اتخاذ قرار فوري بشأنها ، لذا وجدت

...

رفع إصبعه امام فمه قائلا بصوت خفيض...

قلت هامسة...

-الموسيقي الصاخبة تملأ المكان هل تري أن صوتنا سيشكل

-الموسيقي الصاخبة هي الإيقاع الذي جعلها تنام ، لو توقفت
الموسيقي الآن أو تغيرت درجة الصوت ستستيقظ الطفلة.

الهاتف نحوه كي يفهم فهز رأسه أن لا أرد...

-لا تضعفي يا سمر ، هذا الرجل متزوج قبل أي شئ.

-إنسي الموضوع ، أعرف أنك اتخذت قرارك مسبقا ، لكن هذا
من الناحية العقلية فحسب ، مازال جانبك إلا
من بقاياها ، و كلما تسمعين اسمه ستتتابك ذات القشعريرة و
الرجفة الغير مفهومة.

كان محقا للأسف ، تفسيراته السيكولوجية تفضحني أمام

...

-دعنا من هذا الآن و أخبرني كيف كان صديقك ()

في ليلة من الليالي السوداء ، استيقظت علي صوت قرقرة و
رائحة نرجيلة ، و كان هذا كافيا لأعلم أنني لست بمنزلي قبل
حتي أن أفتح عياني ، كانت رأسي تؤلمني للغاية و كأنني

تلقيت ضربة قوية عليها ، و حينما نظرت بجانبى وجدت حماسة
قائلا و الميسم بين أسنانه النخرة...

- ما الذي حدث ؟ ما الذي جاء بي هنا ؟

سحب سحبة قوية من النرجيلة و قال بينما الدخان يخرج من
فمه و منخره كأنه تين...

- هل تتظاهر بالنسيان أم أنك فعلا لا تذكر شيئا مما

فتحت فمي كي أقول شيئا لكن صورتى فى تلك المرأة

- هل...هل هذه ملابسك التى أرتديها ؟

- وحدثك بهذه الملابس.

-مستحيل.

هكذا سحب حماسة سحبة أخرى و قال...

-هل تعلم ؟ لسنوات تمنيت أن أكون مثلك ، م

حالى ، لكنك حين تحاول أن تتغير تدرك أنك اتخذت قرارك
متأخرا للغاية ، و أن أوان التغيير قد فات ، و أنك صرت مقيدا
بطبيعتك الراهنة إلى الأبد.

نظرت نحوه متعجبا من لهجته الفلسفية الغير متوقعة ، فى
بعض الأحيان يتحدث بعض هؤلاء الأشخاص على شاكلة

رة تعطيك خلاصة الحياة في جملتين فحسب ، و
تدرك حينها كم كنت مخطئا حين تصورتهم مجرد حيوانات آدمية
لا تفكر إلا بعصلاتها...

قال بينما يرص بعض أحجار الفحم ناظرا نحوي في تشكك...

- منذ يومين و أنت تعاكس فتيات الشارع و تتشاجر مع الجميع
بصورة لم أصل إليها أنا شخصا ، و كلما كنت أندخل لا أعلم
لمن أنحاز فيكم ، أنت جاري و هم أبناء منطقتي ، كنت أكتفي
بفض الشجار رغم وقاحتك معي و مع الجميع ، لا أعلم ما الذي
حدث لك ، كان تغيرك هذا يجعلني محنارا عاجزا عن اتخاذ قرار
ر أبناء الشارع تهديبا منذ صغرك ، و في
شجارك الأخير اليوم ضربك أحدهم بزجاجة فوق رأسك و
سقطت علي الأرض مغشيا عليك.

لم أعرف ماذا أقول ، كنت مذهولا مما يرويه ، لا أتصور أن أفعل
ربع ما يقوله هذا...

- إذن هذا يعني أن صورتني في الشارع الآن لم تعد كما كانت.

- و يكرهونك أكثر مني ، هنيئا لك يا صاحبي.

تأملت هينتي مرة أخرى في المرأة في ذهول متزايد و قلت...

- صار الوضع لا يمكن السكوت عليه ، من الأفضل لي الذهاب
لطبيب أمراض عقلية قبل أن تسوء الأمور أكثر من ذلك.

...

- (رك في بير)

-هكذا قادني القدر لعيادة الدكتور لطفي ، و بعد حوالي ثلاثة جلسات توصل لتشخيص عبقري لم يتوصل إليه جهاذة العالم اضطراب الهوية الانشغاقية ، هو أقرب ما يكون

م الشخصية لكنه يختلف عنه

تشخيصه العبقري هذا ، لقد كنت بحاجة ماسة للعلاج سريعا ولكن كما أخبرتك ، الأطباء النفسيون مملون للغاية في اتباعهم

رن هاتفي الجوال فتجاهلته مرة أخرى حين رأيت المتصل...

-ردى عليه.

-ردى عليه ، و إذا طلب مقابلتك

-ما الذي تقوله يا طارق هل جنت ؟

...

-صدقيني ، أحيانا يكون الجنون هو أقصر الطرق لحل المشاكل

هذا العالم.

قال بينما يمد يده ليضغط

-سأخبرك بعد أن تنهي المكالمة.

...

-
-
- سمر ، كيف حالك ؟

كان صوته هادئا كعهدي به ، صوتا أعاد لي ذكريات رائعة و
أصابني بذات الرجفة في جسدي ، و لكنها أقوى بعشر مرات
من سابقتها...

- حيدة... بخير.

- ما هذه الضجة حولك ، هل أنت في الشارع الآن ؟

...

- آه نعم ، علي كل حال ، أردت فقط تهنئك بكتابك الجديد ، إنه

...

- ...هل يمكننا أن نتقابل
؟ صدقيني ليس الأمر كما تظنين ، فقط أريد أن

...

نظرت إلي طارق في حيرة فهز رأسه إيجابا و كأنما يسمع

...

-
- الواحدة ظهرا بنفس المقهي

أنهت المكالمة و نظرت نحو طارق في صمت أثار تعجبه و

...

قال بينما يمسح علي شعر الطفلة و كأنها حيوانه الأليف...

- هل تذكرين فيلم (the holiday) الذي شاهدناه من قبل سويا ؟ هل رأيت كيف عانت كيت وينسلت من حبها لرجل لا يهتم لأمرها إطلاقا ، و ظلت تتعذب حتي أقتربت منه للغاية و أدركت كم هو وعد حقا ، و حينها تخلصت من حبه إلي الأبد ، عقليا و إنفعاليا.

- أنت الآن كمدمنة تدخين ، تدركين أضراره و لكن لا تستطيعين ن جلال هذا وعد حقا ، فإن الذهاب بعيدا هو أفضل الأساليب لنسيانه ، فحين تعقدين العزم علي نسيان و وعد ما ، عليك الإقتراب منه و التعمق أكثر و أكثر ، حتي تصلين -يقينا- تدركين فيها كم هو يستحق الإحتقار و النسيان ، شيئا فشيئا ستشتمئزين منه حتي تحترق ذ

بغض النظر عن جنون الفكرة و صعوبتها ، لكنها المرة الأولى تقريبا التي أحد فيها كلامه سهل الفهم بدون مصطلحات السيكلوجية اللعينة ، لكن- لا تموت بسهولة...

- التدخين ، و لأغراض أخرى.

(8)

في اليوم التالي كانت لدي جلسة في المحكمة...

لكنها لم تكن كالجلسات السابقة ، كان تركيزي مشتتا للغاية ،
و رغم أنني بذلت جهدا في العمل علي تلك القضية ، إلا أن
عقلي أمام هيئة المحكمة صار صفحة بيضاء
السبب وراء كل هذا ، لكنني كنت أظاهر أمام نفسي بالقوة ،
و بأنه لا شئ يستحق كل هذا ، لكن الجلسة مرت بسلام علي

...

و بعد انتهاء الجلسة رن هاتفي ، و كان المتصل طارق ، و

...

- طارق ، تعلم أن هذا ليس ال

جاء صوته متحمسا للغاية حين قال...

- لقد انتهى الأمر يا سمر ، انتهى الأمر.

-

-الكوابيس ، انها الليلة الأولي التي لا تراودني بها الكوابيس

...

-رائع ، هذا شئ جيد.

- ما هذا ؟ هل هذا كل شئ ؟

- توقعه مني الآن ؟ أقيم احتفالا من اجلك ؟

)

.(....

هنا أغلقت الإتصال في وجهه لأسباب تتعلق بقدرة أعصابي
بدأت في التوجه نحو المقهي الموعود ، مكان

...

ما يطل الجميع من هذه الشرفة بشعر منكوش...

- هل لديك دقيقة من الوقت أنتزع فيها أحشائك ؟

- مر هذا منزل رجل عازب و وجودك هنا غير أخلاقي

الحقيقة أنني من داخلي كنت أتمني ألا أجده و أعود أدراجي

...

-هناك اختراع يسمونه جرس.

...

-أيها اللص اللعين أعلم من أنت

...

-إنها المرة الثالثة التي اقوم فيها بتغيير زر الجرس.

ساد الصمت للحظات منتظرة إياه أن يتحدث بهدوء ، لكنه صعد لشقته بدون كلمة زيادة و كأنني غير موجودة ، هكذا دعوت

...

-تعلمين أنني بحاجة ماسة للنوم بعد طول انتظار.

-أعلم ، و لكن عليك تحمل عواقب نصائحك لي.

قال بينما يللم ملابسه الملقاة علي الأرض...

-إذن هذا يدل علي أن نصيحتي جاءت بنتيجة سريعة.

-نعم ، نتيجة حمقاء مثلك.

...

-ما الي يعنيه هذا ؟

أخذت نفسا عميقا و قلت في أسي...

-جلال يريدني كمحامية ، يريد توكيلي في قضية تخصه.

-رائع ، من الواضح أنها حجة يريد بها إعادة التواصل بينكم ، و

-لقد رفع دعوي ضد زوجته بعد أن طلقها لأنه يريد حضانة الأطفال ، يراها غير مؤهلة لتكون أماً
توكيلي للدفاع عنه.

رفع حاجبيه مندهشا و قال...

- يحتاج المرء لجرأة كبيرة كي يواجه من يحبها بطلب كهذا ، بدأ
هذا الرجل يروق لي حقا.

- عصفورين بحجر ، أراهن علي أن هذا الرجل يخطط لشئ ما
علي المدى البعيد.

-هل أخبرك بسر أنا متأكدة أن أمي لم تخبرك به ؟

-حين صارحت أمي بحبي لهذا الرجل رفضت فكرة زواجي من
رجل متزوج ، و لم تكثف بهذا للأسف فقد كانت تعلم انه لن
يتخلي عني بسهولة ناهيك عن أنني كنت كذلك أيضا ، و لهذا
مالم اتوقعه منها منذ ولادتي ، استأجرت بعض البلطجية
ليضربوه و يهددوه بعدم الاقتراب مني ثانية ، و حينها صارحتني
بأنه يفضل أن يعيش لأبنائه سليما لينفق عليهم علي ان يموت
في سبيل حبه لي ، احترمت رغبته و لم اره بعد ذلك ، لكنني
قررت حينها أن الحياة مع أمي صارت مستحيلة ، و من هنا جاء
قراري لأستقل بحياتي بعيدا عنها.

-لقد فعل جلال الشئ الصحيح ، لكن من الواضح أن هناك
خططا بديلة بدأت في الظهور برأسه مؤخرا.

- لا أعتقد ذلك ، أظنه يريدني كمحامية فحسب .

- هل أنت بهذه السذاجة حقا ؟ ليس هناك في البلد ما هو أكثر من المحامين .

- دعني اخض هذه التجربة ، ربما اتخلص من بقاياها بداخلي كما

- علي هذا الأساس .

- لا تقلق ، لقد صرت علي يقين أن الأمور السيئة تحدث .

- و بالمناسبة ، حين يجذبك بكلامه الساحر و مشاعره الدافئة
ثم يصدمك ثانية لا
المشاكل ما يكفيني .

- طارق عليك أن تدرك حقيقة أنك آخر من أفكر باللجوء إليه فقط
لو كان هناك من يمكنني الوثوق به غيرك ، الأمر لا يتعلق بك
شخصيا بل يتعلق بأنك الوحيد المتاح في الوقت الحالي .

- هذا شئ يسعدني .

اهية و قلت ...

- إذن ، أخبرني ما هي مخططاتك الآن ؟

.....

- أقصد مخططاتك بشأن الكتاب ، هل تنوي الاستمرار في

تسميته حقا بقارئ الأفكار ، لأنه بالفعل يقرأ ما تقرأين في لراهنه.

-هل أخبرك أحدهم بأن تشبهاتك صارت سخيقة مؤخرا ؟

-هذا لا ينبغي كونها دقيقة.

أحيانا أشك في كوني مصابة بشئ من الماسوشية في تصرفاتي كوني اتعامل مع وغد كهذا بإرادتي...

(9)

بعد حوالي ثلاثة أيام قمت بزيارة أمي في مكتبها...

أقنع نفسي بأن هذا من أجلها ، لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنني كنت أسعي للحفاظ علي صورتني أمام ذاتي ، أحاول أن أثبت لنفسي أنني أفضل منها رغم ما فعلته بي ، و أنني لست ابنة سيئة...

كان من الواضح ان غيابي لم يغيرها كثيرا ، مازالت تلك المرأة الواثقة من نفسها و من تصرفاتها ، مازالت تلك المرأة التي لا تترك نفسها لعواطفها تحرفها مع التيار ، مازالت تلك المرأة التي تأتي إظهار افتقادها لإبنتها ولو بقبلة صغيرة أو حضن

...

ربما لأسباب كهذه يمكنني التعامل مع طارق باحترافية ، و ربما لأسباب كهذه

لا أكف عن الذهاب إليه ثم أندم علي ذلك...

قال طارق بينما يفرغ أحد أكياس السكر بالمقهى في فمه

...

-هل تعلمين ؟ ربما كان الأصح أن نقول أن بداخل كل منا وغد ، إنه جبل ثلجي لكن درجة ظهوره علي السطح تختلف من

تجاهلت كلماته

...

-أمور كثيرة تصدمني هذه الأيام ، أمني تتجاهل غيابي و كأنها لا

.....

-لا أفهم أليس هذا ما كنت تريدنيه ؟

-لا ، أعني نعم كنت أريد أن أتخلص من كل هذا لكنني لم أتوقع أن تصلني النتائج بهذه السهولة ، ظننت أنني سأجد من يهتم

أن أشعر أنني مهمة لأحدهم.

ابتسم ابتسامة خفيفة قائلاً...

-إنها بواد حياة الوحدة ، تهانئي.

...

-أعلم هذا.

-حده كيانا ينفر منه الجميع.

-أعلم هذا.

-لا أريد أن أكون مريضة نفسي .

رفع حاجبيه قائلاً...

-حسنا كان هذا جارحاً.

ابتسمت رغماً عني و أرحت رأسي علي طاولة المقهي في

...

-هناك بعض الراحة في أن تكوني خاسرة ، إنه شئ يتعلق
بمسؤولية ما بعد الفوز و حرية ما بعد

قلت بينما أتأمل حذائي أسفل الطاولة...

-فلسفتك لا تساعدني يا طارق ولا أظنها ستساعدني يوما ،
إنها فلسفة صنعتها بنفسك و لنفسك فلا تحاول فرضها علي
غيرك.

...

قلت بينما أرفع رأسي عن الطاولة...

-ما رأيك لو نعود للعمل ثانية

-عاطفية ؟

-أنا امرأة في نهاية الأمر.

- () .

قالها طارق رافعا فنجان القهوة إلي شفتيه بينما ينظر نحوي

...

-لقد عاودتك الكوابيس مجددا أليس كذلك ؟

-هل أبدو مفضوحا لهذه الدرجة ؟

- أنت قلتها من قبل ، لا تعمل إلا لأجل إنهاء آلامك الراهنة ، و لم تغل آلام غيرك.

لم يحاول المراوغة هذه المرة و قال...

-علي كل لم يعد هناك داعٍ للخجل ، نحن وطواطان عجوزان

- أقبل هذه الإهانة مؤقتا.

صفق بيديه ثم فرك كفيه ببعضهما كدلالة علي التحمس و

...

-حسنا ، طالما أنه لا مفر من الفضيحة ، علينا إذن أن نتفق.

-

-أولا ، قد تسمعين مني بعض الأسرار الصادمة التي قد لا تتوقعين حدوثها إطلاقا ، لا أريد تعليقات من أي نو اندهاش.

...

-لم يعد هناك ما يثير دهشتي ، ثق بهذا.

-ثانيا قد تسمعين مني بعض الآراء الصادمة و التي هي بالمناسبة قد لا تثير إعجابك كثيرا ، لكنها حتما ستثير دهشتك و

فكرت قليلا ثم قلت في نغاد صبر...

-هل أنت حقا خائف علي مشاعري لهذه الدرجة ؟

قال بينما يدور بإصبعه علي حافة فنجانہ...

- نعم ، و لكن علي لسان مجهول ، و لأنني لا أريد أن يتأثر
(لسان مجهول) هذا بما سأقوله فإنني

أذهب لعيادته بصورة دورية كنوع من تخفيف آلام الوحدة ، كان

كلاسيكية أو ذكية حتي ، كان يدرك جيدا أن المريض النفسي
بحاجة لمن يسمعه فقط دون أن يتحفه ببعض النصائح الذهبية
و كأن المريض حمار لم يفكر بها علي الإطلاق...

لكن الأشياء الجميلة تنتهي دائما ، إنها سنة الحياة ، هكذا أتد
ذهابي إليه في إحدي المرات وجدت السكرتيرة في مكانها
المعتاد ، فقط كي تخبرني بالخبر التعييس...

-البقية في حياتك ، لقد توفي الدكتور لطفي منذ ثلاثة أيام ، و
قامت عائلته بتوكيلي لتحويل مرضاه لطبيب آخر.

و كأن هذا بالشئ الهين ، إن العلاقة بين المريض و طبيبه قد تكون قاصرة فقط علي كونها علاقة بين طبيب و مريضه ، فبرغم أن الأطباء دائما يحاولون تحجيمها إلا أنها قد تتطور لما هو أكثر من ذلك ، لقد كان الدكتور لطفي يمثل لي ما هو أشبه تلك العصافير التي تأكل- بقايا اللحم من بين أسنان التماسيح ، نعم هذا هو التشبيه الأكثر ملائمة ، أنا رائع

...

هكذا ذهبت لطبيبي النفسي الجديد ، طبييتي الجديدة علي () ، نعم تعجبت مثلك هكذا عندما قرأت اسمها و ظننت انه خطأ مطبعي ، لكنني استرحت له نوعا ما فيما بعد ، خاصة و أنه-

شئ مما قلته سابقا ، لكنه كان أول نموذج أراه لطبيب نفسي ، لذا كان من الصعب أن أحكم عليه دون مقارنته بغيره...

كانت الدكتورة التزام جديرة باسمها حقا ، وقورة للغاية ، حازمة الدكتورة التي تطردك من محاضرتها دائما لأنك شاب رقيق تجلس في الصف الخلفي مع زميلاتك تبادلن الأحاديث طيلة المحاضرة ، لم أكن لأتعجب لو اتضح بالفعل انها دكتورة في جامعة ما...

- قل لي يا طارق ، هل مازالت تسمع تلك الأصوات و تري تلك الهلاوس البصرية ؟

- هل مازالت بنفس وجودها قبل بدء العلاج ؟

-أخشى أنها تزداد بمرور الوقت

قطبت جبينها قائلة...

- إنها قصة طويلة لا تشغلي بالك.

- هل ما زلت منتظما علي الادوية ؟

- يزورني أبي من وقت لآخر ليطمئن علي أحوالي.

إلي آخر هذا الهراء الطبي...

و توفيراً للوقت فقد كانت أغلب جلسات الدكتورة التزام علي هذه الشاكلة ، بلا سرد للذكريات ، بلا شيزلونج ، بلا داعي...

و نقطة الشيزلونج هذه تحسب لها ، أنا أقدر مثل هذه الأشياء التافهة مهما بدت تافهة ، إن من يكسر القواعد دائما ما يروق

...

هكذا داومت علي متابعة العلاج معها حتي جئت امتحانات الترم الأول في دار علوم ، و بالطبع لم أحضرها لسببين في غاية البساطة ، أولهما هو أنني لم أكن أعرف حرفا عما أدرسه في تلك الكلية ، وثانيهما هو المجانين...

...

-هل تمزح ؟

قال بينما يطرق بسبابته علي الطاولة في إنزعاج...

-ماذا حدث لكلماتي عن عدم الإندهاش ؟

- تخضع لأوامر طبيب ما و تدخل مستشفى المجانيين.

- (مستشفى المجانيين) هي مصطلح قصدت به
السخرية مما حدث لي ، في الحقيقة يسمونها)
الأمراض النفسية و العصبية) ، بينما أحب تسميتها ()

-و ما الذي أجبرك علي دخولها ؟

... مط شفتيه قائر ...

-سؤال جيد.

إتضح لي أن الدكتورة التزام امرأة عملية للغاية ، و أراهن أنه لو
كان الدكتور لطفي مازال حيا لظل يعالجني بجلسات أبدية تزيد

...

هكذا لم تجد الدكتورة التزام جدوي من علاجي بالجلسات في
عيادتها ، خاصة و أنها كانت تعتنق ذلك المذهب ال
المريض هو وعد مستهتر طائش تسبب بكل هذا لنفسه و عليه
أن يتحمل نتيجة أخطائه ، و لسبب كهذا قررت أن تجبرني علي
مغادرة حياة الوحدة عن طريق تحويلي لمستشفى الأمراض
النفسية التي تديرها ، منذ البداية كنت اعلم أنها امرأة
قيادية...

هكذا وجدت نفسي ذات يوم اسحب حقيبتني علي أرضية
()

العابس البائس الذي فقد استمتاعه بالحياة و بكل شئ ، إن
من يقضي حياته في هذا المكان لابد و أن تتغير خريطة تفكيره

...

بيد أنني لاحظت أنه توسم في شخصي التعقل ، و علي
(ولاد الناس الغرافير)

اللي بيتدلعوا عشان جالهم شوية اكتاب)

-تفضل يا استاذ ، تفضل يا باشمهندس.

بهاء وجهي و جماله قبل أن أفهم ما الذي يريده مني تحديدا...

-هل هناك مشكلة ؟

-تأمر بشئ آخر يا باشمهندس ؟

كان لابد أن أفهم منذ البداية ، من الصعب الحصول علي
بقشيش من ذوي الحالات الخطرة و لكنني أبدو مسالما يمكن
استغلالني ، هكذا دسست في يده جنيهان و أنا حريص كل

كسرولة فوق رأسي عله يعيد ال
...

بعض التمرجية يلاحقون مريضة شابة منكوشة الشعر ، نظرت
)

شيئا بعد ، لسوف تعناد علي مثل هذه الأمور)...

... خلع طارق نظارته و فرك وجهه في إنها

-ربما يمكننا الإستكمال غدا ، علي الأقل لأجد وقتا أصيغ فيه
هذه الأحداث علي الكمبيوتر.

قلت بينما أشير للفتاة لتجلب الفاتورة...

-أنا متحمسة لأي شئ يملأ فراغ وحدتي ، ثق بأن الأمر ليس
شخصيا.

هز رأسه في صمت بينما يفتح كيسا آخر و يفرغه في فمه...

-ثق بأنك ستصاب بالسكر عما قريب ، هل تنوي المغادرة معي
أم ستظل هنا تسف السكر ؟

-سأبقي قليلا ، لست مولعا بالنوم باكرا كما تعلمين...

مط شفطيه قائلا...

-لا أعلم ، دعيها للصدفة ككل مر .

-ربما عليك أن تجد طريقة أفضل من الصدفة نلتقي بها ، لا
تتكاسل لمجرد أنك صاحب الرواية هذه المرة.

-تعلمين أنني لا أحب الإلتزام بشئ.

-
قلت بينما أخرج نقودا من محفظتي لدفع الفاتورة...
-

-ألست بحاجة له
...

-لن أكتب شيئا.
-

...
-خمسة جنيهات في الساعة.
-

غادرت بينما أحاول كتم دموعي داخلي حتي اغيب عن نظر طارق ، و حين خرجت للشارع انفجرت باكيا غير عابئة بنظرات
...

ألهذه الدرجة صرت منبوذة ؟ صدقا لم أكن أتصور أن يأتي اليوم
الذي أشتري فيه اه

...

في اليوم التالي جاء طارق في موعده...

لكنه جاء في غير موعده تماما بالنسبة لحالتي العاطفية في تلك اللحظة ، هكذا فتحت الباب له بينما كنت أبكي بتأثر بالغ...

- سلسل التركي ثانية ؟

هزرت رأسي إيجابا بينما كنت أتمخط في المنديل الورقي...

هكذا قال في نغاد صبر-
...

-ستقتل سمر نفسها في الحلقة الأخيرة ، و سيتسول مهند في الشوارع من بعدها بأسمال بالية ، قرأت ذلك علي الإنترنت ، انتهى الأمر .

-أيها الوغد الحقير ، حرقت لي الأحداث .

-الدراما التركية هراء ، يتلاعبون بمشاعر الحمقاوات أمثالك بمواقف عاطفية يحاولون بها إطالة أحداث المسلسل بأي طريقة ، منذ متي و هذا المسلسل لم ينته ، خمسة أشهر

-لكل شخص تفضيلاته يا دكتور (هاوس) ، لهذا خلق الناس

- يكون هاوس وغد ملحد لكنني استخلص منه ما هو غير

-نعم ، و ربما تكون سمر خائنة حقيرة ، لكنني استخلص منها ما هو غير ذلك.

قال متوجها نحو المطبخ بينما نظرتة المشمئزة تتابعني...

-سأعد لنا بعض القهوة بينما تنتهين من هذا السخف.

موضوعية لقلنا أن كلاهما أوغاد ،
لكن الدراما لا تعترف بالموضوعية علي كل حال ، بل توجه
مشاعرنا لتتعاطف مع البطل مهما بدا وضعاً...

...

-و الآن عزيزتي سمر ، كيف تشعرين بينما تجلسين مكاني
خلف المكتب بانتظار الإلهام ليأتي و يفك عقدة من لساني ؟

الها طارق بينما يتأرجح علي المقعد الدوار المفضل لي...

-طارق كفاك إضاعة للوقت و انضح قليلا ، دعنا نبدأ الآن.

-حسنا ، هل قمت بصياغة ما قلته بالأمس ؟

وجهت شاشة اللاب توب نحوه فظل يتأمل فيها لثوان قبل أن
يعقد حاجبيه في تعجب تحول لذهول ثم غضب...

-ربما كان طارق وغدا لكن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن
طفولته البائسة كان لها دور في ذلك) ، أي سخف هذا ؟

...

موضوعية.

- هل تسمين هذه موضوعية ؟ إنها أقرب للشفقة ، للبر...
- نعم هذه هي الموضوعية ، من الطبيعي ألا يعجبك هذا الأسلوب لأنه ببساطة ليس أسلوبك.
- فغر فاهه للحظات و كأنما يدير كلماتي برأسه ثم قال...
- ربما يجدر بك نسيان كونك كاتبة روايات لبعض الوقت ، هذه المرة ستكتبين ما أقول بأسلوبتي و صياغتي،إنفغنا ؟
- صفراء كعلامة علي الموافقة القهرية ، و اكتفي هو بهذه الإبتسامة...

2009

الجميع يُمتحن الآن محبطة لي بعض الشيء ، لكنها كذلك كانت مريحة بعض الشيء ، في جميع الحالات لم أكن فرصة مع كلية دار علوم ، لأنني و إن كنت محايدا في موقعي تجاه اللغة العربية ، لكنني أمقت فكرة دراسة فروع اللغة العربية سواء كانت نحو أو بلاغة إلي آخر تلك الأشياء البغيضة... و بالنسبة للعزلة فلم يختلف الأمر كثيرا في المصححة عن خارجها ، فقد كنت ألزم العلمية التي اقتصرتها من الدكتوراة التزام ، و قدرت أنه لو كنت

أريد الشفاء حقا فلا بد أن أدرس طبيعة مرضي ، و لو كان الوقت سيضيع في المصحة فليضيع في صميم العلاج...

هرتني تلك الحقائق التي أدركها عن نفسي لكنني لم أتوقع أن يكون هناك من صاعها بهذه الصورة المعبرة ، كنت أظنها أشياء نشعر بها فقط ولا يمكن تفسيرها بهذه الدقة ، و شيئا فشيئا صرت علي علم بجوانب مرضي بالكامل حتي صارت الدكتورة التزام تنزعج من مقاطعتي المتحمسة لها أثناء الجلسات الأسبوعية...

مقعدتي المعتاد فيها ، و صارت وجوه معظم المرضى و

، و إن كان هناك بعض المتحدثين لأنفسهم و لكنهم لا يشكلون خطرا علي الإطلاق ، لقد شحنتنا السينما ببعض الهراء عن المرض النفسي و العقلي حتي صرنا نتجنب كل من له تاريخ مرضي طفيف لا يكاد

...

كان من ضمن هذه الوجوه المألوفة تلك الفتاة منكوشة الشعر ، ذات الفتاة التي كان التمرجية يلاحقونها في طرقات المصحة ، كانت تواظب علي الجلوس في الحديقة يوميا علي مقعد

الدقة كانت الممرضات هن اللاتي يواظبن علي ذلك ، لأنها لم تكن تتحرك أبدا بدون ممرضة ترافقها ، لكن ما أثار تعجبي بشأنها هو ذلك السكون الدائم و النظرة الشاردة المدعورة لها ، و كأنما تقول عيناها بوضوح (أنا هادئة الآن ، لكنني علي

استعداد لملء الدنيا صراخا في أي وقت) ، من الواضح أنها تثور
يوما و تهذا أب ...

الآن هل كان فراش المصحة أم تمرجي بالمصحة أم مريض

علما بشئون المرضي هنا ، ربما أكثر من الدكتوراة التزام ذاتها ،
أمثاله في كل مؤسسة يتم اعتبارهم جزءا لا يتجزأ من المكان
، هكذا قمت بسؤاله عن تلك الغناة من باب
الفضول ، و كان رده وافيا...

-مريضة حالتها خطرة بعض الشيء.

كما ترون ، معلومات خطيرة و كلام تفيض منه درر الحكمة ، لقد
خاب أملي فيك يا عم طلعت ، أنت عار علي مجتمع الفراشين
أو التمرجية أو أيا كان ما تفعله في هذا المكان...

هنا رن هاتفي الخلوي فقلت في هلع...

-
-
قلت متجاهلة سؤاله...

-
لا أفهم كيف لامرأة ناضجة في الثلاثين أن تستشير شابا
التاسعة عشر بشأن شئ كهذا؟!

-
كانت نصيحة و ليست فكرة ، و في كلا الحالتين لا يفترض بي متابعة اتخاذ القرارات نيابة عنك.

- هذا أفضل ، دعينا ننته من عملنا أولا ثم نتناقش بشأن ذلك.
قلت بينما أضع يداي علي لوحة المفاتيح في إستسلام...

- كاد أن يفتح طارق فمه ليستكمل حديثه لكنه توقف ما ان لمح عيناى المتمركزتان علي شاشة الهاتف...

- لن تهدأي حتي يتصل ثانية أليس كذلك ؟

...

- نهض من مقعده و اقترب من مكتبي قائلا في هدوء...

- هل تريدان حقا أن تكوني خيارا بديلا في حياة أحدهم ؟

- الضغط علي مشاعري لنسيان الماضي ، مهما حدث لن أعيد الإرتباط بجلال ثانية.

قال بينما يأخذ الهاتف من علي المكتب...

- إذن مادام الأمر هكذا سيكون من الأفضل لو نغلق هذا الشئ.

لم أستطع الإعتراض لكنه نظر لي قائلاً بطريقة مسرحية ...
- فقط كي تستمر الحياة.

أعني أنني كنت بكامل وعيي حتي بدأت أندم علي وجودي

كامنة بداخلي ولا بد لي من التخلص منها أولاً من خلال
جلساتها المملة ، و أقول مملة لأنها كانت مملة بالفعل ،
تستمع لبعض الذكريات السوداء ثم تخبرك في نهاية الجلسة
بأن عليك التخلص من آثار تلك الذكريات ، و كأنك بحاجة ماسة
ك بهذه الكلمات السحرية لتنتهي ألامك...

بدأت الأعراض مرة أخرى في الظهور ، و كأن مرضي اطمئن
للمكان بدوره ، بدأت الهلاوس تعاودني مرة أخرى ، بدأت
استمع لذات الأصوات و أصدقها ، بدأت أري أناس أعرفهم في
تي ليلا و أصدق أنهم موجودون ، و التصديق اليقيني
للهلاوس يشبه إلي حد كبير ذات اليقين الذي نشعر به أثناء
الأحلام أو الكوابيس ، و هذا يجعل من مقولة (المجانين في
نعيم) نوعاً من الهراء ، الحق أن المجانين في جحيم ، عدم
القدرة علي التمييز بين الواقع و الخيال هو الجحيم بعينه...

لكن الجحيم أنواع كما تعلمين ، و جحيم الهلاوس لا يضاهاه
الجحيم الرئيسي لمرض اضطراب تعدد الشخصية
واحد فقدت ثلاثة أيام كاملة من وعيي ، كنت أستيقظ من

نومي لأحد يوما كاملا تم انتزاعه دون أن أشعر ، هذا هو
الكابوس الحقيقي
صبة...

كان التشخيص النهائي للدكتورة التزام أنني...

-لديك شخصية مزدوجة ،
نفسية شديدة لم يتم علاجها في طفولتك
كل هذا نتيجة رغبتك في دخول الحياة
الاجتماعية من اوسع أبوابها ، لكنك تري فيها مالا يت
مبادئك و شخصيتك الحساسة ، و لهذا تحاول ممارسة حياتك
داخل المجتمع عن طريق شخصية أخرى تخرج بها طاقتك
المكبوتة ، عليك أن تتغير يا طارق ، دع ذلك الوغد بداخلك يخرج

-لكنني تغيرت بالفعل ، أليست تلك الشخصية الأخرى دليلا
كافيا علي التغيير ؟

- لشخصية الأخرى دليل كاف علي أنك تتجنب
التغيير ، تحاول حماية ذاتك الأصلية بطريقة ما ، ثم إن

تفعل و تشعر و تفكر بأشياء لا تريد للشخصية الأخرى أن تراها
أو تعلم عنها شيئا.

هكذا بدأت الدكتورة التزام تغير من استراتيجيتها في علاجي ،
فانتقلت من طور العلاج الكلاسيكي و النصائح المملة لطور

كما تعلمين خاصة و إن كان يري أمامه طرقا أولية أكثر
سهولة...

كانت الدكتورة التزام علي يقين تام بأنه لا أحد يتغير إلا أن أرا

مالم تظهر عنده الحاجة لذلك ، و طالما أن تلك الحاجة لن تظهر أبداً فقد كان لزاماً عليها أن تصعني في ظروف تجعل مني شخصاً يتعطش لذلك التغيير ، و لا أنكر أنها كانت بارعة في شئ كهذا ، فقد كانت تتعمد مدي سوء حياة الإنعزال و تنفذ إلي أعماقي فأمقتها...

في نهاية إحدى الجلسات تجرات و سألتها عن فتاة الحديقة منكوشة الشعر ، و كان من الواضح أن وصفي بليغاً لكونها أدركته سريعاً ، توقعت ألا تجيني بحجة خصوصية معلومات المرضى ، لكنها أجابت إجابة مقتضبة وافية...

-اسمها أوديت يسري ، حالة إكتئاب ما بعد الصدمة ، و أيا كان الغرض من سؤالك فمن الأفضل لك أن تبقي بعيداً عنها.

-مسيحية ؟

نظر لي طارق في غضب فأدركت طبيعة خطئي سريعاً ، هكذا رفعت يدي لأعطي متظاهرة بالأدب فقال طارق في انزعاج...

- تستطيعين الاحتفاظ بغمك مغلقاً لبضع دقائق ؟

-لا أستطيع الاحتفاظ بأسألتي الفضولية لوقت طويل ، خاصة و أن الأعمار بيد الله ولا أضمن أن تظل حياً حتي تستكمل قصتك اللعينة.

قال بينما يتحسس رقبته في هلع...

-هل فتاة الحديقة المنكوشة هي ذات الخادمة الـ

فتح فمه ليقول شيئا لكنه تراجع و قال ...

-

-

- ومن قال أنك لن تعرفين ؟ فقط كل شيء بأوانه .

-

-

فضولك يضمن لي الحصول علي عشرين جنيها في الساعة .

-

-أيا كان ، ثم إنني لا أفهم كيف لكاتبه روايات تعرف عملها جيدا
أن تحرق أحداث الرواية منذ بدايتها .

-هذا لأنها رواية واقعية كنت طرفا فيها .

قال بينما يرتدي معطفه ...

-فقط إمنحي حياتك بعض التشويق ،
حياتهم بانتظار حدوث شيء ما ، لا يهم ما هو ذلك الشيء لكنهم
موقنين بأنه سيحدث يوما .

قلت متجاهلة كلماته ...

-هل ستذهب الآن ؟

...

-مالم تكن هناك بعض الملابس المتسخة لغسلها فإنني أفضل
ة في جيبي.

...

- ما ، نذهب لبينوس كافيه ، نشاهد فيلما جديدا كما كنا نفعل

عقد حاجبيه بشدة و فتح فمه ليقول شيئا ، لكنه في النهاية لم
يجد شيئا ليقوله و غادر المنزل مباشرة مع بعض الأفك
المستحيلة برأسه...

في اليوم التالي كان أمامي الكثير من العمل لكن شيئاً كان يفقدني تركيزي ، شيئاً كان يقلقني منذ بداية اليوم ، لكنني ألقيت علي طارق مسئولية القيام بذلك الشيء ، هكذا تضاعف

...

كيف كانت ملامح حياتي قبل أن تتمحور أفكاري حوله كل يوم ، أعني أنني أذكرها كذكريات ، و لكنني لا أذكر كيف كان شعوري بتلك الذكريات سابقا ، إنفعالاتي وقتها ، إنها رحمة من الله أن الإنفعالات لا ذاكرة لها بل هي شيء يحدث في وقته و ينتهي ، نبكي ثم نضحك بعدها متناسين كل شيء...

جائني الصوت عاليا من مدخل مكثبي فأجفلت فجأة في فزع و

...

(ثُمَّعِين) البامية علي مكتبك بدلا من الجلوس شاردة كالمعاتيه ، لماذا طلبتيني ؟

...

- لا أعلم ، ربما اشتقت لك قليلا.

- الواقع لا أميل كثيرا لمن يكبرنني بعشرة أعوام.

قلت بينما أجلس خلف مكتبي متجاهلة كلماته...

-
مشاعري تجاه صداقتها كما كانت منذ ثمانية أعوام ، و هذا
سبب كاف كي لا أضحي بوظيفتي مقابل استقبالها في

-
-في غاية البساطة ، خذ سيارتي ، استقبلها في المطار ،
افتلها و أتنى برأسها الصغيرة.

-تبدين غاضبة منها للغاية.

-أنا غاضبة لأنها مازالت تظننا أصدقاء ، لم تدرك الحمقاء أن
دموعي يوم رحيلها عن البلاد كانت كدموع فرحة جلاء

رفع حاجبيه قائلاً...

-الآن بدأت هذه الغتاة تروق لي.

-من الواضح أنك تهيم عشقا

-هذا صحيح.

-هل رخص السيارة معك ؟

-رائع ، خذ المفاتيح إذن و توكل علي الله.

-حسنا ربما لم يكن كلامي واضحا بالأمس حين تحدثت عن
الإحتفاظ بكرامتي بدلا من بعض الفكة في جيبي.

لخاص قبل أن أقوم بترقيتك لتاييست.

-كنت ، هناك أمور كثيرة تغيرت الآن.

قلت بينما أمد يدي نحوه بالمفاتيح...

-هناك خمسين جنيها بحقيبتني تخبرني بأنها لم تتغير كثيرا.

قال بينما يأخذ المفاتيح في كبرياء...

-الآن نتفاهم ، إذن أين أذهب بصديقتك الكريهة بعد جلبها من

قلت بينما ابتسامه شريرة ترسم علي وجهي...

-حتي أنتهي من عملي ، إحلبها لمنزلي ، سأتولي أمرها

...

لم يأت بيده فارغة بالطبع و إنما جاء يحمل فوق كتفه امرأة ذات
شعر أسود قصير تتخله خصل عسلية...

-أيها المتهور ما الذي

قال بينما يلقيها علي فراشي...

.()

-ماذا حدث لها ؟

- إهدئي ، انها غافية قليلا .

- هل خدرتها ؟

- ليست هذه من شيمي ، فقط قالت شيئا عن البنادول لأنها
تشعر بصداق من الطائرة فأعطيتها قرصين من المنوم الخاص
بي ، و بالمناسبة أتفهم الآن سبب كراهيتك لها ، إن لسانها

- مجنون لأنني وضعت حلا يرضي جميع الأطراف ؟ لقد خلصتها

بإمكانك الآن قتلها في هدوء .

هنا حاولت أن أتماسك أعصابي قليلا و قلت في محاولة فاشلة

- ارق ، ربما لا يتعامل أكثر الناس مع من يكرهونهم بنفس
أسلوبك ، هناك اختراعات اجتماعية رائعة علي غرار النفاق أو
المجاملة و هو مالا أظنك سمعت عنه من قبل .

- في الواقع لقد جاملتها هكذا ، لو تركت نفسي لطبيعتي لكنت
أخبرتها بحقيقة أنها انسانة ثرثرة للغاية و تهوي ال
نفسها بلا انقطاع و بصورة غير محتملة ، إنها النموذج المثالي
للشخصية الإنبساطية النرجسية في آن واحد .

- لم تستطع تحملها بضع ساعات فماذا عني أنا صديقتها ؟

قال متوجها نحو المطبخ ...

- إنها مشكلتك علي أي حال ، هل تريد قهوة ؟

- و ماذا ستضع لي في القهوة هذه المرة ؟ مُلين ؟

قال بينما يشعل الموقد...

- يبدو الأمر مغريا و لكن في الواقع ليس لدي الوقت لهذا الآن .

- لماذا ، هل لديك موعد عاجل مع فتاة ما ؟ فقط أخبرني لأكون سعيدة من أجلك .

قال و قد ارتسمت علي وجهه علامات الجدية...

- هل يمكنني استعارة السيارة لليلة واحدة فقط

- يا إلهي هذا صحيح إذن ، تريد استعارة سيارتي من أجل إبهار فتاتك المجهولة .

قال متجاهلا كلماتي...

- أنا ذاهب للإسكندرية الآن ، ربما أعود الليلة أو غدا لا أعرف .

هنا قطبت جبيني قائلة...

- ما الأمر ؟ هل حدث شئ لأحد في عائلتك ؟

- حفل خطوبة أختي الليلة .

رك له لكنني لم استطع تقبل كلماته مع تعبيرات وجهه مما أشعرني بنوع من الغرابة...

- ... و من الواضح أنك سعيد للغاية من أجلها .

قال مستندا بظهره علي النلاحة...

- لم أرهم منذ فترة طويلة ، أشعر بأن الأمور لن تعود كما كانت
بيننا.

...

- التقط نفسا عميقا ثم قال في حماس...

- و ماذا عن قهوتك ؟

قال بينما يرتدي معطفه...

- أعطيتها لصديقتك حين تستيقظ فسوف تحتاجها.

هم بالمغادرة ثم توقف لحظة متأملا صديقتي النائمة و قال...

- تبا لهذا ، عندما

للتخلص من الشخصيات الإنبساطية.

قلت بينما أفكر في ما ينتظرني بعد استيقاظها...

في الواحدة بعد منتصف الليل شعرت بوجود سيارتي أسفل

بها و كأنه ...

نظرت من الشرفة فوجدت طارق مستندا بظهره علي السيارة
بينما يشعل سيجارة ، ظللت بضع دقائق أتسلي بتأمله من

شرفتي قبل أن أحلب هاتفني لأتصل به ، و كالعادة بدأ بالتحدث مباشرة دون أي تحية...

- إذن ، كيف جرت الأمور مع صديقتك ؟

- أخبرتها أنها فقدت الوعي في سيارتك و أنه لولا وجود شاب شهيم مثلك لكان وضعها سيئا.

- و أين هي الآن ؟

- في أحد الفنادق الفاخرة تحدث نفسها أمام المرأة ، بالمناسبة

...

- أراهم يفعلون هكذا في الأفلام ، كلما ضاقت الدنيا بأحدهم يشعل سيجارة.

- و هل نجح الأ

...

- إلي حد ما ، حين أصاب بسرطان الرئة سأجد حتما ما يلهيني

...

- لا أعلم ، ربما نحتسي القهوة و نصاب بالبنكرياس ثم نتعالج ثم نشرها ثانية و نصاب بالبنكرياس ثم

...

-لا أرغب في البنكرياس اليوم ، سأذهب إلي المنزل الآن و

-كان بإمكانك الذهاب إلي المنزل و جلب السيارة غدا ، أنت جئت إلي هنا لأنك تريد التحدث.

...

-لسوف تكنسين سمعة سيئة في البناية بسببي.

الإتصال و ألقى سيجارته ثم فتح باب السيارة ليحلب

...

قال طارق بينما يرشف من قهوته في شرود...

-كان الأمر غريبا ، لم يسيئوا معاملتي و هذا في حد ذاته شئ

لم أفهم شيئا من كلماته و نظرت له في غباء فقال...

-أعني أن المعاملة الرسمية و الإحترام الزائد ليسا من المؤشرات الجيدة علي قوة العلاقة بين الإخوة كما تعلمين ،

سخيف ، لا قرص للحدود بقوة.

قلت بينما أحك في فروة رأسي...

-

تشعر به تحديدا ، لكنني فهمت ما تقصده إلي حد ما.

هنا خطر ببالي سؤال خارج نطاق موضوعنا لكنني لم استطع
كتمانته كثيرا...

-طارق ، ما الذي دار برأسك تحديدا حين طلبت منك أن
ليلة أمس ؟

رفع عينيه نحوي مبتسما و قال...

-دار برأسي أنك طفلة صغيرة خائفة ، تمنى ذات ليلة أن
تختفي أمها المتسلطة من الوجود ، و حين تحققت أمنيتها في
الصباح طارت من الفرح و ظلت تلعب و تلهو حتي أتى الليل ، و
حينها لم تجد من يروي لها الحواديت ، و لم تجد من يقبل حينها

أطرقت بوجهي نحو الأرض لبضع ثوان متأمله في كلماته ، و
حين حاولت البحث عن رد مناسب لم أجد سوى رد واحد

-نعم و حين بحثت عن يروي لها الحواديت لم تجد سوى
معتوها مثلك.

ساد الصمت للحظات ظل فيها كل منا يرشف من فنجانته و كأننا
زء ، و حين أنهى طارق فنجانته صفق بيديه فجأة قائلاً

-هل تمزح ؟ الآن ؟

-إنه الوقت المناسب ، في أحيان ليست بالقليلة تكون المعاناة سببا رئيسيا في ولادة الإبداع ، و كلما زادت المعاناة ز

علي الطاولة في عصبية لأتوجه أمامه نحو ()
كما يسميها...

...

العجوز المصاب بنوع فريد من الزهايمر ، ينسي و يتذكر في
مديونا لأحدهم فإن
أعراض الزهايمر تبدو عليه جلية واضحة ، بينما يتمتع بذاكرة

...

و شئ كهذا كان لابد لي من استغلاله ، أنا لم أقم برشوة
أحدهم من قبل لكنني فعلتها و انتهى الأمر ، خمسون جنيها

()

من يقبل الرشوة قد يفعل أي شئ آخر ، ثق بهذا...

لم أستغرق وقتا طويلا في العثور علي ملف الفتاة المسيحية ،

بسيط هو أنني أنا
نفسي لم أكن أدرك طبيعة دوافعي وقتها ، فقد كنت أتحرك بلا
هدف ، أو ربما كنت أتحرك لهدف ما لكنه لم يكن نابعا من
داخلي ، ليست دوافعنا كلها مفهومة علي أي حال...

أوديت يسري ميخائيل...

كان ملفها حافلا ، لا أصدقاء ، لا علاقات عاطفية ، لا وجود
بعض الملاحظات علي الحالة في نهاية كل جلسة ، هذا شئ
ورائها ، غالبا ما يمتلك مرضي اكتئاب ما بعد الصدمة قصصا
مسلية و مثيرة نوعا ما...

منه اسطوانة بيضاء مكتوب عليها بخط أزرق ردئ (باسيكاليا)
هكذا بدأ فضولي يشتعل نوعا ما و قمت بتشغيلها علي
كمبيوتر المكتب ، كانت الإسطوانة تحوي ملف صوتي واحد
يحمل ذات الاسم المكتوب ، و حينما قمت بتشغيله انبعثت من
يقفي اقشعر لها جسدي منذ بدايتها ، كانت
تشبه إلي حد كبير تلك الموسيقى الجنائزية التي لطالما
سمعتها في الأفلام الأمريكية داخل الكنائس قبل مراسم

...

هكذا لم أنتظر سماع المزيد ، من الواضح أن الفتاة لا تهدأ
أعصابها إلا ببعض من تلك الموسيقى الدينية ، ولا بـ
الترانيم أيضاً ، تبا لذلك لقد أضعت وقتي و نقودي من أجل
محاضرة عملية عن مقارنة الأديان...

هنا لم أتمالك نفسي من الضحك ، ليس لشئ قاله طارق و
لكن لأن التيار انقطع قبل أن أقوم بحفظ ولو نصف كلمة مما

...

...

- لماذا لا أستطيع استكمال صفحتين علي الأقل دون أن يحدث
شئ لعين يقاطعني ؟

- ليست مشكلة سنستكمل عملنا حين يعود التيار.

- لا أظن ذلك ، سأذهب للبيت و أنام ، لا يوجد عندي اليوم أمل

- لا تيأس يا طارق ما زال أمامنا الليل بطوله.

...

- عندما أكون متحمسا لشئ تعارضينه و عندما يخبو حماسي

- إذن لماذا وضعت الفئجان بعصبية منذ قليل إذا كنت متحمسة
هكذا للكتابة ؟

- حدثت في قصتك ، إنها أعطت نوعا من الحركة و الحياة للرواية
لو كنت تفهم قصدي.

قال في غير اقتناع...

- امممم ، نعم أفهم.

- إذن هل نستكمل ؟

- نعم ، ربما سنلجأ لبعض الأساليب البدائية لكنني لن أنتظر
عودة التيار علي كل حال.

هكذا بعد أن قمت
و شرعت أنا في الكتابة ، و عاد طارق للسرد في هدوء...

أمور كثيرة لم أفهمها ، حتي شعرت أن الجميع يعلم باقتحامي
لمكتبها ، الممرضات و التمرجية و بعض المرضى النصف
عاقلين، جميعهم ينظرون لي نظرات خبيثة خاطفة و كأنني
فعلت شيئا مشينا يعرفونه جميعا ، حتي الفتاة المسيحية
تغيرت نظرتها الشاردة كثيرا و صارت تنظر نحوي بصورة مبالغ
فيها حتي صرت شبه موقن بأن الجميع يعرف ما فعلته ، هكذا
لم أشعر بالذنب كثيرا تجاه قراري بقتل عم طلع
لابد أن ذلك النصاب العجوز وشي بي ، لا يوجد تفسير آخر غير

...

و في جلستي التالية بمكتب الدكتورة التزام كنت أشعر أنها
ستواجهني بحقيقة علمها للأمر مباشرة ، إذ أن تعبيرات وجهها
و نظراتها لي منذ دخولي لمكتبها لم تعد أيضا مثل ذي قبل ،
كان وجهها يقول أنها تعرف كل شيء ، هل يحتمل أن أكون قد
تركت خلفي أثرا يدل علي دخولي لمكتبها ؟

كانت جالسة علي مكتبها تنقل بصرها بيني و بين بعض
الأوراق بملفي ، و كنت مستلقيا حينها علي الشيزلونج أرتجف
مما هو قادم ، حسيما أظن لا يتساهل الأطباء النفسيين في
خصوصية مرضاهم بسهولة ، هكذا تحدثت في هدوء بينما كانت
تكتب شيئا و قالت...

-أخبرتكَ أن تبقى بعيدا عنها.

قلت بينما نظراتي مسلطة علي أحد المصايح في سقف

...

- صار الجميع يعرف قصتكما.

- أعلم ، و عندما أري عم طلعت هذا سأسلخه حيا.

حينها قائلة في استغراب...

هكذا اعترفت لها بكل شئ أمام نظراتها الصموت الغامضة ، و
ما ان انتهيت حتي أخذت نفسا عميقا و قالت بنفس البرود...

هذه هي نتيجة التسرع ، إنه ذلك التأثير اللعين لقانون (...) ،
هكذا ابتلعت ريقى متصورا وجه عم طلعت عندما يعلم أنني كنت سيبا في خراب بيته ، لكنه
يستحق نهاية كهذه علي كل حال...

- لا يوجد شئ آخر ، أقسم أنني لم أسرق شيئا من المكتب ،

قالت متجاهلة كلماتي...

- هل تعرف أوديت ؟ تلك الفتاة التي اطلعت علي ملفها.

- صدقا كان مجرد فضول أحقق ، و أقسم أنه تبخر حين اطلعت
علي ملفها.

أو بالأحرى حين استمعت لتلك الاسطوانة المشنومة...

- في الجلسات الأخيرة لم تتحدث عن شئ سواك ، ناهيك عن أنها لم ت

- قالت أنك تتحدث معها بشكل جيد و أنها بدأت في الشعور

- قالت أنها وجدت فيك ما فقدته مع رحيل أمها.

رفعت حاجبي في اندهاش قائلا...

- و الذي هو ؟

مدت رأسها نحوي قائلة في اشمئزاز...

هنا بدأت الأمور تتضح شيئا فشيئا ، لم تكن نظرات الفتاة المسكينة نحوي سوى نظرات إعجاب بمريض نفسي...

- في الواقع ليست هذه المرة الأولى التي أواجه فيها موقف كهذا ، هناك كثيرات في شارعى قمت بمعاكستهم مؤخرا ، كان لابد لي من اختيار مصحة ذكورية فقط.

...

- إحم ، إذن أستنتج من هذا أنك أخبرتها بحقيقة مرضي.

-
-لأنها تتحسن.

-لا أفهم.

أخذت نفسا عميقا ثم قالت...

-هل كنت حقا تظنني سأجازف بكشف أسرار مريضتي لك دون

...

-أها الآن أفهم ، إذن فهناك خطة ما.

-و ما هي ؟

-لا شيء ، فقط دعها تحبك.

-لكنني لا أحبها و لن أحبها ، أنا مريض بالإنفصام يا دكتورة و
حتما أعبث بها و أخدعها في لحظاتي الغير واعية.

-لا يهم طالما أنها في طريقها نحو الشفاء.

كانت فكرة متهورة لكن ثقتها في ما تقوله جعلتني أشعر بأن
لديها ثقة في ما تفعله أيضا...

-أنت علاجك بسيط للغاية و لكنك تصر علي التمسك بموقفك ،

كبقية البشر ، و حينها ستخرج من هنا معافي.

-سأحاول ، هل لي من طلب أخير؟

-

-

.....

...

الكتابة بالأمس ، و هذا

لمواصلة الكتابة و أوهمت نفسي باليقظة ، تري ما الذي قاله طارق حين غلبنى النوم أمامه ؟ لابد أنه قام بتغطيتي ثم قال تعليقا سخيفا قبل أن يضرب كفا بكف و يغادر مشغفا علي

...

علي الأرض ، مددت يدي نحو حافة المكتب استند عليه كي لا أقع ، و حين استعدت توازني لمحت قصاصة فوق الأجندة الموضوعه علي المكتب مكتوب عليها بخط غاضب أو يحاول أن (سأتقاضي ضعف أجري لتلك الليلة ، لن أتهاون في

...)

و لكن حين تصفحت الأجندة أدركت أنه استكمل بعض الأحداث

...

هذا و نظرا لأن اليوم هو الجمعة فقد قررت أن أعطي نفسي فرصة للإستيقاظ و عمل فنجان قهوة قبل أن أقوم بقراءة و نقل

...

بعد بضعة أسابيع غادرت أوديت المصححة...

بضعة أسابيع من النظرات و الابتسامات الغامضة ، لطالما كنت أسمع عن لمسة الحب الأولي و كم هي رائعة لا يمكن وصفها ، لكن الأقدار شئت أن تبدأ قصة حبي الأولي و تنتهي دون وعي مني علي الإطلاق ، ربما ليست بالبداية الرائعة لكنها

...

لم أرها قبل مغادرتها و لم استطع حتي توديعها ، ربما قمت بتوديعها لكنني لا أعلم ، و الدكتورة التزام اللعينة ترفض الإفصاح عن أي شئ حتي فيما يخص علاقتي بأوديت ...

فقط استيقظت ذات يوم لأجدها قد اختفت بلا أثر ، كرسيها الحديقة صار فارغا ، غرفتها تنظفها إحدى العاملات في سعادة و كأنها تخلصت من ثقل كانت تحمله ، لا تمتلك كل العاملات هنا الحنان الحقيقي الذي نفتقده بأمهاتنا ، تلك السيدة لديها عائلة بحاجة لهذا المرتب الضئيل الذي تتقاضاه هنا ، لذا ليس لديها الوقت ولا الصبر لهما

...

برغم كل شئ شعرت بشئ من الراحة لانتهاء مهمتي مع تلك الفتاة ، فمسألتها كانت تشعرني بنوع من المسؤولية نحوها ، و أنا أكره المسؤولية حقا...

قاطعني رنين هاتفي المحمول فنظرت لأري المتصل...

يا إلهي كدت أنسي أن صديقتي المزعجة سالي في القاهرة ، كنت قد اتفقت معها علي قضاء اليوم سويا و لكنني نسيت كل شئ بشأنها ، تري كيف سيمر هذا اليوم ؟ سأحتاج علبة بنادول حتما ، الكثير منه...

هكذا أنهيت مكالمتي معها ثم طلبت رقم طارق علي الفور ، و

...

-كونك استيقظت باكراً لا ي

تجاهلت كلماته قائلة في لهفة...

-نعم أري أنك تعاني بالفعل من الأرق ، لقد أشفقت عليك
بالأمس من عدم استطاعتك النوم بينما أنا....

-طارق بدون تعليقات سخيفة ، إنه ليس لي.

...

-أه ، الآن أفهم ، موعد آخر مع صديقة عزيزة.

-نعم لكنه من باب الإحتياط فقط ، إن صبري أطول منك لكنني
لا أضمنه اليوم.

هكذا بعدما رسمت خطة لقضاء اليوم شعرت بالراحة و
الاطمئنان ، نظرت إلي الساعة ، و عدت أقرأ في هدوء...

بالرغم من ان الحصول علي اصدقاء في المصححة ليس شيئاً
مستحيلاً لكنه كذلك ليس شيئاً سهلاً ، إن المريض النفسي
نادراً ما يثق بأحد ، لذا فإن فرصك للتعارف هاهنا تنحصر في
مشاركة الإهتمامات المرضية ، بصورة أكثر وضوحاً لابد ان
تشارك المريض عالمه الخاص لكي يشعر انك تفهمه و تهتم
لأمره و تنتمي لعالمه الخاص ، إنها سيكولوجية يستخدمها
الطبيب النفسي المحترف لمحاولة الأقترب قدر الإمكان من

مكامن المرض النفسي لدي المريض ، و لسبب كهذا ظلمت

هم الأطباء النفسيين ذاتهم ، لأنهم يعيشون
نفسية في اكثر من وقت...

هكذا صادفت ذات يوم شاباً وسيماً علي مشارف الثلاثين تقريبا

تصاحبهم الممرضات اكثر الوقت لابد و أن تتأكد انهم حالات
خطرة أو غير مستقرة او معرضة لإنتكاسة او سيكوباتية ،
زائد او اي مبرر آخر لوجود هذا الشيطان الأبيض المتململ
بجانبه ، يخيل إلي ان الممرضة وحدها قد تضيف الإكتئاب الي

...

ان تكون مجرد شخبطة عفوية ، كأنه يعرف مساره جيدا ، يعرف
، كأنه يري هذه الشخبطة واقعا امامه ،

زخاليه المريض عتبه المعقول ، لكن نظرة واحدة إلي ملامحه
الهادئة تجعل من الصعب تصنيفه تحت قائمة المرض النفسي ،
لطالما حاولت ان افهم الفن التجريدي لكني دائما ما أنتهي
لنفس ماينتهي اليه أغلب الناس ، إن الفنانين التجريديون هم
أناس احترقت فيوزات عقولهم ، و أما الفن التجريدي فهو
الجنون بعينه ، هذا لو كان فنا من الأساس...

كان هادئا ذو ملامح هادئة حتي لتشعر بأنه نسيمات الهواء في
ليالي الصيف ، و أنا لا أتغزل فيه لاسمح الله لكني
توضيح الصورة ، هكذا إنتهزت اول فرصة يكون فيها وحده لأفتح

الممرضة وحيدا بعض الوقت ، كان يبدو انه اكبر مني بحوالي

سبعة اعوام ، لكن في مكان كهذا تتلاشي جميع الفوارق

...

هكذا حاولت ان اقف بجانبه بينما يرسم مبديا إعجابي الزائف...

نظر لي ببراءة ثم ابتسم ابتسامة مغزاها انه يعرف جيدا أنني
أنافقه أو أظهاره بأنني أفهم شيئا من هذا الهراء ، هكذا واصلت

...

-حسنا ربما أكون منافقا كما تظنني ، و لكن هلا أخبرتني حقا
بما تعنيه هذه

توقعت أن يقول شيئا عن)

(إلي آخر هذا الهراء ، لكنه

قال بذات الإبتسامة الهادئة التي بدأت تزعجني...

-نعم ، لكن لا بد أن لها معني مفهوم.

-بالكلمات ، لا بد أنك تفهمني.

-نعم الآن أفهمك ، إنها لوحة خاصة بك لا يمكن لأحد الشعور بها

-شيئ كهذا.

قلت و قد بدأت أشعر نحوه بالإرتياح نوعا ما...

-أعذرني كنت أخشي أن تكون أحد هؤلاء التجريدين
رأيا في الفن التجريدي قد لا يعجب خريج فنون جميلة مثلك.

-إذن إطمئن تماما ، ليس هذا فنا تجريديا ، و أنا لست خريج
فنون جميلة ، لكنني تشرفت بمعرفتك يا

-طارق ، طارق حسين.

...

-أحمد سامي ، طيار مدني سابق.

...

لم تكن سالي بهذا

صحيح أنها مازالت تهوي الحديث عن ذاتها بكثرة ، لكنني
شعرت بحنين لأيام الشباب حين رأيت وجهها ، و ظلت أتذكر
كل مغامراتنا سويا ، و بدأت أتعجب من فكرة كراهيتي لها ،
كيف كانت صديقتي المقربة إذا كنت لا استطيع تحملها ، أعني
كيف تمكنت إذن من تحملها كل تلك السنين إذا كنت أمقتها
لهذه الدرجة ؟ إن من يمقت أحداً لا يتحملة كل هذه السنوات

...

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنني كنت أتحمّلها لأنني كنت
بحاجة إليها ، كنت بحاجة إلي صديقة أيا كانت ، إن الإنطوائيين
لك الإنتقائية في اختيار أصدقائهم ، و لهذا
يقعون دائما في شرك صداقة هؤلاء المنبوذين من الآخرين ، و
الذين لم يجدوا مغفلاً آخر يقبل الحديث معهم و يتحمل هراثمهم

...

في الثالثة عصرا ذهبنا لتناول الغداء في أحد المطاعم ، كنت شاردة الذهن نوعا ما و بداخلي تساؤل م خمس دقائق ، هل كان أحمد سامي حقا مريضا نفسيا أم أن ذلك الذي ذكره طارق هو شخص آخر بذات الإسم ؟ علي حد

...

-حدثيني إذن عن نفسك قليلا يا سمر ، ما أخبار حياتك العاطفية في غيابي ؟

فلت فجأة من سؤالها ، ليس لأنني كنت شاردة و لكن لأنها من المرات النادرة للغاية التي تقوم فيها سالي بسؤالي عن أحوالي الخاصة ، هكذا بدأت في تذكر الأمور بصعوبة ، ليست أحداث حياتي العاطفية بالشئ الذي يمكن نسيانه بسهولة ،

...

... ..

... ..

قالت و كأنما لم تعر اهتماما لكلامي...

-لكن استقلالك بحياتك بعيدا عن أمك كان خطوة جيدة منك ، صحيح أنها جاءت متأخرة لكنها جاءت في النهاية.

قلت في شرود بينما أعبت في طبقي بالملعقة...

-نعم ، العبرة بالنهاية.

في السابعة مساءً دلفت إلي شقتي مرهقة للغاية ، فكربا و جسديا و نفسيا ، فكرة الجلوس مع سالي وحدها ترهقني فماذا عن الجلوس معها فعليا...

هكذا ارتميت علي أريكة الصالون بينما أفكر في بطارق و الإعتذار عن الكتابة هذه الليلة ، لكن فضولي كان يمنعني كالعادة ، حيث أنني كنت أرغب للغاية في معرفة حقيقة الكلام المكتوب عن أحمد سامي...

هكذا تراجعت عن قراري و قمت من مكاني متوجهة نحو

خرة ، لا يوجد سوي وغد واحد يهوي دخول شقتي دون

...

-أيها ال.....

هكذا دون أن أتبع آثار الحذاء توجهت مباشرة نحو غرفة الحكايات لأفتح بابها في عنف و غضب...

-

للتو فهل حقاً تجددين في دخولي بالحذاء

- مشكلة كبيرة ؟

-هل تعلم كم أجاهد للحفاظ علي تلك السجادة نظيفة ؟

-و هل تعلمين كم أجاهد للحفاظ علي سمعتي كوغد عديم

قالها طارق مواصلا الكتابة علي الكمبيوتر دون أن ينظر لي مما أشعل غيظي أكثر...

-كيف دخلت إلي هنا من

قال بينما يلقي نحوي عصا خشبية صغيرة...

- كانت عصا خشبية من ذلك النوع الذي يتخلف بعد تناول الأيس كريم منقوشا عليها نقط غائرة كنتك التي في مفتاحي

-و أنا التي اختارت مفتاح الكمبيوتر لأنه لا يمكن تقليده ، أين تعلمت هذا ؟

-هاوس ، ال من اليوتيوب.

-رغم غضبي ابتسمت متأملة تلك العصا ، هذا شئ ألمعي و يجب الإعتراف بهذا ، من النادر أن توحى لنا صفحة يوتيوب المسالمة بتلك الأفكار الإحرامية...

-لا أدري من هذا اللص الذي ينشر أسرار مهنته علي الإنترنت.

قال بينما يعلق الحاسوب...

-ربما لص يتطلع لما هو أكبر من مكاسب شخصية.

-ربما يجدر بي تغيير الكالون قريبا.

-هل يمكننا البدء بالكتابة و ترك هذا الأمر الآن ؟

قلت متوجهة نحو غرفتي...

-ليس قبل أن أستحم و اشرب قهوتي
مفيدا و تعد لنا بعض القهوة بدلا من العبت بمفاتيحي.

لا أفهم سر هذه النقطة حتي الآن...

فلماذا يكون الطيارون وسماء دائما ؟ أعني أنها وظيفة مرموقة
ولا يستهان بها حقا لكنني لا أعتقد ان الطائرة قد ترفض
التحليق يوما لأن الطيار أصلح أو دميم الخلقة ، و لكن إحقاقا
للحق لا يمكن ان نعتبر كل الوسماء ذوي حظ بهذه المهنة ،
خاصة إذا بدا عليهم بوادر عدم الإستقرار النفسي...

و لأن هناك الكثير ممن لا يميزون ، و يعتبرون ان المرض
النفسي هو نوع واحد يسمى الجنون ، فقد كان هذا كفيلاً

...

لذا نجده في ايام معدودة فقد وظيفته ، فقد هيبته و فقد
مكانته ، فقد زوجته و فقد اهليته...

كان انطباعي الأول عن أحمد سامي غير واضح المعالم ، و

عبرته شخص غامض للغاية رغم أنه يبدو طبيعيا في تصرفاته

أن تملك سيبا وحيها لوجودك بمكان كهذا ، و أحمد سامي لم
يكن يملك هذا السبب...

...
-هل ستنزعج كثير
قلت في اندهاش...

-بالطبع لا هذه خصوصياتك ، لكن لا تؤاخذني..
مرضي في مصحة نفسية ، إن الخجل من أمراضنا هو آخر ما

-
ثم تم توظيفي و تزوجت ، ثم ببساطة
تسريحني من العمل كطيار ، و بعد بضعة أسابيع طلبت زوجتي
الطلاق فأعطيتها إياه.

-هكذا ببساطة ؟

-هكذا ببساطة.

ظون بالسنتهم داخل أفواههم ، لكن ألا
يمكنه التحدث بشئ من التفصيل و ليخرس بعدها إلي الأبد...

- كان طياراً.

-لا أحد يعلم الكثير عن أحمد سامي لأنه قليل الكلام ، و لهذا
فهو أفضل أصدقائي علي الإطلاق ، بصرف النظر عن فارق
السن الشاسع بيننا.

-لكنني أتعجب كيف لرجل متزن كأحمد سامي أن يكون مريضاً
نفسياً ؟

قال بينما يرشف من قهوته في هدوء...

-كل هذه التساؤلات مررت بها فيما بعد ، و لسبب كهذا أمرتكِ

مرت بضع ثوان قبل أت أدرك ما يقصد بتلميحه هذا ، و أواصل

...

انتهت امتحانات الترم الثاني في ذات الوقت الذي صرت فيه مؤهلا للخروج من المصححة ، و كنت قد اتخذت قراري لكلية أخرى بمجرد خروجي ...

المغناطيسي ، و هي المرحلة التي لو كانت بائت بالفشل لاضطرت بعدها للدخول في مرحلة جلسات الكهرباء ، و هو الشئ الذي جعلني استجيب لعلاج التنويم قهرا ، هذه ميزة أن

...

لم يكن التنويم صعبا ، لكنه كذلك لم يكن سهلا ، فقد كانت

خصيصا لتمنع دخول أي مؤثرات صوتية تقاطع عملية التنويم ، و حين يحدث الدخول في حالة التنويم أكون علي وعي بكل ما

تأمرني به الدكتوراة ولا أفكر إلا فيما تأمرني به الدكتوراة ، إنها تجربة فريدة لكنها مزعجة ، لأنك تفقد فيها احساسك بالزمن و الإتجاهات ، لا تدرك ماض من مستقبل أو أبيض من أسود...

هكذا قبيل خروجي من المصححة بأيام صرت بمعجزه ما ذلك

داخلي ذلك الوغد الذي لا يهتم إلا بأهوائه ، صحيح أن

شخصيتي و ذكرياتي لم تتغير ، لكن أفكارى و دوافعى و
المبادئ التي كنت أتبناها ، كل شئ تغير ، صرت أتهاون في
التمسك بتلك المبادئ التي تربيت وفقا لها ، و التي كنت
مستعدا لدفع عمري مقابل الدفاع عنها...

إن الأمر يا عزيزتي سمر لا يتعلق أبداً بالخبرة التي تلقاها الفرد
بصفتها ذكريات مخزنة في الذاكرة ، بل يتعلق بتلك الخبرة
بصفتها إنفعالات عاشها المرء في صغره ، و تغلغت في داخله
حتى صارت جزءاً لا يتجزأ منه ، لأن الذاكرة قابلة للنسيان و
التشتت ، بينما الإنفعالات لا يمكن نسيانها ، إنها أشبه بذلك
العطر الذي ما أن تشمينه حتى تسترجعين تلك اللحظات
القديمة ، لا تعرفين ما هي تلك اللحظات تحديداً ، و لك
تسترجعين ذات الإنفعالات التي راودتك في تلك اللحظات ،
سواء كانت مؤلمة أو سعيدة...

هكذا قبل مغادرتي كان بداخلي تساؤل موجه للدكتورة

...

-

ردت بنقّة بينما تدون شيئا في أجندتها...

- غالبا لا ينفذ لجذور المرض ، ورقة خادعة ، لكنها ليست

- هذا إذن كل شئ ؟

- نعم ، هذا كل شئ.

-

هنا رفعت عينيها نحوي و خلعت نظارتها قائلة...

- (إفعل الخير و القه في البحر) ، لقد ساهمت في علاج

- هذا إذن كل

- نعم ، هذا كل شئ.

هنا قالت في نفاذ صبر...

- هلا اهتممت بأمورك الشخصية فحسب ؟

- حاولت لكن عم طلعت أراد رفع قيمة الرشوة.

- حسنا ، هذه المرة لا مزيد من أسرار المرضي ،
القادمة حين تصاب بمرض ما فلتذهب لطبيبة غيري.

- هذا إذن كل شئ ؟

...

- نعم هذا كل شئ.

ساد الصمت لثوان حين توقف طارق فجأة عن السرد ، و حين

ما ، إنها عادتني أيضا حين أتصفح ذكرياتي الجميلة أمام المرأة

...

-هذا إذن كل شئ ؟

رفع عينه نحوي بذات الإبتسامة الهادئة و قال...

-ليت هذا كان كل شئ.

أخذ نفسا عميقا ثم نهض من مقعده و شرع يرتدي معطفه...

-

-يكفي هذا لليوم.

-لا أفهم لماذا تشعرني كل مرة بأنك ستسرد الكثير ثم تنهي

-إسترجاع مثل هذه الذكريات ليس بالشئ السهل لو كنت
تظنين هذا.

-لا أري بها شيئا مؤلما حتي الآن.

-

قطبت جبیني في استغراب و قلت...

-

هنا اقترب نحو المكتب و قال...

-هل تظنين حقا أن بإمكانني استعادة كل التفاصيل الصغير منها
و الكبير ؟ أنا لا أسرد سوي تلك الومضات التي تفصل مراحل

حياتنا عن بعضها ، نقاط التحول ، لو كان وعينا يستوعب تفاصيل
التغير التدريجي لكنت الحياة أصعب من أن تحتمل.

-إذن ستذهب للمنزل و تنام.

- يد النوم باكرا للذهاب غدا للإستفتاء ، بالمناسبة
بماذا تنصحيني ؟ أوافق علي التعديلات الدستورية أم لا ؟

-لهذا السبب يسمونه استفتاء.

-أعلم و لكن أعني أنه بصفتك امرأة قانون فلا بد أنك تفهمين
في مثل هذه الأمور أكثر من مواطن عادي مثلي.

-ربما كان عليك أن تتعب قليلا و تقرأ التعديلات قبل أن تقرر ،
إنها أوضح من الشمس بالنسبة لرجل أمي.

هكذا هز رأسه في غير اقتناع حين أدرك أنه يضيع وقته في
الحديث معي ، و ذهب دون كلمة أخرى...

هلوس

الحقيقة أن وراء علاقة العمل هذه
أشعر بها ، راحة تكمن في
معه بوضوح بالغ ، علي حقيقته ، دون أقنعة
العواطف و الرومانسية البلاء، كأنني أري

HD

النقاء ، و رغم بشاعة ما أراه لكن هناك
نشوة غريبة في رؤية تلك البشاعة وجها

...

(1)

... في اليوم التالي شعرت بالحماس

و كأن اليوم هو عيد يحتفل به المصريون جميعا ، الكل سعداء و مبتسمين برغم زحام لجان الإستفتاء و طول الطوابير ، و برغم ذلك لم تتغير حالتي عما كانت عليه قبل ثورة 25 الترقب و التشكك و الارتباب ، هناك شئ ما خطأ ، هناك خدعة هناك مؤامرة تحاك من خلف الشعب و أن الثورة مازالت لم تفعل شيئا قط...

هكذا بعدما انهيت اجراءات الاستفتاء رن هاتفني ليته لم يفعل ...

-سالي ، كيف حالك ؟

في البداية ظننته رقم الفندق الذي تقيم به سالي ، لدهشتي جائي صوت ذكوري مهذب قائلا بأسلوب

...

-عفوا هل أنت صديقة الأنسة سالي ؟

...

-الآنسة سالي زودتنا برقمك و قالت انها ترغب بحضورك لها الآن ، هي لدينا منذ مساء أمس في مستشفى الوفاء و الأمل

لسبب ما تعاني المستشفيات من مشكلة مزمنة مع تلك
() (النور و الحياة)
ليست كلها لكن أكثرها يحمل ذات التوليفة عديمة المعني ،
لماذا لا يسمونها مثلا ()
ما علينا..

حين دلفت لغرفة سالي بالمشفي كانت في حال جيدة تماما ،
عدا أن قدمها مجبسة لكنها مزاجيا كانت في أفضل حال
...

-سمر ، هل رأيتي ما حل بي ؟

-

-

بمصر لن تكون مثالية.

-ستضطرين لتأجيل

-نعم و لكن هناك مشكلة تزعجني ، و هذا ما طلبت رؤيتك

-

-

توجهت نحو باب الغرفة لأغلقه في توجس ثم عدت لها لتقول...

-يمنعون التدخين هنا ، أتشوق لتدخين سيجارة واحدة منذ

-
-أريد منك إحصار علبة سجائر و الجلوس معي قليلا بالغرفة ،
لن يكتشف أحد ذلك طالما لا يمكنهم الدخول علينا.

-هل جننت يا سالي ؟

-نعم ، حين يتعلق الأمر بالتدخين أجن ، ألا تدخين أيضا ؟

-
-كاتبة روايات ولا تدخين ؟ حتما تمرحين.

-
-ط إنهما شئ واحد ، كاتبة روايات عاطفية تعني
إنسانة تحلم بالعاطفة ولا تنالها ، هكذا تصاب بالاكئاب و تصبح
مدمنة تدخين عصبية.

-
-كدت أن أقول شيئا لكن ردها أدهشني بقوة ، ليس أيضا لأنه
رد جارج و لكن لأنه بدر من شخصية سطحية كسالي ، هذا

...

-
-هذه الأمور تستغرق وقتا كما تعلمين.

-المهم هل ستساعديني في هذا ؟

!!

هكذا بعد عدة دقائق وجدت نفسي خارج المستشفى أبحث
عن كشك ما لبيع السجائر ، إنها المرة الأولى التي أبحث فيها
عن غرض كهذا ، و أثناء بحثي رن هاتفني حاملا معه مصيبة

...

()

- () عزيزتي سمر ، هل هناك سبب لكونك
سعيدة هكذا اليوم ؟

...
- الاستفتاء ، و في الواقع هناك مشكلة تواجهني الآن .

- إذن أسرع لأنني أواجه مشكلة أكبر منها الآن .

- ماذا بها ؟

- لا أعلم ، يخيل إلي أنها جيدة حقا و تستحق الموافقة .

- و لكن لسبب ما يخرج الجميع

قلت بينما أحاول عبور السيارات ...

- حسناً الأمر بسيط للغاية ، هل معك عملة معدنية ؟

- هل تمزحين ؟

- في الواقع لا ، هكذا قمت أنا أيضا بالتصويت ، و لسبب بسيط
هو أنني وقعت في تلك الحيرة أيضا .

-رائع ، كيف لم أفكر بهذا ؟

قلت بينما أتوجه لكشك سجائر صغير لمحتة عيني...

-فقط حاول تجاهل نظرات المحيطين بك .

مرت بضع ثوان لم أسمع فيها سوي صوت الضوضاء المحيطة

...

-و الآن هل تريد شئ آخر ؟

-

...

إصبعي بهذا ؟ بالطبع لا هل جنت ؟ لن أتمكن من إزالة تلك
الصبغة ثانية.... .. و الآن هل رأيت ما الذي فعلته
؟ هل تعرف كم يساوي ذلك المعطف ؟ أيها الأوغاد ، إن معي
محامية علي الهاتف و لسوف أقاضيكم جميعا بتهمة
.....تلطيخ أصابع الجماهير و ملابسهم .

و بعض الكدمات في وجهه...

-سخافة ، كل واحد منهم يلتقط صورة لإصبعه في بلاهة و كأنه

قلت بينما أضغط بقطعة قطن علي إحدي الكدمات بقوة...

-

- ذلك ، و هذا بالمناسبة لا يغير من حقيقة أنك تستحق ما

- أعلم أنني أستحق كل مصيبة تحدث لي ، و لكن طالما الأمر هكذا فعلي الأقل يمكنني أن أمتلك حرية إختيار تلك المصيبة.

- أنت توقع نفسك في المشاكل ، هذا عين الإختيار.

هكذا يرفع عينه نحوي في غل ثم يبعد يدي عن وجهه قائلاً...

- يكفي هذا ، أنا بخير.

قام متوجها نحو معطفه المتسخ و قال...

- هل بالإمكان تنظيف ذلك ؟

...

- لمثل هذا خلقت النساء.

...

- هذا رائع حقا لكنني أقصد هل بإمكان مغسلة ما تنظيفها.

هنا أعطيته ظهري متوجهة نحو المطبخ و قلت بنبرة ...

- لا أعلم ، بإمكانك سؤالهم.

و حين دخلت المطبخ جائي صوته من الخارج صائحا...

- تجاهدين لتشعري أنك امرأة.

رددت عليه بصياح أعلي قائلة...

-
-
حقا ؟ أرسلني تحياتي للأستاذ جلال إذن .

هنا خرجت من المطبخ متوجهة نحوه بينما كان
تنظيف معطفه المتسخ....
!!

و في غرفة الحكايات ساد بيننا صمت غير مألوف ، مما
اضطرنني للتظاهر بالمودة...

-
هل يمكننا الشروع في العمل دون التحدث عن هذا ؟

-
الجديد في هذا ؟

-
الجديد أنك تجاوزت الحدود ، تعلم أن هذا الموضوع حساس

صمت قليلا ثم قال ضاعطا علي اسنانه...

- فقط فلننس ما حدث ، هل يمكننا الآن العمل في صمت؟

لم أقل شيئا بل رفعت يدي في أدب كدلالة علي وجود
تساؤلات فضولية كالعادة...

-التظاهر بالأدب حاليا ليس بالطريقة المثلي لكسب رضائي.

أخذ نفسا عميقا و قال في نفاذ صبر...

-

-

...

-فلتكن أسألتك قصيرة ، مباشرة ، و سهل الإجابة عنها.

-هل حقا احببت أوديت ؟ أعني بشخصيتك الأولى.

-نظر للسقف كعادته حينما يتعمق بالتفكير ثم قال في هدوء...

-هل حقا أحببت أوديت ، هذا سؤال كلاسيكي للغاية.

-و هذه ليست إجابة.

قال بنفس الهدوء...

-هذا لأنني لم أكمل كلامي بعد ، هذا سؤال كلاسيكي لكن

-

-

للاغاية يصعب الإمساك بها و تفحصها عن قرب ، ربما كان هذا

-و لماذا لم تفكر جديا في تطوير علاقتك بها دون أن تكبت ذلك
بداخلك و تمارسه في غير وعيك ؟

-لسببين في غاية البساطة ، أولاً لأنني كنت ألعب دائماً دور الأحمق الذي لا يجيد التعامل مع الفتيات ، و ثانياً لأنني كنت أتجنب المجازفة تماماً ، أتجنبها في كل شئ ، لا أقول طبعاً أنني لم أفكر في مصارحتها بإعجابي لكنني حين وصلت التنفيذ اكتشفت أنني لا أعرف كيفية التنفيذ من الأساس ، و هذا جعلني أكبت فكرة مصارحتي لها بداخلي.

-اممم ، حسناً ، هل لي بسؤال آخر ؟

في الواقع لا أذكر تحديداً ملامح تلك الفترة التحولية لذا يمكنني تجاوزها سريعاً فهي ليست بالأمر الهام علي كل حال ، حسيم أذكر كانت إجازة صيف هادئة تخللتها زيارة لعائتي بالإسكندرية ، طبعاً لأنقل لهم أخباراً لم تسعدهم كثيراً عن فشلي في أولي سنواتي بالجامعة ، لكنهم تناسوا الأمر بمرور الوقت علي كل

يد الذي صرت أفضله رغم أنه يحمل لي ذكريات سيئة نوعاً ما ، و رغم أن مجموعتي لم يسعفني للالتحاق بقسم علم النفس في آداب جامعة القاهرة ، إلا أنني

أدهشني هو أنني لم أكن الوحيد الذي يطلب ملفه ليقوم

معي في ذلك الموقف ، و هذا أشعرتني بارتياح نوعاً ما ، لقد وفرت علي نفسي أياماً لا لزوم لها من العناء ، هكذا قمت بتقديم ملفي بكلية آداب جامعة حلوان ، و تم قبولي في قسم علم النفس ، و كان هذا أفضل خبر سمعته منذ عام تقريباً...

(داليا الشرقاوي)

و هي مثلي قامت بالتحويل من جامعة القاهرة و لكن من كلية الحقوق ، تعرفت عليها قبل بدء الدراسة وسط زحام تقديم الملفات ، و هي فتاة من ذلك النوع الذي لا يرتدي سوي الإسدال الأسود ، ثرثرة قليلا لكنها طيبة للغاية ، من ذلك النوع (علي نياته)

لكنني أدركت منذ الوهلة الأولى ، ديلة في اليد اليمنى و مكالمات مكثفة في ذات الموعد يوميا ، إنها العلامات المألوفة لفترة الخطوبة الرتيبة...

يختلف ، فهو شخصية هادئة () موجزة في حديثها ، و هذا يناسبني جدا كما تعلمين ، متواضع إلي حد ما ، كل هذا بالطبع جيد إذا ما تغاضينا عن طريقة ...

- في الأسبوع الأول من الدراسة ، و بعد قليل وجدت زميلا لا

نحوه لكنني كنت أشعر بنظراته المبتهجة تمزق وجهي تمزيقا ، هكذا التفتت نحوه حين فاض بي الكيل و قلت...

-عفوا هل هناك مشكلة ؟

و كأن وجوده بالمترو حدث تاريخي لا يمكن نسيانه ، لو لم تكن

هذا أشبه بالبخيل الذي لا يجيد الجمع و الطرح...

- اه ، عفوا لم أنتبه جيدا ، أخبرتك أنني أنسى سريعا.

هكذا كما ترى

أصدقاء و علاقات اجتماعية سوية ، صرت شابا آخر ، بلا ازدواجية ، بلا هلاوس ، فقط ظللت مواظبا علي بعض العقاقير لفترة لا بأس بها حتي استقرت كيميائية مخي و كفت الأعراض عن الظهور...

الأمير الأميرة و يعيشوا في

تبات و نبات و ينجبوا صبيان و بنات ، لكنك تعلمين أن الأمور لم تنته عند هذا الحد ، هناك بعض الدراما من أجلك يا سمر ، ربما ليست كمسلسلاتك التركية لكنها واقعية علي الأقل...

-
هرش ذقنه قائلًا في إنزعاج...

-ظننتك لا تحبين حرق الأحداث.

-
وضع الألفاظ التشويقية.

-إنها مذكراتي الخاصة أكتبها كيفما أشاء.

-و أنا قارئة تريد شيئا يستحق قرائته.

-ليست كل الناس مدمنة للدراما مثلك ، كفي عن التعميم.

- لا توجد مشكلة ، هل بإمكاننا استكمال الكتابة الآن ؟

- ليس قبل أن تجيب عن سؤالي.

أخذ نفسا عميقا و قال في نفاذ صبر...

-هل تعلمين ذلك الشعور المحيط الذي يراودك عقب انتهائك من قراءة رواية جيدة ؟ حين تصطدمين بالواقع من جديد ، و تدركي أن مشاكلك مازالت كما ه من الرواية ليجعلوا من العالم مكانا أفضل ، لسبب كهذا أجد أن التعود علي الواقع مهما بدا مؤلماً لكنه أفضل الحلول ، هكذا لن نشعر بالفارق بين الجنة و الجحيم ، ببساطة لأننا لم نر الجنة

...

- يقيم وزنا لآلامه بقدرك ، كيف تعيش هكذا ؟

...

-نعم ربما أعاني نوعا من الماسوشية في نمط حياتي لكن

الحنين لذكري سعيدة ، فإنني لا أبتسم أبداً للكاميرا ، و إن كنت

و أشدها ألماً ، و أنا لا أتفلسف بل أعني ذلك حرفياً.

-لا ، أنت بائس حقا و تحاول تبرير بؤسك ببعض الهراء

-ربما ، لكن هذا لا ينفي حقيقة أن لكل منا من الذكريات السوداء ما يكفي لجعله سعيدا في بعض الأوقات التي قد

نظنها صعبة ، فذكرياتنا الأكثر صعوبة هي التي تصنع لنا محكات الألم ذاتها ، و بالتالي كلما زاد الألم يوما كلما هانت المواقف التالية عليه لو كانت أقل ألما ، واجهي الحقيقة يا عزيزتي ، إننا نحيا سعادة بفضل ذلك الهراء الفلسفي .

فغرت فاهي لثوان قبل أن أقول...

- ن مشكلتك أسوأ من كونها مرض نفسي .

-شكرا علي الإضافة القيمة ، هل بإمكانني مواصلة السرد الآن

أقول أن صداقتي بداليا و بشوي تطورت كثيرا حتي وصلت لدرجة العلاقة السطحية ، نعم السطحية هي تطور بالنسبة لمن هو مثلي ، صحيح أنها لم تصل إلي حد الصراحة و تبادل الأسرار لكنها كذلك لم تكن فاترة تماما...

في ذلك الحين لم أكن أعرف شيئا عن اشتراكات المترو و قد كنت بحاجة ماسة إليها ، و من حسن حظي أن داليا أخبرتني عنها باكرا ، إذ أن داليا تسكن في حلوان علي بعد محطتي مترو من الجامعة ، لكنها برغم ذلك قامت بعمل اشتراك مترو من باب تسهيل الأمور..

حتي الآن أعتبر محطات المترو كلها منزلي الثاني ، أعرفها كلها و أحفظ ترتيبها عن ظهر قلب ، و أشعر بالتميز حين أصادف المستجدين ممن لا يعرفون اتجاهات خطوط المترو أو أسماء المحطات ، أو هؤلاء الذين مازالوا يتشبثون بالقضبان الحديدية ن يفقدوا توازنهم من حركة المترو السريعة ، بالتدريج يتعلم أصحاب الاشتراكات أمثالي الوقفة المثالية داخل المترو

تمسكها في اليوم الواحد...

و الخلاصة أنني في أول أشهري الدراسية شعرت بنوع من
و كأنني أنظر لنفسي من بعيد و أقيم
الأوضاع ، لدي أصدقاء مثل الآخرين ، لا توجد هلاوس ولا
شخصية أخرى ، إذن صرت شابا طبيعيا...

لكن كما قلنا فإن عدد الصفحات الباقية من الكتاب يخبر القارئ
بوضوح أن هذا الوضع لم يدم كثيرا...

بدأ الأمر في ذلك اليوم الذي كانت لدي فيه نية حضور إحدى
محاضرات الساعة الثامنة ، و كانت تواجهني مشكلة مع هذه
المحاضرات لأنها تتطلب مني الخروج من بيتي بعد الفجر

...

كانت المادة التي سأحضر لها هي () ، و هي ليست
بالمادة الذي أتشوق لحضورها كثيرا نظرا لذكراتي السابقة

علم النفس ولا شئ غير علم النفس ، و لهذا تصيبه تلك المواد
الإضافية بغصة في حلقه...

لم أصادف داليا أو بشوي في ذلك اليوم ، لذا قررت العودة إلي
المنزل في ذلك اليوم بعد انتهاء محاضرة الثامنة و التي لم تكن
مثيرة للإهتمام كثير
لو كانت في صميم علم النفس ذاته فلا داعي للتظاهر بحب
الدراسة هاهنا....

كانت المسافة الفاصلة بين المدرجات و مبني ادارة آداب لا يستهان بها ، لذا خطر بيالي أن أذهب لشئون الفرقة الأولي (كارنيهات)

حين ظننت أمرا أسطوريا كهذا سهل الحدوث...

- بعد شهر.

-كنت هنا منذ شهر و قلت لي شهر.

هكذا نظرت لي فتاة الشئون المتوحشة في احتقار و توعد

...

و أثناء خروجي لاحظت داليا قادمة من بعيد فحاولت اله سريريا لأنني لم أكن بحاجة لمزيد من الصداع في هذا اليوم ،

...

-

-

-

-توجد محاضرة أخرى لكنني اكتفيت لهذا اليوم ، هل مازلتِ

-لا أنا هنا منذ الصباح.

-

-

هنا نظرت نحوها في تشكك قائلا...

-ماذا تفعلين في السنتر؟

-صديقة جديدة ، تهوي الجلوس بالمقاهي ، تعلم هذه الأمور.

-تبدين غير سعيدة بينما تتحدثين عنها.

-نعم ، لثلاثة أسباب وجيهة ، أولا لأنها تهوي الصمت بشكل مبالغ فيه ، ثانيا لأنها مسيحية ، أما ثالثا و هو الأهم فلأنها

و حين استدرت خلفي لأري ، حينها فقط ، دوت في أذني موسيقي ذات طابع كنائسي...

قال طارق بينما يرتدي معطفه...

-عيد الام بعد غد.

-ماذا ستجلبين للسيدة الوالدة؟

قلت بينما أغلق الكمبيوتر...

-هذا يعني إذن (لن أجلب شيئا).

-لا أعلم ، فكرت أنه ربما نذهب لمكان ما و نشترى لأمهاتنا

- هل ستذهب للإسكندرية حقا ؟

- لا ، سأرسلها بالبريد السريع ، بالضبط كما ستفعلين حين تعجبك هذه الفكرة التي تبعدك عن المواجهة.

- قال متجها نحو باب الشقة...

- أنا أستيقظ متأخراً هذه الأيام ، ربما بعد انتهاء فترة عملك.

- قطبت جيني مفكرة و قلت...

- ألاحظ أنك تنام جيدا هذه الأيام بدرجة مبالغ فيها ، هل توقفت كوايبسك أم أنك صرت لا تهتم ؟

- الكوايبس فعلا.

- هز كتفيه قائلا...

- لا أحد يرفض ثلاثون جنيها في الساعة مقابل بعض الثرثرة لو كنت تفهمين قصدي.

- إذن هذا كل ما أمثله لك الآن ؟ صبور نعود مفتوح ؟

- لا أحب التعامل بمثل هذه التشبيهات القاسية حقا ، يمكنني القول أنني أعتبره تعويضاً عن كل ما نهبه مني الأطباء

النفسيون علي مدار أشهر سابقة ، للمرة الأولي أثرثر مقابل
الحصول علي المال و ليس العكس.

- نعم ، و هذا تشبيه غير قاس .

مط شفغته لثوان ثم قال مغادرا...

(2)

كان اليوم التالي شبه نسخة من السابق ، عدا أنه كانت لدي جلسة صباحا و بعض الملفات بالشركة انهي العمل عليها...
عصرا ذهبت مجبرة إلي سالي بالمستشفى و بحوزتي علبة سجائر أخرى لأقوم بواجبي نحوها كصديقة...
ربما أكون قاسية في هذا لكنني تمنيت شفائها سريعا كي ن البلاد سريعا ، إن لي عذري في هذا...
بالطبع لم يلتزم طارق بموعده بشأن شراء هدايا عيد الأم ، و

...
كان متحمسا لشيئ ما علي غير العادة ، و هو الذي لم يتحمس

...
..
هكذا قال فور دخوله

-هل الكمبيوتر مشحون ؟

قطبت جبیني قائلة في شك و ارتياب...

-ليس أكثر منك حسبما أظن ، لماذا تسأل ؟

...
-قومي بشحنه بينما اعد القهوة ، لسوف نصعد الليلة إلي

...
-نعم و هذا تعبير مجازي يشير إلي...

- هل ترينني أحمل مكوك فضاء في جيب معطفي مثلا ؟ أقصد
() ، هل تذكرين تلك المطربة الفاضلة التي
.....)

صحت في وجهه قائلة...

- حسنا حسنا ، الليلة يوجد حضيض قمري.

- ظاهرة نادرة ، سيكون القمر قريبا من الأرض و سيبدو أكبر من
حجمه المعهود ، كيف لم تلاحظي هذا ؟

- جيد ، و الآن تأكدي من شحن بطارية الجهاز جيدا لأن ليلتنا

- هل حقا تنوين إضاعة فرصة كهذه ؟ قد يمر عمرك كاملا دون
رؤية شئ كهذا.

- الجو بارد الليلة ، لن أصاب بالإنفلونزا من أجل حضيضك هذا.
- أنا لا أفهمك حقا ، أنت كاتبة روايات رومانسية ، كيف لا تهتمين
بما يحدث لأهم عناصر الرومانسية ؟ القمر.

- أنا محامية كذلك ، أتعامل مع المجرمين و تجار المخدرات في

تنتهز أدني الفرص لإظهار روعة حسنها الأنثوي.

لم يظهر أي ردة فعل تجاه كلماتي بل استمر بإعداد القهوة

...

و فوق سطح البناية وقف طارق يتأمل في ذلك القرص الأبيض المعهود ، بينما جلست خلفه أتجمد من البرد لاعنة في سري الظروف التي جعلتني أتعلق برفقة مخبول كهذا... في الواقع لم يكن القمر قريبا لهذه الدرجة التي أوحى لي بها ، حتما عن المعتاد ، و برغم هذا

...

-هل سنبداً العمل أم ستظل محدقا للسماء حتي ينشق القمر

تجاهل سخريتي قائلاً...

-بهذا القرب يمكن ملاحظة كروية القمر بوضوح ، شئ رائع.

-أخبريني يا سمر ، إلي أي جزء تحديقين دائما حين يكون القمر هلالا ، الجزء ا

قلت محاولة إخفاء اصطكاك اسناني ببعضها من البرد...

-المضيء بالطبع ، الجميع يفعل هذا.

-أمثالك هم من يحبون رؤية () من بعيد دون الاهتمام بمسودة اللوحة و طريقة رسمها ، علي الجانب الآخر يهتم

التفاصيل الغير ظاهرة و أجدها تعطي الحياة

قطبت حينني في غير فهم فقال موضحا...

يشعرنني بالتميز عن غيري.

- طارق هل تجد الوقت مناسباً للتفلسف الآن ؟

- إذن أعذرني سأذهب للتفلسف وحدي في الدفء لأنني لست
حقاً من هواة التفلسف علي ضوء الحضيض القمري.

...

- دفئي نفسك بهذا.
ارتديت معطفه غير عابئة بما قد يصيبه في هذا البرد ، طالما
فليتحمل نتيجة أفعاله...

- هذا لأنني أضع القليل جدا ، بما يكفي لأشمه وحدي.
اكتفيت برفع حاجبائي في تعجب و قلت...

- حسناً ، هل نبدأ الآن ؟

...

مد يده داخل جيب المعطف الذي ارتدته ليخرج بفلاشة صغيرة
و يولجها بالجهاز ...

- ملف الصوت هذا ، قومي بتشغيله عندما أخبرك بذلك ، اتفقنا

كي أكون صادقا فإنني لم أتعرف عليها فورا ، فقد كانت في تلك اللحظة تبدو مسيحية للغاية ، تعرفين كيف تبدو المسيحيات حين يرغبن في أن يظهرن كمسيحيات...

بيد أنني كنت أفضلها بهيئتها السابقة في المصحة ، بنظرتها الشاردة و شعرها المنكوش الذي كان يمنحها لمحة من الضعف الأنثوي ، الآن أراها أفعي تحاول اجتذاب الأنظار...

فور أن أنضمت لنا مدت يدها في مرحح للتحية قبل حتي أن تقدمها داليا لي أو تقدمني لها...

-أعرفك يا طارق ، أوديت صديقتي ، أوديت هذا مددت يدي لأرد تحيتها في صمت و توحس مفضوح فقالت في

...

-هل صديقك أحرص يا داليا ؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة متظاهراً بأن الدعابة راقت لي ، وحده الله يعلم ماذا حدث بيني و بين تلك اللعينة بينما كنت مغيبا...

تبا لك يا التزام ، لم نتفق علي هذا...

رن أحد الهواتف بأغنية شبابية رقيقة مما دلني علي أنه حتما ليس هاتفي و من الصعب نوعا أن يكون هاتف داليا لأنها مازالت لم تسمع عن الهواتف الملونة بعد...

هكذا نظرت أوديت لهاتفها و قالت مبنعدة...

-
وما إن ابتعدت عنا حتى شعرت بيد تجذيني بعنف -قائلة- داليا و
ليست اليد طبعاً...

-
-
-
كأنك أصبت بالصمم فجأة حين جئت أوديت.

قلت متأملاً إياها من بعيد و هي تتحدث بالهاتف بينما تعبت
بالصليب المعلق في رقبتها...

-أصاب بتوتر من التعامل مع المسيحيات ، إنها نوع من
...فوبيا العقائدية.

-هل تكره المسيحيات حقا ؟

نظرت نحو أوديت ثانية و قلت في تردد...

-ليس بالضبط و لكن... نعم ، أكرههم ، أكرههم للغاية.

-
التفت نحوها قائلاً...

-و هل هناك سبب يجعلني أحبهم ؟

كادت أن تقول شيئاً قبل أن تلاحظ أوديت قادمة نحونا فالتزمت

...

-أنتم مدعوون الليلة

-رائع ، بدأت الأحداث الدرامية في الظهور.

-برغم أنه من الصعب أن أصدق أنها سببت لك ارتباكاً.
قال طارق محاولاً التظاهر بالصمود في هذا الجو البارد...
-من المخجل أن هذا ما حدث فعلاً ، و لكن ليس لشئ إلا
لخوفي من الفضيحة.

-أي فضيحة ؟

-فضيحة كوني مريضا سابقا بمصحة نفسية ، شئ كهذا كاف
لتدمير حياتي الجديدة بعد الخروج من المصحة ، و كانت ورفتي
الوحيدة الراححة هي أن أوديت كانت مريضة بالمثل ، هكذا كان
بيننا شبه اتفاق ضمنى بأن يحتفظ
-إذن لم نقل أوديت شيئا.

-هل تريدان حرق الأحداث حقا ؟

-حسنا سأستمع في هدوء.

...

أعني أنني كنت متخذا قراري منذ البداية بعدم الذهاب للحفل
لكن جزءا مني كان يريد الذهاب بقوة لسبب ما...

المصيبة أنني لم أكن أملك خطة محددة ، كيف سأتعامل مع
أوديت ، هل يمكنني مثلا قطع علاقتي بداليا و بذلك أنخلص من
أوديت ؟ وما الذي يجبر مسيحية علي ترك التجمع المسيحي

المعهود في كل قسم لتعقد صداقة بغناة مسلمة بل و ترتدي
إسدالاً كذلك ، لو أردت رأيي فهذه مثالية صعبة الوجود مالم
ن مستحيلة ، ولو كنت أكثر تشككا لقلت أن صداقة أوديت
بداليا شئ مقصود و متعمد...

هكذا قررت مواجهة الأمر مهما كانت النتائج ، طالما أنه في
جميع الحالات قد أخسر صداقتي بداليا ، يمكنني مصارحة
أوديت بوضوح أنني لا أقبل بصداقتها من داليا ، فقط أدعوا الله
سائر محدودة في نهاية الأمر...

ارتديت قميصي الأسود و بنطالي الأسود و معطفي الأسود و
غادرت المنزل متوكلاً علي الله و متمنيا في ذات الوقت أن أعود
لغرفتي و أنام سبعة قرون ، لكن للأسف كان هناك ما يدفعني
دفعاً للذهاب ، أنا أدرك أنني ظلت لفترة طويلة من حياتي أثق
في ما تمليه علي ذاتي ، و كانت النتيجة هي تاريخ مرضي
مشرف في مستشفى الأمراض العقلية ، لكن هذا لا يمنع
أنني مازلت أنساق خلف دوافعي القوية الغير مفهومة...

أثناء سيري توجهت نحو حارة جانبية كي أختصر الطريق
للشارع الرئيسي ، فقط لأجد الملاك الحارس للشارع

...
- () .

-حممصم باشا ، أين أنت يا رجل منذ أسابيع ؟

قال مترنحا بينما رائحة فمه تقنلني...

-ليس هذا..هك.. ..هك..

-حسنا قد لا تذكرني جيدا الآن لكن ربما لو أخففت هذه المطواة الأنيقة سنجد مجالا للتذكر سوياً.

دقا لوجهي في غباء واضح ، فقط لو يدرك كم يجعله شعره المنكوش شبيها بأينشتاين ل... لظل يسأل من هو أينشتاين هذا و ربما ظنني اشتمه...

-هات 200 جنيه.

قلت مبتلعا ريقى بينما المطواة تضغط علي رقبتى...

-اسمع يا أخ حماسة ، أقدر حقا أزمته المالية في الوقت الحالي ، لم أسأل عنك أحد بالشارع مؤخرا إلا و قال شيئا عن عذرائيل و عن النقود التي اقترضتها منه ، لكن حتما لابد من وجود طريقة أخرى للتفاهم.

هنا و قبل أن يقول كلمة أخرى ، رن هاتفى الخلوي...

...

-هل تعلم ؟ منذ بداية سردك للمذكرات و أنا أنتظر سماع هذا.

()-

-أعني أن علاقتك الآن بحماسة كما لاحظت جيدة لدرجة أنكما

()

- كانت علاقتي به جيدة منذ البداية ، فقط عندما يصبح حماسة مخمورا أو أيا كان ما يسبب له هذا لا يدرك شيئا عما يفعله و

-كيف خرجت من هذا الموقف إذن ؟

-سؤال جيد.

علي وجه داليا عند رؤية حماسة ، دعك من أن منظره و هو يعبت بإصبعه داخل أنفه ليس مشهدا محببا لفتاة...

-بإمكانك قول هذا ، و أكون شاكرا إذا احتفظت بتساؤلاتك لوقت

لم يكن الأمر بيدي ، كان لابد من مساومة هذا الكائن الهمجي

ذاهبان لفرح فاخر (من بتاع الناس النضيقة) ، و أن هناك بوفيه و حشيش ، الكثير من الحشيش ، لابد من الحشيش و إلا

...

و لكن نظرا لأنه لا يوجد هناك شئ من هذا فإنني مضطر الآن للتخلص من هذا المسعور في أقرب فرصة و بأي طريقة...

هكذا قطع ثلاث

كلمة محل لوصف مكان تجاري بثلاث أدوار لهو شخص يحاول

...

- ماهذا المكان ؟

- نحو داليا التي ردت بثقة علي افواهنا الفاعرة و كأنها صاحبة المكان...

- لا إنه هو المحل ، إسمه (فينوس).

- هنا-

بحقيقة الأمر ، لذا التفت نحوه قائلا في تردد...

....

(بقلب رزقه) أو يبحث عن الحشيش ، ليست مشكلتي الآن علي كل حال و من الجيد أنها جاءت من جانبه و

-داليا ، هل أنتِ حقا متأكدة من رغبتك في مصادقة هذه الفناة

- سببا للاحتفاظ بصداقتها.

نعم أفهم دوافعها جيدا ، لن يضر أحدا أن يصادق المرء واحدا (بين الحين و الآخر...)

-هو الروائح الحريمي الفاخرة التي تملأ الجو ، فليبارك الله جميع شركات العطور الباريسية التي لم تعلن افلاسها بعد ظهور محلات العطور المركبة...

لفت انتباهي أيضا بعض الأطفال يجرون خلف بعضهم في دائرة حول مانيكان معلق عليه فستان سهرة لا يستر شيئا تقريبا ، و

قدرت أن منظم المكان كان مخبولا حتي يضع مانيكان وسط
لأركان ، حتما ستسقط هذه

...

بعد دقائق من التجول في المكان فقدت أثر داليا وسط الزحام ،
و شعرت بشئ يتسلق بنطالي في إصرار ، هل يعقل أن توجد
فئران في هذا المكان الأنيق ؟

كثيرا حجما و مضمونا ، ماذا تريد أيها الوغد الصغير ؟

-ماذا تريد يا صغيري ؟

رد و ظل يشد البنطال ، حمدا لله أنني أرتدي حزاما لهذا

-هل أنت ضائع من أمك يا عزيزي ؟

ظل مستمرا في شد البنطال بصمت مستغز ، و حينها قدرت
أنه لا يريد شيئا بل هي(حركات غلاسة من بتاعة العيا)
هذا شئ استغزني حتي فكرت أن أشوطه بقدمي ليطير إلي
مروحة السقف فيتفتت و يسقط أشلاء ، إنني أحب الأطفال

...

....

نظرت لمصدر الصيحة فوجدت أوديت في مواجهتي تنظر لي
في غضب ، لو لم أكن مخطنا لقلت أن الشيطان الصغير هو...

-هل جننت ؟ إنه أخي.

...

هكذا قلت متصنعا اللطف بينما ألتئم خد الفتى برفق...
-لطيف للغاية ، يشبهك في كل شئ.

كان بالفعل يشبهها كثيرا لكنني لم الأحظ هذا إلا الآن ، ذات
العيون المحدقة المذعورة دونما سبب ، من الواضح أن
متوارث في هذه العائلة...

و علي كل حال فإنها لم ترد سوي بنظرة احتقار ، إنني أتلقني
عددا لا بأس به من الإهانات اليوم...

-هل تعرفين أين داليا ؟

-كانت معي منذ قليل في مكتب زوجة أبي.

-و ماذا تفعل داليا في مكتب زوجة أبيك.

قالت بينما تدفعني من ظهري دفعا...

-تلقي عليها التحية ، كما ستفعل أنت الآن.

...

-ليديز فرست.

بدا لي مثل هذا التصرف غريبا ، خاصة أننا لسنا في الثمانينات
لو كنت تفهم قصدي ، حين كانت الفتاة تقدم صديقها لـ (

) و الأمة العربية بأكملها في فخر

كن أوديت حالة استثنائية علي كل حال ، فربما كنا

نحن أول أصدقائها في الحياة لدرجة أن تقدمنا لزوجة أبيها

باعتبارنا صيد ثمين تفخر به أمام الجميع...

هكذا مشيت خلفها في صمت محاولاً تبين تلك الموسيقى الخافتة المنبعثة من لا مكان ، أقسم أنني أعرفها لكنني لست
أستطيع أن أتذكر اسمها ...

مكتب زجاجي أسفل السلم ، منتهي الذكاء في استغلال
الأماكن فلماذا الغباء في تنسيق تماثيل العرض ؟

-أمي هذا طارق صديقي بالجامعة ، طارق هذه مدام موريان .
مددت يدي للتحية فأعرا فاهي كالمعتوه ، لا أعرف كيف أصف
هذا حقا لكن لو كانت هذه زوجة أبيها فأوديت مصابة بشيخوخة
مبكرة حتما ، إن جمالها من ذلك النوع الذي تتسائل معه كيف
تحيا هذه السيدة هكذا دون أن يخطفها أحد ؟ كيف لها أن تترك
هكذا وسط العامة ؟ بل و كيف يتمكن الناس من النوم راضين
مرتاحين و هم يعلمون أنها موجودة بهذا العالم ؟ بل و كيف ...

-أفقت من شرودي علي صيحة أوديت قائلا...

-آه آسف ، ألف مبروك يا مدام روميان .

-آه ، نعم بالضبط هو هذا .

لنؤان أصابتنني صدمة من طبقة صوتها ، إذ أنه لم يكن علي
نفس مستوي جمالها ، لم يكن ناعما للغاية كما كنت أنتظر...

() ، إن هناك ذلك النوع

قضمها ، صوت تتمني قضمه فعلا...

لكنني نسيت كل هذا حين ابتسمت ابتسامة كادت معها عيناى
أن ترسم بداخلها قلوبا حمراء كما تفعل الشخصيات الكرتونية ،
و لسبب كهذ
بسكنة مخية...

خرجت من المكتب مجففا عرقي بمنديل ورقي لأجد داليا من
بعيد تحملق في أحد الفساتين ، مسكينة لم تنظر لورقة السعر
...
هكذا ذهبت إليها مسرعا كي أبعدها عن هذه الكيانات الضارة...
-غير مسموح لكِ يا ذات ا

-القي التحية علي فينوس ذاتها.

-آه ، أرى أنك قابلت زوجة أبيها.

قلت واضعا يداي في جيوب معطفي...

-إن أبيها لذو ذوق جيد علي كل حال ، لا يمكننا إنكار تلك
الحقيقة.

مطت شفتيها و عادت تتأمل الملابس في صمت ، لا تحب أي
امرأة أن تمدح أمامها أخرى مهما كانت الفروق بينهما ، لكنني
بالطبع لست خبيرا كي أدرك هذا...

- لم يعد هناك داع لوجودنا.

...

- نعم ، أنت محق ، هيا بنا .

لم يفتني بالطبع قبل المغادرة أن أتبين كنه الموسيقى الخافتة
ير من الذكاء ليدرك الموسيقى التي
أتحدث عنها...

- هل أقوم بتشغيل الملف الآن ؟

- و هل أمرتك بتشغيله ؟

- لا و لكنني ظننت أنه الوقت المناسب لتشغيل الموسيقى
التي تتحدث عنها .

- و ما أدراكي أنها الموسيقى التي أتحدث عنها ؟

...

- ، إن كل شئ هنا متوقع .

- قومي بتشغيل المقطوعة اللعينة .

هكذا ما إن قمت بتشغيلها حتي انبعثت من الجهاز تلك
الموسيقى ال التي تحدث عنها ، لكنني كنت أشعر أنني
أعرفها أو سمعتها مسبقا ، خاصة بعدما بدأ عزف عود بالتغلغل

...

-هل تعلمين ؟ قبل أن أستمع لهذه المقطوعة كنت أمتعت عزف العود للغاية ، و أرى فيه دفناً مبالغ فيه لدرجة الكآبة ، لكن مؤلف هذه المقطوعة استطاع حقا اظهار السحر الحقيقي للعود مع تلك الموسيقى الكنائسية.

-أعرف هذه المقطوعة ، إنها الموسيقى التصويرية لفيلم (الكيت كات).

قال بينما يأخذ معطفه من حولي...

-للأسف لا ، إتضح أنني أملك ذات النظرة نحو المسيحيين ، النظرة المباشرة لديانتهم حتي يتصور المرء منا أنهم يقضون حياتهم في إشعال الشموع و الركوع أمام الصليب ، و كنت استمعت للمقطوعة كاملة منذ البداية لأدركت أنها مجرد

قلت متأملة إياه و هو يرتدي معطفه...

-لدي معاطف سوداء مثل هذا أيضا ، أرتديها أحيانا حين أشعر

السحرية ، حين ارتديه امشي

فيه ، هل لذات السبب أيضا تتمسك بارتداء معطفك هذا ؟

قطب جبينه في استغراب و قال...

-لا ليس الأمر معي بهذا التعقيد حقا ، فقط أرتديه لأن به جيوبا كثيرة تحمل كل أغراضه.

هزرت رأسي في إحراج بينما أغلق شاشة الكمبيوتر حين غادر
هو دون كلمة أخرى...

(3)

في اليوم التالي أدركت أن موعد جلسة جلال قد اقترب كثيرا دون أن أشعر ، و في الواقع لم يصيبي التوتر كما كنت أخشى أن يحدث ، أعني أنني متوترة لكن ليس بالشكل الـ

يريد أكثر من محامي يعرفه معرفة شخصية ، هذا يعطي الأمور إذن طابعا مهنيا مطمئنا بعيدا عن العواطف...

بعد انتهاء عملي بالشركة ذهبت لسالي ثانية و في حقيتي علبة سجانر أخرى...

بالمشفي كباقي الإصابات ، لكنني حين وصلت وجدت سالي تعد نفسها للرحيل بينما الجبس مازال حول ساقها...

-إلي أي مكان آخر بعيدا عن هنا.

...

-فلتذهب ساقى إلي الجحيم ، هل أحضرت معك سجانر ؟

مددت يدي داخل الحقيبة قائلة...

-نعم أحضرتها.

هكذا و اختصارا للمناقشة الطويلة التي حاولت فيها الظهور بصورة الصديقة الوفية التي تقف بجانب صديقتها وقت الأزمات ، يمكننا القفز لمشهد آخر يظهر فيه طارق قادما بسيارتي ،

لمدخل المشفي بينما يحاول إخفاء انزعاجه ببعض اللطف
المصطنع ، خاصة بعد أن بادرت به سالي بكلماتها قائلة في

...

-بطلي المراهق ، لماذا لم تنقذني هذه المرة من كسر الساق

...

هذه المرة.

...

...

-هل هو جاد هكذا دائما ؟

قلت بينما اناوله يد حقيبتها...

-لا يا عزيزتي ، فقط هو لم يفهم المزحة ذاتها.

هكذا بدأت بمساعدتها في دخول السيارة بساقها المجبسة
تاركة طارق يضع أغراضها في حقيبة السيارة و يغلقها بعنف و

...

هكذا بمجرد وصولنا للمنزل ليلا توجهت نحو المطبخ لأتخاشي

...

...

- منزعج من وجودها لكن كن رحيما بها إنها مصابة

- هل تعلمين ؟ ربما كان علم الباراسيكولوجي محقا.
قطبت جيني في تعجب قائلة...

- سالي ليست مزعجة علي الإطلاق ، بل و ربما تتحدث بصورة
أقل مني و منك ، لكنه ذلك الشعور المزعج حين يكون المرء
برفقتها ، و كأنها تشع كميات من الطاقة السلبية ، ربما يكون
ذلك الهراء عن هالات الطاقة الحيوية صحيحا.
قلت بينما أضع السكر في الأكواب...

- لا أعرف ماهي الهالات الحيوية ولا أريد أن أعرف ، و كل ما
أعرفه هو أن تلك الجالسة بالخارج امرأة مصابة و بحاجة إلي
إزعاجها.

قال بينما يخرج علبة المنوم من جيب معطفه...

- أنا أنفهم ذلك حقا و أقدر جهودك لمساعدتها.

...

- أساهم في مساعدتها ، سأريحها من آلامها قليلا.
بل تريد إطفاء مصابحها الحيوية لمجرد أنها تزعجك بعض

...

-قولي شيئا جديدا.

- طارق ما الذي يزعجك بشأنها الآن إنها جالسة تشاهد التلفاز في هدوء.

- نعم و لكنها لن تظل كذلك حين ندخل غرفة الحكايات .
- سينشر الكتاب في جميع الأحوال و سيقراه الجميع .

- إذن بإمكانها قرائته معهم أما الآن فلا .

سكت يده ثانية قائلة في إصرار...

- طارق ، لن أسمح لك بفعل هذا الآن إنها مصابة ، حاول العنور علي طريقة أخرى لحل مشاكلك بعيدا عنها .
هكذا أعاد علبة المنوم إلي جيبه ناظرا لي في غل ثم قال ...
- حسنا ، طالما أنكِ اخترتِ هذا ، ارتدي واحدا من معاطفك
أفرط في معطفي هذه المرة .
هكذا أدركت تلميحه سريعا بينما تركني وحدي بالمطبخ مغادرا

...

هكذا بمجرد صعودي لسطح المنزل لم أجد أحداً علي الإطلاق ،
و هممت بالعودة لأسفل حين ظننت الأمر مزحة سخيفة من

قائلا في هدوء...

- هل تعلمين أن هناك الكثير من النجوم التي لا نراها مباشرة ؟
كان جالسا علي الأرض مستندا بظهره إلي أحد الجدران و
ناظرا نحو السماء كالمنوم مغناطيسيا ...

- هل هذا تشبيه آخر من تشبيهاتك أم أنك تعني شيئا حقيقيا ؟

-
اللامعة التي ترينها في نظرة خاطفة نحو السماء ليست

الوحيدة الموجودة ، هناك نجوم أخرى كثيرة لا تكشف عن نفسها إلا لمن يكرس نظره لتأملها فترة أطول.

...

-علي كل حال السماء لن تهرب سأأملها لاحقا ، أما الآن

....

-خطأ ، هذا هو ما نقوله لأنفسنا دائما (يجب أن أتأملها يوما بامعان) ، لكن الحقيقة أن هذا اليوم لا

...

هنا ترك السماء ليتأمل هيئتي في تعجب قائلا...

-ما الذي أخبرتها به تحديدا ؟

-أخبرتها أنني ذاهبة لمقابلة أحد الموكلين و اضطرت لإخفاء الكمبيوتر في حقيبة أوراقي.

-كان المنوم ليكون أسهل إنجازا و اسرع.

-محال ، إن لدي مبادئ لن أتخلي عنها مهما حدث.

-إبعثي لها تحياتي.

-

-

أخذت نفسا عميقا و قلت ...

في صباح اليوم التالي بدت أحداث حفل أمس كأنها حلم ،
أوديت و مدام موريان و حماسة و داليا ، كل هذا بدا و كأنه

و عند استيقاظي كنت أشعر بصداع شديد
ديناميت جاهز للإنفجار بأبسط احتكاك ، و لسبب كهذا لم أكن

من هو الأستاذ شريف ؟ كيف لا تعرف شريف الأنغوشي ؟ ربما
يبدو لك الإسم غريبا لكن الشخصية حتما تعرفها ، فقط ابحت
في علاقاتك الإجتماعية عمن يمكن تصنيفه كصديق للعائلة ، و

بضحكته العالية السمجة ، و الذي يظن انه يحمل ترخيصا من
السيد الوالد بتصنيفك كحمار أو للدقة ()

ا لاستقبال هذا الرجل تماما نظرا
لحالتي وقتها ، ولا أظن أنني مستعد لاستقباله في جميع

-ما هذا الأدب و الاحترام ؟ " و الله و عرفت تربى يا حسين"
ابتسمت ابتسامة خفيفة قائلا في سري " يا عليم..."
-لحظة واحدة سأحضر لك شيئا تشربه.

لأطمئن عليك كما وصاني أبيك منذ أيام في الهاتف.
- نا بخير حال و الحمد لله.

-ألا تريد شيئا ؟ نقود ، طعام ، سجائر ، حشيش ، أخبرني يا
فهقهقهقه (ضحكة سخيفة و سمة).

قال بينما يخرج سيجارة ليشعلها...

-صحيح أخبرني ، هل تجد الكتابة علي الكمبيوتر ؟

-و من لا يجيد ؟

-أنا لا أجد ، ههههههههه () .

-كنا ن فكر بتنفيذ فكرة طرحها احد الأعضاء بالجمعية منذ عامين
إدخال بيانات صندوق الجمعية إلي كمبيوتر.
و الجمعية التي يقصدها هنا هي (جمعية تنمية المجتمع
) ، و كان أبي يشغل فيها منصب أمين الصندوق قبل
سفره ، ربما سمعت هذا الاسم في منطقتك فهو اسم واحد
في جميع الأحياء ، فجمعيات تنمية المجتمع هي خليط من
عبادة و حضانة و مركز شباب و مكاتب أخرى لا تدري طبيعة
نشاطها تحديدا...

-منذ عامين و فكرتم في تنفيذها الآن ؟

-نعم ، كما تعلم صار الجميع هذه الأيام يتحدث بلغة الكمبيوتر.

- مع هذا الرجل اللطيف ، و لكن عندما نظرت له من ز
-وجدتها فرصة جيدة لكسر نمط حياة الوحدة

...

هكذا نظرت له محاولا التظاهر بالجشع و قلت...

-كم سنعطيني ؟

-مئتان و خمسون في الشهر.

-ثلاثمئة ، جزء منها نهاية كل اسبوع.

...

-قلت في غياب و قد نسيت أمر العمل ذاته...

...

-لا تشغل بالك ، إذهب لتستكمل نومك الآن ، سنتحدث لاحقا.

كدت أن أبادله التحية متنفسا الصعداء لمغادرته قبل أن يرن هاتفي برقم غريب تجاهلته في البداية بينما الأستاذ يدخل سيارته ناظرا لهاتفي في فصول مزعج ، لم يتصل بي أحد منذ اسبوعين تقريبا فلماذا أختار هذا اليوم بالذات؟

هكذا قررت إرضاء فضوله و تخيب أمله ، فحتما سيكون

...

-هل تعلم شيئا ؟ لم أكن أتصور أنك بهذه الوقاحة و الانحطاط.

...

كنت أعرف صوت أوديت جيدا ، لكنني لم أسمعها تتحدث بهذه العصبية من قبل ، هل فعل حماسة شيئا مشينا ف الحفل و

أخبرهم أنني من قام بجلبه ؟ ستكون نقطة لا بأس بها خاصة و
أنني أبحث جاهدا عما قد يفسد العلاقة بيني و بين اوديت قبل

...

السؤال هنا هو من أين جلبت رقمي ؟

علي وجهي فاكتفي بتأملي بذات الفضول بينما يدخن
سيجارتته ، متي سيرحل هذا الرجل ؟

-

-

توجهت نحو الشرفة لأجد حماسة أمام مدخل بيته يلصق علي
ظهر التوك توك الخاص به ملصقا علي غرار (

(...

هل يخيل لي وحدي أن جميع سائقي التكاك يعانون من
مشكلة ما في الإحتفاظ برفاقهم ؟!

هكذا حين رأني ابتسم ببرائة كاشفاً عن أسنانه السوداء
نه لا يذكر شيئا عن ليلة أمس تماما و
هذه نقطة جيدة ، فقط فلأحرص علي تجنبه المرات القادمة
حين يكون مخمورا...

نظرت لطارق حين توقف عن السرد فجأة فوجدته يحك ذقنه

...

-هل تعرفين مامشكلك حقا ؟

خفيض ...

-هل تجد هذا وقتا مناسباً للتحدث بشأني ؟ ما خطبك هذه الليلة بالضبط ؟

-لا أعلم ، ربما لا أستطيع مقاومة التظاهر بمعرفة كل شيء و

-هذا حقيقي ، و الآن فلنعد لموضوعنا.

تجاهل كلماتي كعادته و قال ...

-هل تعرفين الميكانيزمات الدفاعية ؟ يسمونها أيضا الحيل الدفاعية لكنني أفضل مصطلح ميكانيزمات من باب ()
التظاهر بالعلم.

-لا أعرفها ولا أريد أن أعرفها.

تجاهلني للمرة الثانية و قال ...

-إنها محاولات لا شعورية منا لتتوافق مع الآخرين و نحتمي ذواتنا من الانهيار ، ما تعانين منه هو إفراط في استخدام إحدى فاعات النفسية.

-أنا لا أعاني من شيء أيها الوغد المهووس.

-هذا هو ما أتحدث عنه ، إنه يسمى ()
تعتمدن عليه دائما لا إراديا لكبت مشاعرك الحقيقية و استبدالها بأخري تناقضها ، مثلا أنا وغد مهووس ، و سالي صديقة مزعجة تعاني من نرجسية عارمة ، و أمك ا متسلطة ، و جلال رجل آخر كبقية الرجال ...

-بصداقتي و تحاولين التظاهر بكراهية سالي و تعانين من حين

جارف لحنان أمك و تعشقين جلال حتي الآن .
هنا صفقت بيدي ساخرة و قلت في لا مبالاة...

- ع ، ممتاز ، تهانني ، لقد توصلت لسري الكبير يا طارق .
هنا انطفأ حماس طارق و قال في إنزعاج...

-حمقاء جاهلة.

...

في اليوم التالي كنت في محاضرة مبادئ إحصاء لدكتورة أخرى
متسلطة أراها للمرة الأولى ، و حين سألت عنها أحد الطلبة
أجابني إجابة وافية للغاية و كأنما تعقب سيرتها الذاتية...

-إسمها ليليان أحمد فؤاد ، أربعون عاما تقريبا و غير متزوجة ،
تكره الرجال و لسبب كهذا ستلاحظ أن لديها اضطهاد واضح

رائع ، دكتورة إحصاء تضطهد الذكور ، هذا ما كان ينقصني

...

ايثير غيظي حقا أن المرء منا حين يختار الانتساب لقسم علم
النفس إنما يختاره لدراسة علم النفس ولا شئ غير ذلك ، لهذا
أنزعج كثيرا حين أصادف أمامي تلك المواد الإضافية اللعينة
علي غرار الأدب و الإحصاء و غيرها ، خاصة و أنني بطبعي
حمار كبير للغاية في الإحصاء و في كل مايتعلق بالعمليات
الحسابية بوجه عام...

كان المدرج فارغا تقريبا و هذا دلني علي أن الدكتورة (سمعتها سابقاها) ...

لكن كل هذا لم يكن يزعجني بقدر ما أزعجتني نظرات اوديت الجالسة بالطرف الآخر للمدرج ، كان من الواضح أن لديها ما

...

هكذا ما ن التفتت الدكتورة لرسم شئ ما من ذلك الهراء الإحصائي لملمت أوديت أشياءها و جئت ترتمي بجانبني في

...

لم أنظر نحوها و أخذت نفسا عميقا ثم زفرته ثانية في نفاذ

...

-إذن ، هل تظنينها مسيحية

-اسمها ليليان أحمد فؤاد ، لا يمكن أن تكون مسيحية مالم تكن قد غيرت دينها بنفسها.

-هيئتها و ملابسها تقول أنها مسيحية ، يكفي أنها لا ترتدي

-الحجاب ليس مقياسا ، و إلا كانت كل المسيحيات الآن يرتدين

نظرت نحوها قائلا...

-هل تعلمين ؟ قد يصبح وجهك أجمل في الحجاب ، لماذا لا

رفعت حاجبها في غيظ قائلة...

- هل تحاول الهروب حقا من التحدث بفعلتك ؟
- فعلت أشياء كثيرة مؤخرا كوني أكثر تحديدا.
- كيف تصل بك الوقاحة لدرجة أن تبعث بباقة ورد لزوجة أبي ؟

- متي حدث هذا ؟

- مستحيل ، لم أفعل شيئا من هذا.
- لا تغلق إنها سعيدة جدا بالباقة.
- بالأمس ظلت نائما حتي العصر ، قبل أن يأتيني أحد الضيوف
المزعجين.

هنا نظرت نحوي في حيرة واضحة و كأنها صدقت كلماتي
...
- أقسم أن هذا ما حدث.

نظرت أمامها قائلة في هدوء...
- لو كنت صادقا حقا فقد تفيدك زيارة سريعة للدكتورة التزام.
- إلي ماذا تلمحين يا أوديت ؟

عاودت النظر نحوي ثانية قائلة في استعطاف...

- هل حقا لا تذكر أي شيء مما حدث بيننا ؟ ألا

تظاهرت بالتفكير لبضع ثوان متأملا وجهها قبل أن أقول في هدوء...

-أوديت ، لم تنعرض الفتيات المسلمات لأفكر في الإرتباط من مسيحية لو كنت تفهمين قصدي ، إن ماحدث بيننا أيا كان قد حدث لأنني لم أكن في وعيي.

-و هل أنت متأكد الآن أنك في وعيك ؟

-أعني ماذا لو كانت شخصيتك الحالية ليست هي الأساس الذي كان من المفترض أن تكون عليه ؟

- عندما كنت مريضا ، لكن ما أعلمه هو أن الدكتورة التزام كانت ، لقد كنا تجربة مثيرة تقوم بها من أجل أن تثبت لنفسها أنها طبيبة نفسية ماهرة ، أفيقي من أحلامك يا

-كان هذا قاسيا حقا.

...

-نعم ، لم أتعامل مع أوديت يوما بأسلوب أفضل من هذا.

- ثل حقا ، ما السبب الذي جعلك تقبل هذه التجربة

فكر قليلا ثم قال...

-هل تعرفين مطاعم السوشي ؟

-ماذا بها ؟

-برأيك ما الذي قد يجعل مثل هذه المطاعم موجودة في بلد
كمصر ؟ بل ما الذي يجعل لها زبائن م

-ربما لأنهم يريدون تجربة شئ جديد ؟

-و هل أعجبك مذاقه ؟

-للأسف لم أعلم مذاقه قط ، و لكن دعينا نستكمل حديثنا.

طبعاً لم أعر اهتماماً لكلام أوديت و لم أهتم مطلقاً بالذهاب
عودتي للمصحة وحدها كافية لتجعلني في أسوأ حال ممكن...

بتجربته قط لسبب بسيط هو أن شكوتي تمنح الآخرين حقهم

شاكيتها...

هكذا كان حديثي معه مقتضبا إلي حد ما ، صديقي العزيز
بشوي ، هل تعلم كيف يتخلص المرء من صداقة تورط فيها ؟

-

...

-إنها داليا ، تعرفت مؤخرا علي صديقة مسيحية سخيقة إلي
حد ما أسمها اوديت ، صدقني ليس الأمر ذو طابع عقائدي كما
تظن أنت تعرفني جيدا ، لكنني لا أستطيع إجبار داليا علي
تركها لذا أحاول قطع الأمر من جذوره بمقاطعة داليا ذاتها.

هنا قال محققا لشئ ما خلفي...

-ما هذا ؟ لا أصدق .

-

-

-نعم أنا قلت هذا منذ قليل.

- أقصد أوديت هذه.

نظرت خلفي فوجدتها أوديت التي أعرفها أيضا ، باللمصيبة...

-

-بيشو.

هكذا بالطبع كان وضعي حرجا حتي صرت أتحدث كعربة ينفذ
منها الوقود...

... إذن لن أضطر لتمثيل مسرحية التعارف
الاجتماعي السخيفة هذه ، اوديت هذا بشوي-بشوي هذ
...هل تريدان شيئا ؟ سلاموا عليكما.

فيما بعد اكتشفت انهما كانا يذهبان لكنيسة واحدة منذ
الطفولة ، هذه إحدي المصادفات التي لم أتمكن فيها من لوم
أحد و هذا- -أثار غيظي أكثر...

هكذا بالطبع لم أجد بدأ من الذهاب لعبادة الدكتورة التزام ، لا
كرت بالذهاب لطبيب آخر أكثر كفاءة لكن الأمر ليس
بهذه السهولة ، صدقا يستغرق المرء وقتا حتي يألف فكرة سرد
أدق خواطره و اسراره لشخص ما ، و لا يهتم المريض حقا بعدد
الشهادات التي حصل عليها طبيبه بقدر ما يهتم بقدرته علي
الوثوق به و ارتياحه له...

-هل ستنام علي الشيزلونج حقا ؟ أنا مندهشة.

...

-قبل اليوم كنت مريضا نفسيا فحسب ، و لكن لم تكن لدي

استرخائي فوق هذا الشئ ، إن من يشعر بالراحة فوقه لا بد و
أن يكون مثقلا بالهموم و ليس مريضا فحسب.

- هي المتاعب التي تواجهها الآن ؟

هكذا حكيت لها كل شئ منذ اقتحمت اوديت حياتي اقتحاما و
حتي ذهابي لعيادتها ، ولا أنكر أنها كانت مهتمة بسماع قصتي
كما لم أراها من قبل...

-سامحني يا طارق ، لو كنت أعلم أن هذا سيحدث لكنت اتخذت احتياطاتي ، لقد حاولت جعل الأمر في نطا لا تتوقع مني ايجاد سبيل لعلاج مريضة ما و اتجاهله .
قلت بصوت هادئ محاولا ألا أبدو عصبيا...

-كان بإمكانك استخدام الطرق المعتادة في علاجها .
-و هل تظني لم أحاول ؟ تلك الفتاة كانت ظروفها سيئة للغاية .
-ها مبالغا فيه

-لا يا طارق ، ليت الأمر بهذه البساطة بالنسبة لأوديت ، لقد كانت أمها تعني لها الكثير جدا ، أكثر مما تتصور .

مراحل التطور النفسي للطفل تبدأ من سن شهر و حتي 18 شهر ، و تسمي بالمرحلة الغمية ، و من ضمن ما يميز هذه المرحلة عدم التمايز بين الطفل و أمه ، أي أن الطفل ببساطة لا يدرك ذاته إلا من خلال أمه ، فهو يظنها صورته و نفسه و كل شئ بالنسبة له ، باختصار يظنها هو ، و لهذا تكون الأم هي

...

لكن كل هذا لا يدوم للأبد كما نعلم جميعا ، إذ يواجه الطفل في نهاية السنة الأولى مخاوف الغطام الوشيك التي يشعر من خلالها أن الوحدة بينه و بين أمه أخذة في الإنهيار التدريجي ، و هذا يعني تدمير موضوع الحب الأول و إفنائه ، الأم ، و لهذا تتميز تلك المرحلة بازدواجية العاطفة للموضوع

...

يبدو هذا قاسيا بالطبع و لطالما كنت أري الطفولة أقسى مراحل حياة الإنسان و لكنها للأسف تدل علي أننا نسير في الطريق الصحيح نحو نفسية سليمة مستقبلا ، كما أن جميع مراحل التطور النفسي لا شعورية ، و لهذا لا نذكر الكثير من الطفولة البائسة و إلا صارت الحياة جحيما ، ..الطبيعة قاسية لكنها أيضا رحيمة...

بالطبع تلي تلك المرحلة مراحل أخرى أكثر أهمية (السادية الشرجية و المرحلة القضيبيية الأوديبيية و مرحلة (، و أغلبها كما ترون ليست بالأسماء المحببة للنفس

...

السؤال هنا هو هل مرت أوديت حقا بهذه المراحل كما ينبغي لها ؟ أم أنه كان لها أم مسكينة عانت أعواما قبل أن تطفر بدميتها الصغيرة لتمشط لها شعرها و تخشي عليها من نسمة الهواء و تعلمها أن العالم بالخارج ليس سوي بعض الديناصورات التي تلتهم بعضها البعض ، و أنه لا أمان في هذا العالم إلا في أحضانها...

...

- يبدو هذا مثيرا حقا بالنسبة لمجال دراستي ، و لكن مادخلي أنا بكل هذا ؟

-دخلك أنك كنت موجودا في الوقت و المكان الخطأ ، المسكينة ظلت طيلة حياتها بلا أصدقاء تقريبا ، لم تعرف في حياتها أحدا سوي امها التي ماتت لتتركها وحيدة ، بالنسبة للفتاة فإن ذاتها قد ماتت ، أوديت تشعر و كأنها هي نفسها ماتت و صارت بلا روح ، هل تفهم ما أعنيه ؟

...

- و هل تراني أشبه أمها إلي هذا الحد ؟

هنا فقدت الدكتورة التزام وقارها و صاحت في غضب...

- آآآآه إرحمني يارب العالمين ، الحنان يا عديم الإحساس ،

-
-
يخيل لي أنك تعتبر الإحساس جريمة.

...

- ليس لهذه الدرجة حقا ، فقط أري البكاء و الرومانسية و كل
تلك الأشياء اللزجة أقرب ماتكون للأنثي ولا يصح لي كرجل
الاقتراب منها.

أخذت نفسا عميقا و قالت...

- إسمع يا طارق ، حاول أن تبعد عن أوديت بقدر ما تستطيع ، لا
أريد أن تحدث لها انتكاسة سريعة كما حدث لك ، أما أنت
فستعاود أخذ عقارك القديم حتي تتخلص من الهلاوس.

...

- لا أخفي عليك أمرا يا دكتورة التزام ، مازلت بانتظار ذلك
الصباح الذي استيقظ فيه لأجد نفسي مازلت طفلا ، و أن كل ما
عشته كان حلما سينا.

-لست وحدك من ينتظر ذلك اليوم ، إن أمنية البدء من جديد
ألوف لدينا جميعا ، و من المؤسف أنها لو تحققت
لارتكبنا ذات الأخطاء بل و اكثر منها فداحة.

هنا قمت من مرقدي لأنصب قامتي في ألم و قلت...

-هل مازال هناك المزيد ؟ إن ظهري يؤلمني من الجلوس علي
أرضية السطح.

-هل يخيل لي أن فضولك بشأنني قد تبخر أم أن هذا حقيقي ؟

-الفضول لمن هي في ظروفنا الآن ترف بالغ.

-
-
-
-
-

-إهدئي يا سمر إنها قضية خلع تافهة مررت بها كثيرا.

-لا ، الأمر هنا يختلف .

-آه ، أفهم قصدك ، قضية جلال تختلف عن غيرها فقط لأنها
قضية جلال.

-هل تظن حقا أنني أفعل الشيء الصحيح ؟ ربما كان يجدر بي
رفض توكيلي في تلك القضية.

-بالعكس ، كلما كان الأمر مهنياً أكثر كلما صار موضوعياً و بعيداً
عن التجارب الشخصية.

فكرت قليلاً ثم هزرت رأسي في إقتناع قائلة...

-هل رأيت ؟ لهذا السبب ما زلت أحتفظ بصداقتك رغم أنك و غدا ،
و ليس بسبب هرائك النفسي و ميامكزاتك هذه.

-ميكانزمات.

-علي كل حال دعينا ننته من تلك الصفحة فحسب ، أعلم أنني
أطلت في السرد اليوم و لكنني لا أضمن قدومي في الفترة

-لماذا ؟ هل وجدت عملاً جديداً

-لا ، و لكن قدمي لن تطأ منزلك ثانية طالما سالي موجودة
فيه.

-ماذا تقصد ؟ لن تأتي حتي تشفي ساقها ؟

-بل و حتي تغادر البلاد كلها.

في صباح اليوم التالي كنت بين النوم و الاستيقاظ...

كنت أعلم أن هذا نتيجة عودتي لتناول العلاج ، هذه إحدى
الأعراض الجانبية التي قد لا تكون مذكورة في النشرة الداخلية
لكنني أشعر بها دوماً لسبب ما...

و كالعادة لم أسلم من هلاوس النصف نوم هذا ، لكنها هلاوس
صحية علي كل حال و تراود كل من يعاني من النوم المتقطع...

بعيون نصف مفتوحة لمحت شبشبي أمام الفراش يعترض

...

لكنني لم أفهم منه شيئا كالعادة لأنني غفوت ثانية متجها نحو

...

حلم يبدأ بعزاء ؟ بماذا ينتهي إذن؟!

...

من الواضح ان اصدقاء العائلة و اقربائهم محدودون للغاية او ان
الاستاذ شرقاوي والد داليا رحمه الله كان ينتقي

...

فكلهم من فئة مثقفة ، كيف عرفت ذلك ؟ لأنهم يدون كذلك...

في عقلي ، إن المعارض يقدم وجهة نظر مفهومة و منطقية و
مختصرة ، لكن فردة الشبشبت تثبت فشلها كسياسية ناجحة
ليلة بعد ليلة ، ربما تحتاج بعض

إعلاناتها تملأ الجامعة ، كورسات مهارات الاتصال و ماشابه ، لم
أقتنع بمثل هذه الترهات من قبل و لم و لن أدفع فيها قرشا
لأحضرها فكيف سأدفعها من أجل فردة شبشبت ، أضف إلي
ذلك أنهم لن يسمحوا لي بالدخول مرتديا شبشبت حمام

...

جالسا استمع القرآن منتظرا في صبر احدهم ليدور
بصينية القهوة لتتقذني من هذا الصداع ، لكن من الواضح ان
هذا () غير متوفر لديهم ، ما أستغربه هو كيف تراودني
هذه الأفكار السخيفة بدون أن أفكر لحظة في حالة داليا الآن ،
لم أرها منذ جئت... منذ جئت؟ و لكن كيف جئ
متي ولا كيف جئت إلي هنا...

ليست اوديت موحودة ولم أرها حتي الآن لا هي ولا داليا ، إذن
كيف استطعت الوصول هنا وحدي ؟ بشوي يجلس بجانبني
لكنه ليس بشوي ، أعني أنه في اللحظة الحالية بشوي ، لكنه
ليس بشوي من حيث الشكل و الهيئة ، لكنه الآن بشوي و هذا

...

مازالت فردة الشيشب تبدي اعتراضها علي شئ ما...

لو صح تخميني فهي تبدي اعتراضها علي التصرف الغير
... (اللعب في المناخير) ، و كيف أن الحضارة

(بالمنفعة الأوتوماتيكية) ، انا لم اعارضها حتي الآن
ولا احتاج ان اعارضها فهي تقرأ أفكارني و تعترض عليها ايضا
() ، إنها علي حق ، إنها تعترض علي
كل مايمكن الإعتراض عليه ، ولا يمكنك معارضة اعتراضاتها
لأنك تعلم في داخلك أنها محقة ، علي الأقل هي تعترض فماذا
!

و أخيرا تسلل ضوء النهار من خلف زجاج النافذة و توقف

...

ربما مازال يعترض حتي الآن و ربما هو لا يكف عن الإعتراض
ستيقظت و أصبحت السيطرة علي المحيط
خاضعة لسيطرة وعيي و عقلي ، فلا تحدثني من فضلك عن

الذي ليس بشوي ، فكل هذه من آثار النوم المتقطع و لا تواجه
الا انصاف النائمين أمثالي ، فقط ادعوا الله الا يتحقق هذا
الهديان و إلا صار الأمر مبالغاً فيه...

علي الأريكة المواجهة لفراشي رأيت ظلا لشخص جالس ،
لطالما يلعب معي ضوء النهار الخافت هذه اللعبة فأنهض فزعا
و أضيء الحجرة لأجد كومة الغسيل و قد شكلها خيالي بأكثر من

...

هكذا أضأت الحجرة منتظرا رؤية كومة الغسيل المعهودة ، و
سف كان هناك من يجلس هذه المرة بالفعل...

-أوديت ؟ كيف دخلت منزلي ؟

بذات الشرود الذي كانت عليه في المصحة ، ثم بدأت تدندن
فجأة بنغمة هادئة أعرفها جيدا...

الباسيكاليا اللعينة...

كنت موقنا أنها معي في الحجرة ، صوتها واضح و عطرها يملأ
المكان ، هكذا هي الهلاوس تجبرك علي تصديقها ، لا تتعلم
منها أبدا ، و كل نوبة هلوسة هي النوبة الأولى ، إنها بالضبط
كالأحلام تضعك فجأة في وسط المشهد ، فلو حلمت أنك رئيس

الجمهورية لن تدهش كثيرا بل ستتعامل بناء علي ذلك و ربما

...

هكذا دفنت وجهي في الوسادة قائلا بصوت مكتوم...

-أوديت كفي عن الدندنة و اتركيني و ارحلي.

لا فائدة ، و كأنني لم أقل شيئا ، بل و كأنها هي الحقيقة و أنا
الهلوسة ذاتها...

هكذا ارتديت خفي الذي كان يعترض منذ دقائق و توجهت نحو
الصالة تاركا إياها تدندن وحدها...

لكن من الواضح أنها كانت مصرة علي إزعاجي هذا الصباح ، إذ
أنها لم تكن في غرفتي فحسب بل كانت في كل مكان تدندن
بذات الهيئة حتي صار صوتها أكثر علواً و تجسيما في أنحاء
البيت كله حتي في الحمام ذاته ، آلاف النسخ من أوديت ، هذا
هو الجحيم بعينه...

هكذا اتجهت للمطبخ بعدما سدت أذناي بقطعتي قطن لم
تجديا نفعا ، هذا منطقي طبعاً فالصوت إنما هو في رأسي
ليس إلا...

ملأت البراد بالمياه لعمل شاي ثم شرعت في البحث عن اللبن
الذي اكتشفت بعد ذلك أن أمي صنعت منه زيادي و تجاهلت

...

هكذا

بأكمله إلي زيادي و وضعت الكوب فوق الغسالة الأوتوماتيك
التي تعمل في صمت و هدوء كالعادة ، لتكتشف أن الماء قد
وصل لدرجة الغليان منذ دهور و أنك مازلت ()

...

يعلموك في المدارس ان الغسالات الأتوماتيك تهتز بشدة في

هكذا تصب ما تبقي من الكوب مع الشاي لتكتشف مذاقا >
لم يكتشفه عبقرى غيرك..

تتنفس في الكوب دافعا البخار للخارج ليكوّن شبيورة علي

الكوب هو شئ مقزز؟

ثم يرن منبه هاتفى في الظلام ، الظلام ؟

نعم الظلام ، و أزيدك من الشعر بيت ؟ مازلت جا

...

ابتسمت رغما عني عندما تصورت لوهلة أن أمي سنأتي من
الإسكندرية خصيصاً لتغيظني بصنع بعض الزبادي...

بل إن آخر كلماتها لي قبل السفر كانت...

(و لما اتنا تاخذ الغسالة الأتوماتيك أنا أغسل علي إ

من الواضح أن حاجتي لمضاد الهلأوس صارت ملحة أكثر من أي

...

هكذا بعد تلك اللحظات من استكشاف الغباء جائني صوت
أحدهم يناديني من الشارع ، نهضت من فراشي مسرعاً باحثاً

وقت النوم ، كان هذا فيما مضى ، حيث
كانت أمي تنهربي دائما حين أجول في المنزل بدون خفين في
(يسمونه شبشب كذلك لكنني أحاول إرضاء الطرفين ،
عشاق اللغة العربية و عشاق تفاصيل الأحداث ذاتها ، و ربما
كذلك عشاق الإثنين معا)...

الأمر واضح إذن ، أنا أعاني من حني
لأمي ذاتها ، حتي تلك العادات السيئة التي عدت لممارستها
صرت أحن لإنزعاج أمي منها...

كان هناك فيلم كارتون لا أذكر إسمه يتمني فيه الأطفال اختفاء
أبائهم و امهاتهم ، فيستيقظون ذات يوم ليجدون أن...

أفتت من شرودي ثانية و توجهت نحو الشرفة لأجد حماسة و
(يونيفورم)

- هذا الرجل كان يسأل عنك.

نظرت إلي الرجل بعين متشككة نصف مفتوحة فوجدته مذعورا
يحاول إخفاء ذعره بابتسامة رسمية مصطنعة...

- هل أنت ممن يجمعون أكياس مساحيق الغسيل مقابل بعض
الجوائز الرخيصة ؟

- شركة فيدكس للشحن الجوي السريع ، هل أنت السيد طارق
حسين ؟

- معي طرد من أجلك و أريد توقيعك بالإستلام ، و بسرعة من

بدأ يفقد أعصابه ، هذا واضح ، إن مصادفة إثنين منكوشي
الشعر صباحا ليس ...

هكذا استلمت الطرد و كدت أن أدعوه لكوب من الشاي من باب
- غادر مسرعا كأن الشيطان -

...
- صباح الخير يا حماسة.

- صباح الخير يا () ، هل كل شئ علي ما يرام ؟

رفعت الطرد الصغير المستطيل قائلا...

- قال عائدا لجحره في البناية المواجهة...

- كنت أفهم ما يعنيه بقوله هذا ، إن المريض النفسي ليس
بالشخص الأمثل لاستلام طرود محبة و إخلاص من معجبيه ،

...
هيئة الصندوق في توحس ، كان

سميكا أشبه بعلبة مستطيلة أو...

كان كتابا بالفعل ذو غلاف أنيق مكتوب عليه (شخايط)...

فتحت الكتاب لأجد في الصفحة الأولى إهداء غامض مكتوب
بخط أنيق أو يحاول أن يبدو كذلك...

إلي رفي

...

أهديك كتابي الجديد و دعوة متواضعة لحضور حفل إفتتاح
الجمعية ، ستفهم كل شئ حين نلتقي...

بالطبع كان أول سؤال خطر بذهني حينها هو :
سامي هذا ؟

هكذا تجاهلت هذا التساؤل مؤقتاً حتي رأيت تلك البطاقة
السوداء بين صفحات الكتاب ، بطاقة صماء أنيقة للغاية لم يكتب
عليها سوي عبارة واحدة بخط بارز...

(الجمعية السكولوجية لدراسة و علاج الأمراض النفسية
)

هكذا دون عنوان أو رقم تليفون أو أي شئ يمكن للمرء فهمه و
(أشم علي ظهر إيدي) كي أفهم ، إن من
أرسل تلك الدعوة لهو شخص يحاول أن يبدو غامضاً...

لكن هذا هو أغرب ما قرأته يوماً ، إن من أبسط قواعد علم

النفسية قابلة للعلاج إما عاجلاً أو آجلاً ، دعك من أن إسم
الجمعية وحده أغرب و أغرب ، و لكن منذ متي كانت الغرابة
شيئاً مريباً في عصر كهذا ؟ إن الخروج عن المألوف صار
كالعدوي ينتشر في كل مجال حتي صارت التقليدية ذاتها شيئاً
، غريباً و شاذاً ، و ممقوتاً أحياناً...

(4)

كان اليوم التالي هادئاً للغاية دون أية مفاجئات ، و قدرت أنني سأرتاح قليلا من مذكرات طارق حتي أنتهي من قضية جلال علي الأقل و ينتهي التوتر الذي أعيشه في الوقت الراهن ...

اللعين ،

خاصة و أنه يعلم كم أنني فضولية و لن أتمكن من تجاهل قراءة مذكراته لسبب لا أدريه أنا نفسي ، أنا بالفعل لا أدرك الكثير عن

...

هكذا بينما كنت أعمل في الشركة بهدوء جئتني منه رسالة نصية علي غير العادة...

قلاع عن إزعاجك بمذكراتي ليوم

...إلي آخر هذا الهراء ، لذا أرسلت لك بعضا مما كتبت

بنفسي أمس في منزلي ، ولسوف نستمر علي هذا المنوال

...

...لسوف أتقاضي أجر ما أكتبه هذا أيضاً ولا

تسأليني لماذا...

بالطبع كانت رسالة كهذه كفيلا بإثارة إنزعاجي و فضولي في ذات الوقت ، و لسبب ما لا أدريه ، أخرجت الكمبيوتر من

حقيبتني و وضعته علي مكتبي و بدأت أنظاھر بالإنھماك في

...

فيھا بذاكرتي عن شخص يحمل هذا الإسم ، بالرغم من أن عدد معارفي لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، هكذا خطر ببالي أن أتصل بدار النشر التي نشرت هذا الكتاب لأحصل منهم علي بيانات الكاتب ، بالطبع كان جزء مني يدعوني لتجاهل الأمر برمته ، بينما جزء! آخر فضولياً كان يركل جزئي المتجاهل في : فلتصمت قليلا أيھا الأحمق ، هناك أمر هام

بشأن هذا الكاتب...

-دار الزهور للنشر؟

-تحت أمرک سيدي.

-هناك كاتب اسمه ()

-نعم سيدي.

-هل بإمكانني الحصول علي أي من بياناته ؟ أعني رقم هاتف ،

-في الواقع هذا غير مسموح و لكن بإمكانك حضور حفل التوقيع في التاسعة مساءً في فرع الدار بالدقي.

-..لست حقا من هواة حضور حفلات التوقيع لذا أرجوا منك

...

هكذا أرتديت ملابسي استعدادا للخروج وتناولت قرصا من
دوائي عاقدا النية علي تصحيح بعض الأ...

... (فينوس)

إن من وضع هذا الإسم فوق بوابة المحل كان يعرف حقا ما
يفعله ، و كأنك تدخل محارة فينوس ذاتها لتجدها مستلقية إما
نائمة أو تمشط شعرها أو تنظف أذنيها بظفر إصبعها الصغير...

فقط يكمن الإختلاف هنا أنك ستجدها جالسة داخل مكتب
لة التظاهر بالإنهماك في العمل...

- طارق ، ما هذه المفاجأة السعيدة ؟

-مازلت تذكريني ، هذا جيد.

-

-ليست جيدة تماما لكنها كذلك ليست سيئة.

أحدهما أعرفه جيدا...

-

-ريمون و إيفون ، إنهما توأم.

للمرة الثالثة أري نظرة الذعر المرئسة في عيونهم الواسعة ،
يضحكون و يكون و لكن في النهاية يبقى الذعر هو سيد
التعابير ، هذا تعبير ثابت للوجه في العائلة كلها لا أدري ممن
تعبير أنثوي للغاية لا أظنه يورث إلا من أنثي ،
إن تاريخ الأم مع أوديت يجعل هذا الإحتمال أكثر رجحانا...

هكذا داعبت بيدي رأس الفتاة كما يفعلون مع أي كلب (كانيش)

...

-ريمون ، إسم جميل لفتاة أجمل.

هنا قالت مدام موريان في تردد...

- ...إيفون هو إسم الفتاة.

قلت مبتسما في بلاهة بينما يدي شاردة تعبت في رأس

...

-آه آسف ، هذا يعني أن الولد أسمه ريمون و الفتاة اسمها
إيفون ، و أوديت اسمها أوديت طبعاً ، هذا... ..

-في البيوتي سنتر ؟

-

...

-مركز تجميلي ، في نهاية الشارع المقابل للمحل.

هزرت رأسي متظاهراً بالفهم ثم هممت بالمغادرة قبل أن
تلحقني بكلماتها قائلة...

-بالمناسبة ، شكراً علي الباقية ، إن لك ذوق جيد في الورد.

هزرت رأسي ثانية دون تعبير واضح ثم خرجت من مكتبها

المخدرات ، هذا أقرب تشبيه خطر بالي...

كما تري بالطبع كان لابد لي من الذهاب الي المكان المقصود
حتي افهم ما كنهه تحديدا...

هكذا ما أن وجدته شرعت في البحث عن اوديت في ك
وسط نظرات أنثوية لست ادري أهي نظرات اشمئزاز ام احتقار
ام تقزز ، و حين وجدتها كانت جالسة تحرق شعرها تحت احدي
() التي تجلس تحتها السيدات لتقرأ في مجلة ما
بينما يتم سلق رأسها جيدا...

توكلت علي الله و جلست بجانبها متخذاً احدي تلك الحلل فوق
سي و قلت دون أن أنظر لها...

-إمرأة طيبة هي أليس كذلك ؟

نظرت نحوي في إستفهام فقلت موضحاً...

- أعادت بصرها نحو المجلة فائلة في سعادة...

-أحيانا أشعر أن الرب عوضني بأمر أفضل من الأولي.

بدا لي كلامها قاسياً لكنني لم أعلق...

...

-ربما تظنني قاسية حتي أقول شيئاً كهذا ، لكن الحقيقة لابد و

شيئاً سوي الخوف من كل شئ و أي شئ.

...

- هذا طبعا مقارنة بمدام موريان التي جعلت منك كما أري قطة لية مدللة.

هنا أغلقت المجلة و ابتسمت قائلة في شرود...

-زوجة أبي علمتني كيف أستمتع بحياتي بلا خوف ، صحيح أن أبي تزوجها منذ بضعة شهور فحسب لكنها حين علمت بأمرى أصرت علي إخراجي من المصحة و إعادتي للحياة بأسلوبها ، كانت تؤمن أن المصحة لن تفعل شيئا سوي زيادة حا

...

-أعترف أن لديها بعد نظر في هذا الصدد.

هنا ابتسمت ابتسامة خفيفة و قالت...

-الآن أشعر أنني أكثر ثقة من ذي قبل ، أعرف كيف أجعل نفسي جميلة ، أعرف كيف أتحدث بلباقة ، أشعر أنني أخرى.

هنا خطر ببالي سؤال ما لم أستطع التراجع عنه...

- ماذا عن الموسيقى ؟

قطبت جبينها لثانية ثم ادركت ما اتحدث عنه سريعا و قالت...

-تلك الموسيقى كانت أمني تحبها للغاية ، بل و كانت تنام عليها أيضا ، و حين كانت تريد الدكتوراة التزم أن تنتزع مني الكلمات كانت تقوم بتشغيلها لتجعلني أشعر بالأمان و أتحدث بحرية ما ، الحقيقة أنني مازلت أسمعها لأشعر بالدفء.

هرشت رأسي قائلاً...

- لا ليست كذلك ، و لكنني أنتقي من ذكرياتي معها أجمل ما فيها.

نظرت لها في تأمل شاعراً نحوها بمزيج من الشفقة و الإعجاب
به تقريبا و لكنها عادت أقوى
من ذي قبل و مازالت قادرة علي ترتيب أفكارها...

- هل تعلمين اجمل ما بتلك الموسيقى ؟

...

- لكن البارد لن يمنح الدافئ حياة أبداً.

هنا نظرت لي نظرة لم أفهمها حتي اليوم قائلة...

- مر يتعلق بالثقة ، بالإيمان ، باليقين ، أن تؤمن بأنك
حتي لو بقيت عارياً في مهب الريح ، فإن الريح نفسها

هكذا التزمنا الصمت لثوان ننظر فيها لبعضنا ، ثم
المشهد غريباً و نحن نتحدث في مثل هذه الأمور تحت تلك
الأشياء الضخمة ، خاصة أن تلك
فضائي ضخمة ، و قد كان هذا كفيلا بسحق كل
عواطفي المحتملة تجاهها ، هن يأتون هنا كي يخرجوا من هنا
جميلات و لا يحق لك مقاطعتهم في طور الغسيل و الشطف ، و

...

بعد دقائق استأذنتني أوديت و ذهبت لمكان آخر داخل ذلك
المكان المريب ، هكذا قمت بجولة ما داخل المكان و قد كونت

إستنتاجاً أن بهذا المكان يوجد كل شئ يهم النساء تقريباً ، فلن
أندشش كثيراً لو وجدت قسماً لضبط الزوايا و الإتران...

كنت اعتقد ان هذه الأماكن موجودة بالأفلام فقط ولا وجود لها
ولا لمرتابديها ، هل يوجد من يمكن ان يدفع نصف مرتبه الشهري
في مكان كهذا ؟

...

جلست في الإستقبال أطلع إحدى تلك المجلات المليئة
تظاهراً بالإهتمام فقط

...

إمم قناع الملكة نغرتيتى لجمال الوجه و نضارته ، فلايد أن
الملكة كانت تملك من الوقت ما تضعه في صنع أقنعة

...

هل كتبت هذا الهراء على اوراق البردى الوقورة ؟

بعد حولى ربع ساعة لمحت أوديت قادمة من نهاية الردهة ،
أفعى بكامل زينتها تسحر أنظار الحمقى أمثالى...

هكذا ما أن توقفت أمامى حتى وقفت ناظراً نحوها في بلاهة ،
و حين لاحظت نظراتى تلك قالت...

-

ظللت أبحث لثوان عن كلمات تصلح للرد عليها فقلت...

-أنا أحترم المعاناة حقاً ، إنها تمنح صاحبها شيئاً من
...الحكمة الجنونية أو الجنون الحكيم ، لا أدري لكنها تصيف

شينا مميزا لأسلوب تفكيره و تصرفاته ، ولا أبالغ لو قلت

...

- هل تريد مني تركك و شأنك ؟

- هل تريد أن نصبح

- اتسعت ابتسامتها و قالت...

- لكنني أعلم ، تريد أن تكون برفعتي فحسب ، ولا يهم لماذا ولا

هزرت رأسي قائلا بذات الشرود...

- شئ كهذا.

- مدت يدها في مرح و قالت...

- إذن دعنا نبداً كالجميع ، دعنا نبداً كأصدقاء ، و اترك ا
ما ستؤول إليه علاقتنا.

كالمسحور مددت يدي مصافحا إياها ، لسبب ما لا أدريه أنا
مجبر في كل هذا ، لكنني أريد الخوض فيه...

ببساطة أنا أريدها ولا أريدها...

في الثالثة مساءً قابلت طارق في مقهى بينوس...

- أليس بإمكانك الإتصال بي حين تكون هنا ؟

- أري دافعا لخسارة رصيدي طالما أنك ستدركين وجودي هنا.

- لا ، هذه المرة لم آت من أجلك.

-

قلت بينما أشير لنادلة المقهى...

-ذهبت للمنزل لأرتاح بعد يوم طويل متعب ، لأكتشف أنني نسيت وجود سالي.

قال في برود بينما يرشف قهوته...

-اها ، هذا أيضا ميكانزم آخر تتراجع فيه الذكريات المؤلمة نحو

تجاهلته محاولة ألا أفقد أعصابي و قلت...

-صارت تدخن بشراهة و صار الدخان لا يفارق شفتي و كأني

() ، لقد اكتسبت اللعينة بعض العادات

الأمريكية المقيمة حتي صرت لن أندهش كثيرا لو طلبت مني

()

...

-نحن لن نشعر بقيمة الوحدة حتي نمر بتلك المواقف السوداء ،
أنا أحقد عليك يا سمر.

مرت لحظات من الصمت قبل أن يلفت انتباهي علي الطاولة
هاتف أسود من ذلك النوع ذو السمك الرفيع للغاية ، هكذا

...

-مبروك الها

-هذا ليس هاتفي.

...

-هاتف من إذن ؟

-أحمد سامي ، لقد ذهب للحمام منذ خمس دقائق قبل قدمك
ولا أدري لماذا تأخر هكذا.

!! أين سمعت هذا الإسم؟؟

لا أنكر أن هناك نشوة في أن تكون كاتباً ، يقر
الخاصة في الحياة و يعجبون بها ، هذا يمنحك بعض الغرور
الداخلي و الكثير من الثقة و الاعتداد بالنفس ، و إن كنت في
الواقع لا أري فرقا كبيرا بين الغرور و الثقة بالنفس...

و قد كنت أشعر بتلك النشوة في حفل توقيع كتابي الأول ،

لنشر هذا الكتاب الذي قضيت أغلب أوقاتي في المصححة

...

لكن نشوتي زالت نوعاً ما حين رأيت طارق قادماً نحوي ، كان من الواضح أنه لا يتذكرني من الأساس و قد جاء الحفل ليُعرف من هو أحمد سامي ذلك الأحمق الذي حاول يائساً أن يتظاهر بالغموض ، هكذا بالطبع كان وجوده في الحفل كرسالة مفادها (لا تحاول أن تبدو غامضاً خاصة حين ت ...)

- هذا شيء يسعدني حقاً و لكنني لم أدعوك لهذا الحفل.

-عندما خرجت من المصحة كنت مدعوراً مثلك هكذا من أي شخص يعرف حقيقة مرضي

قلت بينما أوقع نسخة لأحدهم...

-أفترض الآن أنك تريد معرفة كل شيء عن الجمعية السيكولوجية.

-علي الأقل عنوان و موعد ، لا تثر فضولي بشأن شيء غير

قلت مبتسماً في هدوء بدا لي أنا نفسي مستغزاً...

-لو لم أكن غامضاً لما اجتذبت انتباهك.

سادت لحظات من الصمت ظل فيها طارق يطرق الطاولة

...

هكذا أخرجت من جيبي بطاقة سوداء و كتبت علي ظهرها

...

-لن نتحدث هنا فشرح الأمر يطول ، قابلني الليلة التاسعة

هكذا أخذ البطاقة متسانلا بداخله عن سر ولعي بالبطاقات

...

حينها أدركت حقاً كم لا يجب هذا الغتي أن يكون مقر ...

، بل مستمتع بكونهم أصدقاء ، إن أحمد سامي هو الوحيد الذي

...

طبعاً من تحصيل القول أن أقول أنني كنت الشريرة الوحيدة
في هذه الجلسة التي تكره ملاكا كأ
الوحيدة في العالم كله...

لكن الأمر يتعلق بفكرة الوسطية التي لطالما اتبعتها ، إن
المبالغون في الطيبة لا أرتاح لهم ربما أكثر من المبالغون في
الشر ، إن الناس يخطنون و هذا عهدي بهم...

...

-لكنني لا أفهم كيف تتمكن من قراءة

-ربما ليس الأمر بهذا العمق يا طارق ، لقد سألت الدكتورة التزام عنك قبل مغادرتي للمصحة و قد أفادتني بشأنك كثيرا ،

هنا حشرت نفسي بينهما قائلة...

-لكنني أتسائل يا أستاذ أحمد ما الذي غير موقفك هكذا فجأة حتى توافق علي نشر أسرار مرضك في كتابنا هذا ؟

...

-إن الحقيقة التي يدركها كل مريض نفسي بعد فترة من علاجه ، أنه واجه خبرة متميزة للغاية لا تستحق أن يخجل منها لهذه الدرجة ، بل إنه يشعر بالتميز مع مرور الوقت ، صدقيني يا

المحاربين.

...

-و الآن أستاذنكم فلي موعدهام ، أنا واثق أن لدي طارق المزيد من التفاصيل المثيرة بشأن الجمعية ليسردها لك.

هكذا استدار مغادراً قبل أن يتوقف للحظة باحنا عن شئ ما بجيوبه و قال لنا...

-إن كان لديكم وقت فسأسعد كثيراً بحضوركم لمعرضي هذه الليلة ، سيكون هناك معروضات جديدة انعشم ان تنال

المزيد من البطاقات السوداء ، هذا الرجل لم يكن يمزح حين

...

(، كم شئ يجيد فعله هذا الرجل)
!

حين تحاول التخصص في مجال ما تكتشف فعلياً كم أن حرية التعبير هراء مبتدع...

أنت لا تري في الموناليزا أي نوع من الإبداع ، بل و تجدها قبيحة ذات ابتسامة مستغزة ، لكنك ستجد أيضا رقماً فلكياً ممن سيخبرونك بمدى غبائك و قلة خبرتك الفنية...

بل إنني علي يقين تام بأنه لولا بعض الحمقي ممن يسيل لعابهم امام تمثال اثري صغير و يشهقون انبهاراً بمعبد أثري متهدم لكان ابو الهول الآن قطعاً من الدقشوم المستخدم

...

لقد استمدت الآثار المصرية قيمتها من إنهار الأجانب بها ، و هذا يندرج ضمن جملة الحقائق التي علي علينا الاعتراف بها

...

دار كل هذا بخاطري أمام إحدى اللوحات في معرض أحمد

-

...

...

-أراهن أنك تسخر بداخلك من هذا الهراء.

-

هل سخرיתי قائلاً...

-هل تريد الحقيقة ؟ لقد رسمت هذه اللوحة في لحظة شرود

في صفحات ملزمة المراجعة النهائية.

-ألهذا أسميتها سخايبط ؟

-بل ولو دققت النظر أكثر لاكتشفت أنها جزء من تصميم كتابي الأخير.

يلا ثم نظرت نحوه قائلاً...

-إذن هكذا هو الأمر ؟ الكتاب كله مجرد أفكار راودتك في

...

-في لحظات الشرود تنفرط أفكارك كحبات عقد انقطع خيطه ،
لا سيطرة علي خواطرك و كأن عقلك في تلك اللحظات يعمل
عجلة القيادة ، و لهذا السبب
أسميت الكتاب بنفس إسم اللوحة ، فكلاهما ببساطة قائم

هزرت رأسي في غير اقتناع و قلت...

- قال و قد أدرك أنني لن أهدأ ما لم أعرف سره الذي يخفيه...

-هل جربت مرة أن تفقد هويتك ؟

- بطاقة الهوية ؟

- لا لا ، أقصد هويتك كشخصية منفردة ، كنظام سيكولوجي

عقدت حاجباي في غير فهم فقال...

- هل جربت أن تستيقظ يوما لتجد أنك لا تذكر من أنت ؟

هنا ضغطت علي اسناني قائلا في غيظ...

- ليس تحديدا ، أنا

نفسي قد تغيرت ، تغيرت كثيرا.

-كيف هذا ؟

-أفضل ، لا أعرف ماذا أكره و ماذا أحب ، حتي اتجاهاتي
السياسية لم أعد متأكدا منها و لم أعد أشعر بذات الحماس
لتشجيع فريق الأهلي.

هرشت ذقني و قلت متجها نحو إحدى اللوحات في نهاية

-تقصد أن شخصيتك زالت.

-هكذا فجأة ؟

قال في حماس من وجد من يهتم بمشكلته...

-نعم ، أعني أن هناك ما حدث لأصبح هكذا لكنني لا أذكر التفاصيل ، أعلم أن هناك ما حدث لكن حين أذكر مشوشة للغاية و كأنها حلم راودني ذات ليلة و استيقظت ناسيا إياه تماما .

قلت بينما أتأمل اللوحة عن قرب أكثر حتي كدت ألصق أنفي بها...

-نعم ثلاثة أرباع أحلامي تكون بهذا الشكل بل و من النادر أن أستيقظ يوما متذكرا أحلامي .

قال و قد لاحظ اهت ...

-علي كل كان هذا هو مرضي و مأساتي التي ما زلت أعاني منها حتي الآن ، لقد شوش تفكيري تماما حتي سأمتني زوجتي و طردتني شركة الطيران .

...

-أين رسمت هذه اللوحة ؟

-كنت أعرف الملامح جيدا ، هذه أوديت ولا شك لكنها لم تكن يوما بهذه السعادة لدرجة أن تغمز بعينها في مرح هكذا...

-أعرف هذه الفتاة ، لكنها لم تكن مبتسمة يوما هكذا .

-أعلم ، و لكنني لم أرسم يوما لوحة حقيقية ، أنا أنتقي اللحظات الحزينة و أغير الواقع بداخل

-تقصد أنك رسمتها تغمز بعينها فقط لأنك رأيتها هكذا أحمل ؟

-أجمل و أسعد ، أردت رؤيتها سعيدة.

وضعت يداي في جيبي معطفي قائلاً...

-بخصوص سعادتها فلا تقلق بشأن هذا ، إن لي مع تلك الفتاة قصة مثيرة سأحكيها لك فيما بعد ، ما أريد معرفته الآن يتعلق عية.

قطب جبينه قائلاً في غباء...

-أي جمعية ؟

كنت أعلم أنه سينسي ، كان يتظاهر بالتمنع عن ذكر مرضه و

...

-هل تعلم ؟ لغت إنتباهي فعلا في اسلوب سرد أحمد سامي أنه يهتم بأفكار الطرف الآخر و نظرتة نحوه أكثر من أي تفصيل آخر ، لقد كان يروي تفاصيل لقائكما في حفل التوقيع من زاويتك أنت أكثر من اهتمامه بذكر آراءه الخاصة ، أي كاتب هذا الذي لا يهتم بوضع بصمته الفكرية ؟

...

-أحمد سامي رجل موضوعي للغاية ، لا يملك تحيزات مسبقة ئ في أي شئ ، لا أنكر أن مرضه الغريب هذا جعل منه شيئا مميزا للغاية.

-ألهذا السبب اخترت صداقته ؟

...

-الصدافة ظاهرة اجتماعية بحتة لا إرادة لنا فيها ، بل هي شئ

-نعم لكن أعني أنك حتما وجدت بينكما اهتمامات مشتركة أو شئ من هذا القبيل.

-نعم هذا صحيح ، إن أكثر الإهتمامات التي نشترك فيها سوية هي أننا لا نهتم بأي شئ ، ولو احترق العالم بأكمله فلن يعيننا الأمر كثيرا.

هزرت رأسي فائلة...

-إذن هل ستذهب للمعرض الليلة ؟

-لا أري ما يمنعني من الذهاب.

...

...

كان المعرض يحوي من المنحوتات ما يثير شهية أي مهووس بهذا الفن ، لكن في نهاية إحدى ردهات المعرض كان هناك شئ كفيل يجذب الإنتباه عن المعرض بأكمله...

-تواليت في معرض للمنحوتات ؟

أخذ طارق نفسا عميقا ثم قال متجها نحو هذا الشئ...

-من الواضح أن رأس أحمد سامي امتلأت بما فيه الكفاية من هراء الفن الحديث.

هكذا توجهنا نحوه و ما أن توقفنا أمامه حتي تطلع كل منا
ما يشبه العين البشرية ، و التي ما أن نظرنا نحوها حتي
انطلق منه

...

-هذه إحدى القطع التي افتخر بها.

...

-و عن أي عصر يتحدث هذا الصراع تحديدا ؟

...

-لا توجد صراعات هاهنا ، هذا التركيب ببساطة يجسد أحط و
وأ الرغبات البشرية في نظرة الإنسان لعورة أخيه الإنسان.

رفع طارق حاجبيه ناظرا نحوي و كأنما يتفحص تعابير وجهي
أولا بعد سماع هذا الهراء ، ثم نظر نحو أحمد سامي قائلا في

...

-و بالنسبة لذلك الفلاش هل هو جزء من رمزية النحت ؟

-لا بل هي كاميرا حقيقية مزودة بجهاز استشعار لالتقاط تعابير

.

-هذا رائع إذن فحتمًا لن تري سوي تعابير الاشتمزاز علي وجوه
الزائرين و حينها سنقول في سرك أنك عبقرى لأنك نجحت في
توصيل فكرتك بهذه الدقة و هذا العمق.

-بالضبط ، الآن أنت تفهمني.

هكذا استأذنا بعد ثوان ليذهب نحو جماعة أخرى م
الشعر غير المستحتمين بينما قال طارق متأملاً إياه من بعيد...
-حان الوقت لقطع علاقتي بهذا الرجل ، لقد صار ملوثاً بهراء

قال طارق متأملاً في إحدى المنحوتات العجيبة:

في اليوم التالي اسلمت عملي بجمعية تنمية المجتمع ، و قد
بالجمعية نهارة شبه حامل تماماً ، إذ أن
النادي و العيادات و أغلب مكاتب الجمعية لا تفتح أبوابها إلا ليلاً
، و كانت هذه بداية سعيدة بالنسبة لي كوني سأعمل نهارة
في هدوء تام لا يقطعه إلا بضغ استدعاءات من الإدارة كل
ساعتين او ثلاث لتسليمي بعض المستندات كي أقوم
وسبتها ، مع بعض المزاح السخيف من الأستاذ شريف...

لا أتصور كيف كان أبي يتحمل رفقة رجل كهذا...

هكذا قضيت حوالي شهرين مستغرقاً في عملي بالجمعية ،
في الواقع كنت مستغرقاً في وحدتي بهذا العمل و ليس
بالعمل ذاته ، أنا أشتهي الوحدة حيث أجدها و قد كان هذا
ة لي مجالاً خصياً لاستعادة حياتي الإنعزالية

...

بالطبع نسيت كل شئ عن الجمعية التي دعاني لها أحمد
سامي و نسيت أحمد سامي ذاته ، تخللت تلك الفترة بعض
المكالمات من الجميع علي غرار ()
الجميع بمرور الوقت و صارت المكالمات شبه

...

الجماعي ، حين يصبح الجميع أصدقاء فجأة دون سبب واضح...

هكذا حين لمحتني داليا قالت...

-مازلت حياً إذن.

-إذن ، كيف بليت في الإمتحان ؟

-أمقت هـ

ظلت صامتة قليلا ثم ابتسمت بعدما تأكدت من أنني مازلت كما

...

-أين البقية ؟

-خرجوا من لجانهم قبلي و ذهبوا لحلوان ، سنلحق بهم.

-لا أفهم لماذا أذهب لحلوان إن طريقي مختلف.

...

-مكتبة ذهب ، ملزمة المراجعة للمادة القادمة ، ثم نجلس قليلا
(بعزق كافيه).

!!

- آه صحيح أنت لم تعاصر ذلك المقهي ، فاتتك أحمل أيام في الجامعة أيها المغفل.

-أكون مغفل حقا حين أجلس في مقهي بهذا

-أنت لم تره بعد ، هذا أفضل مقهي في حلوان و إسمه هذا ليس لشئ إلا جذب الإنتباه.

لا أدري إلي أين تصل المحلات في أنماط لفت انتباه زبائننا ، إن الأمر فاق الحدود و قد يمتد لما هو أبعد ، فلن أتعب لو وجدت
... ()

هكذا وجدت نفسي مجبراً علي الذهاب معها ولا أدري لماذا ، ربما أردت ترك انطباع جيد في نفوس الجميع قبل انتهاء هذا إن للصدقة متطلباتها و إن ضريبتها لغالية ، تحتاج منك إرسال و استقبال ، و أنا طيلة حياتي كنت ألعب دور المستقبل

جعل الجميع يأخذ عني فكرة ()
بأن العواطف تجعلني غير مستقر نفسي و لذلك لا استطيع-
مبادلة الآخرين المشاعر ايا كان نوعها ، لقد وجدت الراحة عندما أخليت مسؤوليتي من الإرتباطات ، أخليت مسؤوليتي من ي انسان واع لتصرفاته ، أخليت من الصداقات ، أخليت من الإرتباط بأثني ، إن راحتني وحدثها في الإلتزام بعدم الإلتزام

كان المقهي فاحراً بحق رغم إسمه المريب ، كان بشوي

- طارق هذا أحمد خطيبي ، أحمد هذا طارق أحد زملائي .

صافحته بحرارة مشفقاً عليه من مستقبل مظلم برفقة داليا...

- أهلا وسهلا منور والله .

- كان صوت فيروز يملأ المكان قادماً من لا مكان ، و خطر ببالي أن منسق هذا المكان هو شخص يفهم حقاً...

لم أكن وقتها معتاداً علي الجلوس بالمقاهي منها ، و ربما كانت هذه أول مرة أجلس فيها بمقهي في حياتي ، لهذا كنت متوتراً إلي حد ما أتصب عرقاً من وجهي و يداي ، إن يداي تتعرق بوجه عام تحت أي ظرف ، لكن تعرق وجهي و احمرار اذناي هما مؤشر واضح علي التوتر ، ناهيك عن نظرات مذجنت و في الواقع لا ألومها ، لقد وعدتها يوماً أن نكون أصدقاء ثم اختفيت بعدها و هي كما تري ليست بالبداية الجيدة ، و لكن منذ متي كنت مشهوراً بوفائي بالوعود ؟ إنني غير قادر علي الإحتفاظ بدجاجة ناهيك عن

...

لاحظ بشوي الهدوء الذي خيم علي المكان حين

...

- فيما بعد تعجبت حين أدركت أن المكان ليس به نادل بل هو من () Help your self ، و هذا أراحني

...

يث عن الراحة ألا يوجد حمام هنا ؟

-خذني معك يا بشوي سأذهب للحمام.

كنت موقنا أن أوديت ظنت أنني أحاول جاهداً الهروب من نظراتها ، حمقاء لا تعلم أنني محصور بالفعل...

بالفعل كان هناك حمام فاخر ذو صابون سائل و مجفف هوائي ، تلك الأشياء التي استغرقت دهورا حتي تعلمت كيفية استخدامها...

هكذا بعدما لبث نداء الطبيعة عدت إلي بشوي الذي كان عائدا و في يده مشروب أخضر تسبح فيه أسماك صغيرة... ثم ما لبث أن ألقاه في وجهي...

و قبل أن أفهم شيئاً اكتشفت أنني من الأساس لم أتحرك من مكاني منذ جئت ، لكن الجميع متجمع حولي و كأنه أنقذها شاب وسيم من الغرق لتوه ، ملابسي مبتلة و علي وجهه الجميع نظرات قلق ممزوجة بالغباء ، لقد كنت أهلوس و من الواضح أنهم حاولوا إفاقتي بالماء و يعطون نفاذة من التي أمقت رائحتها...

فقط أوديت هي الوحيدة التي امتزج قلقها بترقب ، هي تعرف أنني كنت أهلوس

...

لكن الكارثة الكبرى بعيداً عن كل هذا تكمن في ذلك الليل الدافئ بسروالي ، الهلوس لا تعترف بالزمان ولا المكان الفعلي لتلبية نداءات الطبيعة المزعجة ، و من الواضح أنني لن

...

-ألا تري أنك قفزت سريعاً للغاية هذه المرة ؟ إن شهرين
بأكملهم لم....

قاطعني بينما يتفحص شئ ما باهتمام قائلاً...

كان يراقب أحمد سامي من خلف إحدى القطع ، بينما كان
أحمد سامي في الجانب الآخر يشرح شيئاً ما للزائرين الملتفين

هكذا قال طارق بينما هو مستمر بالمراقبة...

-ما زلت لا أفهم هذا الرجل ، هل يخيل لي أنه مستمتع بما

-ما المشكلة ؟ هل حقاً لا تدركين ما المشكلة ؟

هزرت رأسي نافية في تردد فنظر نحو الأرض في إحباط ، ثم
المنحوتة بيده متعمداً لتسقط علي الأرض
متفتتة ، ولأحد عيون الجميع توجهت نحونا في ذعر...

ما فعله ، لم يكن طارق يوماً عصياً حتي يقدم علي فعل متهور
كهذا ، إنه البرود يمشي علي قدمين ، أكاد أجزم علي أنه
العصية معي ليجد سبباً مقنعاً لكسر تلك القطعة ، إن

سيكون موقفنا حرجاً للغاية...

هكذا ظهر أحمد سامي بذات الإبتسامة فقط ليقول في هدوء...
-خيراً حدث ايها السادة إنه صديقي ، الصداقة لا تقدر بكنوز
الدنيا كما

هكذا ببساطة و كأنه هشم طقم أكواب مستورد ، لا تبدو حتي
علي وجهه أدني علامات الضيق و هذا بالطبع جعل طارق
...

إن هناك حربا نفسية تدور بين هذين المخبولين و أنا لا أفهم
منها شيئاً علي الإطلاق...

(5)

في الأيام التالية ساءت أحوال البلاد للغاية و بدأ الناس يفقدون حماسهم نحو الثورة ، أو علي الأصح بدأوا يفقدون ثقتهم بالجيش ، هذه هي المرة الأولى التي يوضع فيها الجيش بموقف كهذا لذا كانت قراراته في ذلك الوقت شبه متخبطة ، الجيش يطالب الشعب بالعودة لأعماله الجيش بمحاكمة رموز النظام أولاً و قبل أي شئ ، هكذا بدأ أبريل بزلزال خفيف لا يكاد أن يشعر به أحد لكنه كان عنواناً لشهر مشحون ، و منذ آخر مرة في معرض أحمد سامي لم أر

حتى تساؤلاتي الفضولية نحو

الأقل ، و كل هذا اليوم ، اليوم

... 3

مهنتي ، كنت خائفة و أرتجف لكنني كنت أقنع نفسي بأنني أهلة لذلك ، و أقول بداخلي أن كل هذا التوتر سينتهي بمجرد إنتهاء القضية...

وبعد قليل حضر جلال و جلس بجانبني بينما كنت أرتب

...

-هل كل شئ تمام ؟

- () لا بد أن نفوز بالقضية لقد اخترتك لهذا.

...

مرت بضع لحظات كأنها الدهر ظلت فيها عبارته يتردد صداها
للموافقة علي فعل هذا؟!

...

-هاهي قد جائت اللعينة و معها...

قلت و أنا لم أرفع عيني عن الأوراق...

-و معها من ؟ زوجها الجديد ؟

- ذلك بكثير.

و حين رفعت عيني لأنظر نحوهما فقدت القدرة علي التفكير ، و

...

و في المساء التقيت طارق من جديد ، في بينوس كافيه...

-أمي تتحداني يا طارق ، ذهبت في صف الخصوم.

-لا تظلمينيها ربما كانت مثلك لا تعرف من هو دفاع زوج الموكلة

-هي من ذهبت مصادفة لها ، خاصة و أنها-

بمهارتها في الفوز بذلك النوع من القضايا.

-لقد طلبت تأجيل الجلسة علي كل حال ، صحيح أنني بدوت

حمقاء أمام الجميع لكنني تخليت عن هذه القضية تماما.

- - كان متفهماً للأمر رغم انزعاجه .
- مط شفتيه في غير اقتناع قائلاً...
- حسناً ، أظننا انتهينا من هذا الأمر الآن .
- نعم ، أشعر أنني تخلصت من هم كبير للغاية ، أريد أن أحتفل .

مرة أخرى بين النوم و اليقظة ، و ضوء النهار يتسلل من زجاج
النافذة ، لا يوجد شبابش يعترض هذه المرة...

لكن هناك من يتكلم ، هناك من يتناقش معي و أناقشه ، لا
أعلم من ولا يهمني أن أعرف في اللحظة الحالية ، هناك
موسيقي تتردد ، من فيلم مصري قديم ، مألوفة هي لكني لا
أدري من أين تأتي ، عيناى مفتوحتان و وعيي صاف لدرجة
مخيفة ، لا أرى سوى أرجل الأريكة المواجهة للسريير لكنها لا
تتكلم ، يمكنها أن تتكلم لكنها صامتة تشاهد فقط دائماً و لهذا
فإن لها رهبة خاصة ، نظراتها أبلغ من ألف كلمة ، إن الخف كان

وما ما و لكنه اليوم لا يجد مايعترض عليه ، دعك من أنني

هو موجود ، الآن تبدأ الأغنية ، الآن تذكرت ذلك اللحن ، جمالات

...

(وجع قلبي ، و أحبه و أموت ، و روح قلبي مشعلقة فيه)

صوتها الرائع...

)

(

و كأن النقاش يدور منفردا بمكان آخر بعيدا عن الأغنية ، و لكنني موجود بالمكانين ، أدرك هذا و ذاك بمنتهي الوضوح و الشغافية ، إن الأغنية لها رهبة هاهنا...

()

و لها طابع يختلف...

(عشان في النوم أشوف طيفه مغيث فايدة)

انها أعظم ما أنجزته البشرية...

()

من تحدث عن هيفاء وهبي هاهنا ؟

(بعين عفريت ماسك سيفه و نار قايدة)

...

(بشبشبله مايفكر و

لا أفهم فيم أتناقش بالضبط و لكنني أبدو مهتما و أَدافع كمن له

...

()

أو كمن يحاول إثبات وجهة نظر...

(ياعيني ، إخي)

و لكن محاورتي انسان بارد يرد في غير اكترات محاولا أن يبتعد

...

()

كيف يجرؤ أن يكلمني بهذا الأسلوب علي سريري و في

...

(ياسيدي ، إخي)

سأنهي النقاش و أريه لمن الكلمة هاهنا...

()

لم أجد رداً يليق ، فقط ظللت ناظرة نحوه في صمت مما دفعه
لتوضيح الأمر...

- إتضح لي حينها أنه

يسمع بعض الأغاني الغربية ، إنها أذواق كما تعلمين.

-هل تريد مني كتابة هذا الكلام الغارغ ؟

-وما المشكلة ؟ إنها ظاهرة تحدث للكثيرين بين النوم و اليقظة ، لا أظن القراء سيجدون صعوبة في....

-إسمع يا طارق ، لن أكتب سوي ما ينتمي لمرضك ، أما هذه بخاريف لا ترقى حتي لمرتبة الهلاوس.

كنا في هذه الأثناء جالسين في غرفة الحكايات بينما سالي

...

هكذا حك طارق ذقنه قائلاً...

-إذن تريدن هلاوس فقط.

مرت الأيام الأولي من أجازة نصف السنة في هدوء ، داخل

لكن لإزعاجها إيفاع ثابت يساعدني علي التركيز...

صرت أقضي أكثر أوقاتي بهذا المكتب حتي بدأ الأستاذ شريف

شئ بخير...

صرت أتمني أحيانا لو يحيطني ظلام دامس سرمدي فلا أعرف من فوق ، إنها إحدي أكثر أمنياتي غرابة و أشدها رغبة لي بها ، و هي تلخص ببساطة رغبتني

مما سبق ، للأسف أعرف هذا جيداً...

أساسي و رابط مشترك بين أغلب الأمراض النفسية ، و حينما

يوجد إنعزال توجد هلاوس ، و كأن وعيك يتعطش إلي أي نشاط اجتماعي فيقوم بصنعه في خيالك بدلا من الواقع...

بعد بضعة أيام من انتهاء الإمتحانات استيقظت ذات مرة لأري

نهارا بعد ، هذا شئ محبط ، هكذا ذهبت لأصنع لنفسي بعض القهوة عازماً علي التخلص من تلك الفوضى ، و بينما أنا في المطبخ قمت بتشغيل التلفاز- لأحد أحد المذيعين يتشاجر معي دونما سبب واضح ، هذا روتين صباحي اعتدته علي كل حال ، مذيعين يلقي نشرة الصباح ممسكاً بالصباحات راقصاً في سعادة ، لقد اكتسب المذيعين عادات سيئة مؤخراً...

هكذا أنهيت قهوتي و ذهبت لغرفتي كي أنظف تلك الفوضى ، و بينما أكنت أفعل ذلك صادفني ذلك الكتاب ، كتاب أحمد سامي الذي قد أرسله لي منذ حوالي شهرين ، لم أكن يوماً من هواة القراءة لذا لم أهتم يوماً بقراءة حرف منه ، لكن فكرة أن هذا الكتاب كان موجوداً لدي كل هذا الوقت و لم أعره اهتماماً جعلتني أفتحه ، علي الأصح () الإطلاع ، و وقعت عيني علي فقرة ما...

(إن أغلبية الناس لا تحتاج الي خطيب الجمعة كي تعرف الجا و الغير جائز ، لا تحتاجه كي تعرف ما لها و ماعليها ، لكننا لن ننكر الطاقة النفسية للخطبة التي تشحن المصلين بالإيمان و توطد ثقتهم بالإسلام ، و لولا هذا لقال الخطيب : الحلال بين و الحرام بين.. إذن أقيموا الصلاة)

، هو إذن يحاول التأكيد علي أهمية الجانب الروحي في الدين أكثر من الجانب العقلي ، هذه مفردات أدركها من خلال دراستي و لكنه تناولها من الجانب العقائدي و بشكل أدبي أكثر جاذبية ، و إنني لأتساءل كيف كان

هذا الرجل مريضاً ، يبدو لي منظم الأفكار يدرك جيداً ما يقول و

...

مررت بيدي بضعة صفحات أخرى حتي وقعت من بين الصفحات تلك البطاقة السوداء ، بطاقة الجمعية السيكولوجية ، حينها فقط شعرت بحاجتي لتلك البطاقة ، جهة أخرى لا تحمل لفظ () في بدايتها ، هذا أكثر وقاراً ، هكذا بحثت عن هاتفي

للتحدث مع شخص كهذا ، سيكون نائماً و لن يجد فرصة لإلقاء بعضاً من مزاحه السخيف...

هكذا بعد دقائق جائي صوته ناعساً ، لم أطل معه في الحديث

...

- هل يمكنني أخذ أجازة لفترة ؟ ربما يومان أو ثلاث لا أعلم.

-

هكذا وجد

الذهاب لأوديت طلبا لها أكثر من طلبي لبرودة المكيف المنعش في محلها ، و علي كل حال فإن رؤية مدام موريان وحدها جعلت المكيف عديم القيمة...

- مساء الخير.

-

- لا أعلم لماذا لا أسمع هذا الكلام سوي منك يا مدام موريان ؟

- هل تقول أنني منافقة ؟

-لا و لكن ، حين يراني الجميع بعد غياب لا يذكرني سوى بأني
وغد إنعزالي يمقت الآخرين و يتعالي عليهم.

-و هل أنت هكذا فعلاً ؟

نظرت لها في صمت لثوان ثم قلت...

- أعلم ، أنا لا أعرف عن ذاتي الكثير.

-

لملامح وجهك قليلاً.

لا أدري لماذا أراها الآن سخيقة أو متصنعة للأنوثة ؟ لقد تكون
لدي منذ زمن ارتباط شرطي بين الجمال و السخافة ، حتي
صرت أشعر أنهم يعوضون سخافتهم بجمال زائد يلهيك عن
أسلوبهم السمج...

-

-في النادي ، اجلس قليلا لترتاح.

و كأن الجلوس معها يمت للراحة بصلة...

-هل ستتأخر ؟

-لا أظنها ستتأخر ، قل لي ، ما أخبارك ؟

سؤال كلاسيكي للغاية لا يليق بجمالها للأسف ، لماذا ليست
ذكية ؟ لماذا لا تمتلك أسلوباً يليق بهذه الروعة ؟
-بخير ، إلي حد ما.

قالت بينما تكتب شئ ما في دفاتر الحسابات...

-هل مارلت تري هلاوس ؟

هنا رفعت رأسي نحوها مندهشاً ، ربما توقعت أن تشي أوديت بأسراري و لكن ليس لمدام موريان ، هذا غير منطقي ، حين تريد الوشاية بلص فأنت تذهب لقسم الشرطة و ليس للمطافئ لو كنت تفهم قصدي...

لكنها سرعان ما أدركت دهشتي قائلة في ذكاء يليق بها هذه

...

-ماذا ؟ هل تظن أوديت تخفي عني شيئاً ؟

-لا ، فقط لم أتوقع منها إخبارك بشئ كهذا.

-نعم كنت تتوقع منها إخبار داليا أو بشوي أو أي من هؤلاء الذين تخشي علمهم بهذا.

هزرت رأسي في تردد فقالت...

-

ما عن أوديت ، أنا الآن أقرب الناس إليها.

-هذا واضح.

هكذا مرت بضع دقائق من الصمت لم استطع بعدها كتم

...

-هل لي بسؤال صغير ؟

-

-لماذا لا تحلقين ذقنك و شاربك ؟ لقد صارنا ناميين للغاية.

-هل قلت لها ذلك حقاً ؟

-قلت أنك تريد هلاوس .

-نعم لكني لم أتصور أبدا أن تصل الأمور إلي هذا الحد ، لا بد أنها صفتك علي وجهك .

-في الواقع كان يجدر بها فعل ذلك ، لكنها لم تفعل .

-ربما لأنها تعرف أنك مريض .

كانت أوديت في ذلك الوقت تحاول التحدث بهدوء لكنها في ذات الوقت كانت مستعدة للإنفجار بوجهي في أية لحظة...

كنا في هذه الأثناء نتحدث في وسط المحل بينما مدام موريان تراقبنا من خلف مكتبها الزجاجي بنظرة صامتة لا أدري أهني

!

-أوديت أعلم أنني أخطأت و قد اعتذرت لها ، ليس بيدي فعل

-أنت تقدم الكثير من التنازلات اليوم ، هل أنت متأكد أنك ل

أخرجت البطاقة السوداء قائلا لها...

- أنا مريض ، لذا سأذهب للعلاج.

أمسكت البطاقة لتتفحصها قائلة...

- طارق هذا ليس بعلاج لابد أن تذهب للدكتورة التزام ، هي تعرف حالتك أكثر من غيرك.

- لا ، لن أذهب للمصحة ثانية ، لا أضمن ما الذي قد يحدث ثانية هناك.

ت عيناها نحوي قائلة...

- أعذريني لقولي هذا ، لكن الدكتورة التزام هي طبيبة غير

لم ترد ، فقط ظلت صامته لبضع ثوان ظلت خلالها تتأمل الشارع

...

- طارق لماذا أنت مصر علي إفساد كل شئ جميل بيننا ؟

- بيننا كي أفسده من الأساس.

- أنا لا أصلح ، لا أصلح لأكون صديق أو غيره ، لا أصلح لأي شئ.

رفعت يدي محيياً لمدام موريان من خلف الزجاج ثم غادرت

...

- كان هذا مؤثراً.

- لا أريد أية تعليقات سخيفة و خاصة علي هذا الجزء من
المذكرات ، مفهوم ؟

- صدقاً لا أمزح ، كان هذا مؤثراً فعلاً.

...

- شكراً ، يكفي هذا لليوم.

...

-

قام من مقعده لينظر من النافذة قائلاً...

- لماذا لست مندهشاً ؟

تجاهلت سخريته مستطرده...

-

فعله ، تحاول استفزازه بطرق قاسية.

...

- لا أفهم لماذا يجب أن يكون هناك أسباب لكل

-

- نعم و لكن ليس شرطاً أن تكون كل أسبابي بهذا العمق.

-

هنا التفت نحوي في نفاذ صبر مدركا أنني لن أهدأ حتي أفهم

...

- فعلت هذا لأنني أردت أن أري ما سيحدث فحسب ، مجرد

- نهشم تمثالا قيماً كهذا من أجد

- أخبرتك أن الأمر ليس بهذا العمق ، إن لي الحق في بعض التفاهة.

- هذا لأن النتائج جاءت عكس توقعاتي.

هرش ذقنه قائلاً...

- أنا لا أريد التحدث بهذا الموضوع حقا.

احمر وجهي خجلاً و قلت في إحراج...

(6)

لم تعد سالي كما كانت ، صارت صامتة و كأنها تخفي شيئاً ، أو كأنها علمت شيئاً ، لكنني لا أملك ما أخفيه كي تعلمه...

...

كان اليوم هو الجمعة ، لذا كنت مضطرة لقضاء اليوم معها بالمنزل ، أمام التلفاز ، في صمت غير المشكلة أنك حين تعناد الإزعاج من شخص ما يصبح صمته بعد ذلك أكثر إزعاجاً ، ثقيلًا علي روحك و أنفاسك ، رغم أن صمته كان أمنيتك الأولى و الأخيرة فيما سبق...

هكذا أشعلت سيجارتها الثالثة ثم ألقت القداحة علي الطاولة ها ، و عادت تنظر للتلفاز بعينين زائغتين قائلة دون أن تنظر نحوي...

-

لم أحاول التهرب من سؤالها ، كنت أدرك جيداً أبعاده و أسبابه ،

...

-كما تعلمين ، كان يعمل سائق لدي....

هنا قاطعتني ضاغطة علي كلماتها...

-سمر أعرف جيداً الصداقة القوية بينكما ؟ أشعر أن هذا المراهق صار أقرب لك

...

-سالي الأمر ليس كما تظنين.

-حقاً ؟ أخبريني ماهي حقيقة الأمر إذن .

لم أرد ، ليس خجلاً و إنما لأنني لم أجد رداً لنفسي علي الأقل ، ماهي حقيقة الأ

يوافقونك لا يفعلون شيئاً سوي صقل تلك الصفات دون حتي أن
تدرك ما طبيعتها ، فقط أنت ت
علي طبيعتك هذه بل و يشجعك علي الإستمرار...

-لا أعلم ، حقاً لا أعلم يا سالي ، لو كنت أريد التهرب من إجابة
سؤالك لقلت أن بيننا عمل روائي نقوم بكتابته الآن ، لكن
الحقيقة أن وراء علاقة العمل هذه راحة أشعر بها ، راحة تكمن
الم معه بوضوح بالغ ، علي حقيقته ، دون أقنعة
العواطف و الرومانسية البلهاء ، كأنني أري كل شئ دون
HD

لكن هناك نشوة غريبة في رؤية تلك البشاعة وجها لوجه دون

نفنت دخان سيجارتها قائلة...

-هل حقاً يمتلك ذلك الفتى المراهق كل هذا العمق ؟

-أنت لا تعرفينه جيداً يا سالي ، لا أحد يعرفه غيري .

...

-هذا سبب أدعي للشك فيه .

أطفئت سيجارتها ثم اعتدلت بجسدها نحوي و أمسكت يدي

...

-سمر ، حين كنا شبابت كنت مرهفة الإحساس أكثر مني
تحبين قصائد الشعر و أفلام الرومانسية.

- و هذه هي المصيبة الكبرى.

-مصيبة لأنني أحب الرومانسية ؟ أنا كاتبة روائية و لا بد أن....

-سمر الأمر ليس هكذا ، مازال بداخلك طفلة صغيرة ، ليس
معني أنكِ علي مشارف الثلاثين أنكِ صرتي امرأة ناضجة.

هنا فقط نظرت لها

...

-سالي هل اتصلت أُمي بكِ ؟

-صرخت بوجهها قائلة...

-أجيبيني.

-صمتت قليلاً ثم قالت...

-أقسم لكِ أنه لا علاقة لأُمكِ بهذا ، أنا أتحدث من باب أنني
صديقتك الوحيدة.

-إذن اطمئني يا سالي ، ربما مازال بداخلي طفلة حية لكنها
ليست ساذجة لهذه الدرجة.

لم ترد ، فقط أخرجت سيجارة جديدة تشعلها و عدنا نتظاهر
بمشاهدة التلفاز...

لم يكن عقداً بالمعني الحرفي بل كان إخلاء مسؤولية قبل أي
شئ ، ذكرني ذلك إلي حد كبير ببرامج الحاسوب التي لا
يمكنك تنصيبها قبل الموافقة علي بنود الإستخدام ، فالجمعية
ذات أهداف علمية في المقام الأول قبل أن تكون أهدافا
علاجية...

إذن الأمر بسيط للغاية ، مقابل علاجك نجري عليك بعض
الدراسات النفسية التي يقتضي بعضها موافقتك و البعض
الآخر لا يصلح أخذ موافقتك إزاؤها لسبب بسيط هو أنه لا بد

أدهشني الأمر ، إذن فهذا هو الهدف المنشود من الجمعية...
لطالما كنت اقول أن التجارب مهما بدت مقننة و مضبوطة إلا
أنها لا يمكن أن تعطيك ذات رد الفعل الناتج في بيئة المفحوص
الطبيعية ، إن معرفتك أنك تحت الفحص وحدها تجعلك قد

كانت الإعتبارات الأخلاقية لإجراء التجارب تثير غيظي أحيانا عند
قرائتها في كتب الجامعة ، خاصة فيما يتعلق بضرورة معرفة
بطبيعة التجربة أو الدراسة المجراة عليه ، ببساطة
لست أري ما يمنع إجراء دراسة علي شخص ما و تسجيل

النتائج داخل إطار حياته الطبيعية دون أخذ موافقته ، طالما أن هذا لن يمسسه بضرر و طالما أنه سوف يعلم بنهاية الأمر أنه

...

لدرجة ما يشبه هذا برامج الكاميرا الخفية السخيفة ، لكنه هنا في خدمة العلم ، و علي كل حال فقد قرأت عن دراسات كثيرة تمت دون علم المفحوصين بهدفها الأصلي لأنه ببساطة لو تم

دراسة عن الخوف الجماعي بعلم المفحوصين...

ين و لكن لا يمكنني سرد ما يمكن تلخيصه في جملتين ، بالطبع كانت هناك تعليقات سخيفة من بعض المرضى المتقدمين مثل (و ليس لإيجار شقة) ، و يكون هذا بالطبع مصحوباً بضحكة

...

لكن الموظفة الحسنة ابتسمت له ابتسامة باهتة تعني (حيلتها انا مش فاضيالك)...

(حيلتها) هذا فكان شاب حديث التخرج ، أو هكذا كان يبدو عليه ، و من الواضح أنه لم يبدأ رحلة البحث عن عمل بعد أو أنه وجد عملاً بمعجزة ما حتي يستطيع الاحتفاظ بهذه الابتسامة المستغزة علي شفثيه...

كانت جلستنا تشبه جلسات المتقدمين لوظيفة مرموقة (الإنترفيو) الخاص بالقبول ، إلا أن الفارق هنا

...

)
بيانات الاستمارة و احتفظ بها قبل دخولك للمقابلة ، عدا ذلك يرحي تسليم الاستمارة لموظفة الاستقبال و نحن تحت

سيادتكم بأي وقت في حالة التفكير بالأمر من زاوية أخرى ،

(

هكذا توقعت علي الفور وجود رافضين للأمر ، إذ أن هناك من المتشككين و المرتابين في هذا العالم ما يكفي لمل استراليا ، ولا لوم عليهم فهناك من النصابين و سارقوا الأعضاء و المهووسون بالعلم ما يملأ الأرض كلها...

لذا يمكنك ببساطة ملاحظة هذه السيدة المسنة المتصابية ، تلك التي تشبه الكثيرات من السائحات المنبهرات بأي معبد أو تمثال أثري ، و أحيانا قد تكون جارتك إذا كنت من قاطني الأحياء الراقية...

كنت راهنت نفسي أنها لن تقبل بنود العقد لأنها لا تشتري علبه عصير من السوبر ماركت قبل أن تنظر لتاريخ الصلاحية و السعرات و تتشمم العبوة قليلاً ثم تضعها في سلتها في تردد ، ربما أخرجت سماعة طبية كذلك لتسمع ما إذا كان بداخلها عفريت ام لا ، مثل هذه السيدة ببساطة يصعب علاجها ، لأنه لا أحد يعالج من طبيعته ، بل إن علاجها قد يقتضي سنوات من علاج الوسواس الهامشية و العقد النفسية التي تحيا بها كل ساعة بل و كل دقيقة...

من فضلك يا أنسة لا أفهم هذا البند من العقد. و أما الأنسة المسكينة مديرة الإستقبال فكان من الواضح أنها لأول مرة تمارس مهنتها بمكان مريب كهذا ، علي حد علمي فهذه أول مؤسسة من نوعها بمصر ، و العمل بهذه المشاريع

...
أضف لذلك أن بنود العقد كانت أوضح من الشمس لكن هؤلاء القوم لم يروا بنوداً كهذه من قبل و هذا يجعلهم يظنون أنهم في خضم عملية نصب كبيرة ، خصوصاً و أن الجمعية لم تطلب

أية مبالغ إدارية و هذا ما يثير الشك و الربية أكثر و أكثر...
تسائلت في سري عن مصادر تمويل هذا الشئ ، لم أسمع من
قبل عن رجل أعمال ذو إهتمامات بالطب النفسي ، ربما كانت
مة اليونسكو لكن لا أعتقد هذا خاصة بمصر ،
إن من أقام تلك الجمعية كان يعرف هدفه بالتحديد ، أستم
رائحة الثقة في هذا المكان ، هؤلاء القوم يعرفون ماذا يفعلون

...

لم أحب نظرة طارق لي هذه اللحظة...

أحتاج إليه الآن هو الشفقة...

-هل تريدني مني مواجهتها ؟

-هي التي بدأت لا بد أن نتواجه نحن الثلاثة أمام بعضنا ، لا بد أن
تعرف أنها تتدخل فيما لا يعينها.

-مازالت تعتبر نفسها صديقتي المقربة ، لا تعرف أن أشياء
كثيرة تغيرت ، إنها مع

-إذن لماذا تبكين الآن ؟

-لأنها محقة ، أنا بالفعل مازلت طفلة خائفة من كل شئ ، أنظر
لحالي ، تهربت من قضية تافهة لمجرد أن أمي كانت أمامي ،
مازلت أخشاها رغم كل شئ.

-تباً متي تغادر تلك اللعينة.

هنا ازداد بكائي أكثر ، لا لشيء إلا لأنني انتظرت من طارق نفيًا
لكلماتي من باب المواساة علي الأقل ، لكنه لم يفعل ، و هذا

...

-أنا ساذجة للغاية يا طارق ولا أعرف كيف أتخلص من ذلك.

-سمر لا تضخمي الأمر ، كونك إنسانة هو سبب كاف للغاية
لكونك ساذجة ، و في الواقع فإن من يظن نفسه غير ساذج
فهو أكبر ساذ

-حين أتحدث عن ثوابت بشرية فأنا أتحدث بطبيعتي ، تعلمين
هذا جيداً ، أنا لا أقوم () و التظاهر بالعلم.

كان الجميع يدخل و يخرج بلا تعبيرات واضحة...
هكذا لم يكن هناك غش ، فالكل يدخل و يمر بذات الخبرة دون
سابق معرفة بها...

و هي من المرات النادرة التي أسمع فيها لقب استاذ قبل

و بالداخل كادت عيناى تخرج من محجريهما كما يحدث في
الكارتون ، إذ أن أبسط قواعد الخصوصية للمريض لم تكن
متوفرة في ذلك المكتب الأنيق...

كان الأمر أشبه بلجان التحكيم الغنائية و المسرحية ، إلا أنهم يختلفون نوعاً ما في درجة الجدية المرتسمة علي وجوههم... جلست علي كرسي مواجه لمكتب يجلس خلفه رجل أشيب ه يبدو كأحد الدبلوماسيين الذين لا يعرفون المزاح ، و كان علي يمينه شابان بمعاطف بيضاء يمسك كل منهما بدفتر منهمكين في تسجيل شئ ما به ، و علي يساره سيدة تشبه دكاترة الجامعة ، و بجانبها أحمد سامي و الذي كان الوجه الوحيد المألوف في هذه الجلسة السوداء...

- ي من منا سينفحص الآخر ، هل سنظل تحملق بنا كثيراً هكذا ؟ أين استثمارك يا فتى ؟

كان الرجل الأشيب ذو صوت جهوري من النوع الذي يصلح كمدرس لغة عربية أكثر مما هو عليه أياً كان...

هكذا أعطيته الإستمارة وسط ضحكات مكتومة من الشابين

أ أخبرني ، هل قمت بإجراء أية

عمليات سابقاً ؟

-عملية واحدة.

-و التي هي ؟

لم أتحدث فرفع عينه عن الورقة قائلاً...

-ما العملية ؟

قلت في لهجة اعتراض...

-كان من الممكن أن تضعوا هذا السؤال بالإستمارة. أهأااا ، الآن أفهم.

زادت ضحكات الشابين بحيث لم يعد من الممكن إخفائها ، نظرت لهما نظرة من لا يمزح فالتزما الصمت ، تحدثت السيدة الوقورة في لهجة رسمية كأنما تلومنا علي طفوليتنا في التعامل نحن الرجال ، و قالت بينما تدون شيئاً في دفترها... -طارق ، يوم الثلاثاء و الخميس في مجموعة الدكتور هدي

لورقة لتعطيني إياها مبتسمة ابتسامه ()

سمعت بعض الهمسات خلفي فوحدت الأمة العربية بأكملها جالسة في هدوء لم أشعر به ، حوالي سبعة من الأطباء شباب و كهول كل منهم ينظر لي كدودة إنكلستوما تحت المجهر أو بكتريا عصوية فريدة من نوعها ، كيف عرفت أنه يوجد ما يجعلني أظنهم شيئاً غير ذلك...

(هدى) تلك فكانت نموذج آخر للمعيدة المسكينة التي تقضي يومها في محاضرات تتخللها تعليقات الشباب خفيف الظل ، بطريقة ما توصلت الي أن الجمعية اختارت نخبة من الخريجين و محترفي المهنة لتحقيق المكنني لا أرى أملاً في تأقلم الشباب مع الأطباء و الأخصائيين الكبار ، إن هذا المكتب رغم فخامته لكنه مشحون بطاقة نفسية سيئة و كثيبة نتيجة الخلاف الصامت بين خبرة كبار الأطباء النفسيين و بين بعض الشباب الخريجين... -أهلاً بك في المجموعة يا طارق.

-شكراً يا دكتورة هدي.

استمتاع و كأنما يشاهد مسلسل كوميدي جديد ، نظرت له في استعطاف أن يتكلم معي ليجعل لي مكانا وسط كم الإهانات الصامتة التي تعرضت لها ، لكنه كان ينظر لي بنظرة صامتة تشوبها ابتسامة لست أدري أهى سخرية أم سعادة زائدة ، و

الجمعية ، لكنني علي كل حال كنت مستعدا للتضحية بأي شئ مقابل إنهاء الكابوس الذي كنت فيه و مازالت ، فمن الأفضل أن يكونوا بارعين و إلا انتهى ...

توقفت عن الكتابة و قلت بينما () ...

-مدير العلاقات العامة ، إن من اختار هذا المنصب لأحمد سامي كان يعرف ما يفعله جيداً.

-نعم ، إن طريقته الرسمية في الحديث لجديرة بأسوأ خدمة

قطبت جيني قائلة...

-الشبكات الجيدة لا تحتاج لخدمة عملاء جيدة ، إن المبالغة في الرسمية أسلوب سمج يتقي به الموظفون غضب العملاء من سوء الخدمة ، و كلما ازدادت الخدمة سوءاً ازدادت الرسمية.

-لا أخفي عليك أندهاشي حين علمت أنه سيتزوج.

-ولا أنا ، إن الدكتورة هدي هي آخر من توقعت أن يتقدم لخطبتها.

- تحدث عن الدكتورة هدي بل أتحدث عن الزواج ذاته ، و علي كل حال فأنت تعرف الدكتورة هدي أكثر مني ، في الواقع لا أعلم عنها سوى القليل ، لا بد أنها تتمتع بطبيعة خاصة كي

-ستعرفين عنها ، ستعرفين الكثير في الصفحات القادمة.

الية تغيرت خططي ، و كانت خطتي الجديدة هي

...

فقط يكفيان لتنسي ذلك المند
قضيت خمسة أشهر بعيداً عن الجامعة ، بعيداً عن أصدقائك
الذين تتذكرهم فجأة عند رؤيتهم ، لكنك لا تذكر متي ولا كيف

...

مازالت الشمس كما هي عمودية علي حلوان في كل الأوقات ،
و مازالت الإبتسامات غير المفهومة مرتسمة علي الوجوه ،
إذا يفرح هؤلاء حين يقابلون بعضهم بهذا الشكل المبالغ فيه
!

استعدت عملي مرة أخرى في جمعية تنمية المجتمع ، عدت
لمكتبي المكيف الهادئ في تلك الجمعية التي لا تمارس عملها
بضمير ، ليس هناك ماهو أحمل من ذلك ، هذه وظيفة لا أنوي
التخلي عنها بسهولة...

الإعتقاد بضرورة شغل تفكيري بحياة حقيقية تطغي علي أية وساوس قد تراود ذهني...

منذ سنوات سوي مرتين أو ثلاث ، إشتراك المكتبة...

و أنا لست مثقفاً ولا من هواة القراءة ، لكنني لم أجد مكاناً آخر لإضاعة الوقت أقرب من هذا ، فقط كانت هناك مشكلة واحدة و هي الهدوء المبالغ فيه بهذا المكان ، دعك من أن فكرة التركيز خرون بكراهية غير مفهومة كلما تحركت قيد أنملة من مكانك هي حلم بعيد المنال ، إن الحواس تصير حادة بمكان مريب كهذا و من الصعب أن ينصب تركيزك علي الكتاب الذي بيدك إلا بمعجزة ما ، إن التركيز أحياناً يحتاج إلي الضوضاء ، إلي معرفة أن الجميع لديه ما يشغله عن مراقبتك ...

إما هذا و إما أنني مصاب بجنون الإضطهاد ، لا يوجد تفسير ...

و علي كل فلسفت أسعي للتركيز بقدر ما أسعي لإضاعة الوقت حتي تحين ساعتني و أموت ، فقط تمنحني بطاقة الإشتراك شعوراً بالإنتماء لهذا المكان فندفعني دفعاً للذهاب إليه بين الحين و الآخر ، إنه أمر تحفيزي لو كنت تفهم قصدي...

أما عن الجامعة ، فقد عادت العلاقة بيني و بين أوديت لسابق عهدها ، ليس تناسياً من أجدنا لما حدث و لكن لأننا اكتشفنا فجأة أننا مجبرون علي الإحتفاظ بتلك الصورة أمام الجميع ، دعك من أن الشجار بين شاب و شابة له دلالات أخرى غير إء أو الإتجاهات ، له دلالات عاطفية أمقتها و أكره أن تنسب لي يوماً ، خاصة أن أوديت مسيحية و هذا ليس بالشئ المثالي لعلاقة عاطفية...

لسبب كهذا كان الحل الوحيد هو أن يحتفظ كل منا بلسانه داخل فمه و غضبه داخله ، و لسبب كهذا فكرت بشكل جدي ما بدر مني بشأن ذقنها و شاربها ، طالما أنها تعرف كل شئ عن مرضي فمن الأفضل كسب ودها ولو ببعض النفاق ، إن هو إلا اعتذار بسيط مع باقة ورد رخيصة الثمن ، لحسن الحظ أن النساء تقدر مثل هذه الأفعال البسيطة...

هكذا قادتني قدماي ذات مساء لمحل الزهور الموجود بشارع

...

هكذا طلبت من البائع الذي لا تتناسب تعابير وجهه إطلاقاً مع مهنته باقة ورد علي ذوقه الخاص ، ثم وقفت أتأمل قليلاً في المحيطة بالمحل ، في الواقع لم أكن أتأمل في الزهور ذاتها بل في مبدأ ارتباط الزهور بالعاطفة البشرية بوجه عام ، أنا لا أدفع شيئاً إلا بعد تفكير عميق علي كل حال...

في الواقع أنه لا توجد أي صلة بين الزهور و العاطفة البشرية ، إن البشر ليسوا سوى مخلوقات مزعجة تنسب لنفسها منذ الأزل كل شئ جميل ، تنسب لعاطفتها المرهفة ضوء الشموع و القمر و الزهور ، و كل شئ رائع...

الحقيقة أننا لسنا بهذا العمق ، نحن فقط نتعالي علي

...

و في طريقي نحو حلوان ظلمت أدعوا الله ألا أجد أوديت هناك ، فلنكن كعادتها في البيوتي سنتر أو في الجحيم ذاته ، المهم ألا تكون بالمحل و إلا ستفسد كل شئ ،

إن نظراتها في الفترة الأخيرة كانت تنذر بغضب تكتمه ، ولو رأيت
تصرفي هذا ستدرك حتماً أن اعتذاري مصطنع مائة بالمائة...

هكذا حين اقتربت من المحل لمحت مدام موربان مغادرة إياه
يارتها ، و قلت في سري أن الأمر سيكون
سخيفاً لو اعتذرت لها في الشارع هكذا لكنه سيكون أسرع

...

هممت بالاقتراب منها بينما كانت تبحث في حقيبتها عن مفاتيح
السيارة...

-مساء الخير.

نظرت لي في فزع كأنما لم تتوقع رؤيتي ثانية بعد ما حدث ، و
كان هذا قبل أن أدرك أنها تبكي بغزارة...

-طارق ، كيف حالك ؟

-مدام موربان هل تبكين ؟

ضحكت من بين دموعها قائلة...

-لا شيء لا نهتم.

-هل تريدن مساعدة ما ؟

قالت بينما تنظر لباقة الورد بيدي...

... هل معك سجائر ؟

كالعادة تثبت لي الأقدار غيائي كل مرة أتقيد فيها
عكسها ، و تفاجئني بسيناريو آخر تماما غير الذي حصرت
تفكيري به...

لن تكون أوديت أكبر مشاكلي هذه الليلة...

-يشير غيظي أنك تسرد تفاصيل صغيرة باستفاضة بينما تختصر الأشياء الحيوية في بضعة سطور.

-تلك التفاصيل الصغيرة هي بمثابة الوحدة البنائية لكل الكبير ،

...

هنا قطع حديثه حين قامت سالي بفتح باب المكتب لتطل برأسها من فتحة صغيرة متصنعة الأدب...

-هل قاطعتكما ؟

فتحت فمي لأقول شيئا لكن طارق كان أسرع مني...

-بالعكس ، لقد كنت أسألها منذ قليل لماذا لا تشاركنا سالي جلساتنا ، هل أنت مستاءة مني في شيء

حظ بعينيه قائلاً...

-هل تمزحين ؟ من منا المتطفل هنا ؟ إنكما صديقتان لم تريا بعضكما منذ سنوات و أنا أشعر أنني كالحاجز بينكما ، تعالي

لم أكن مرتاحة لوجودها معنا ، إن رغبتها في التواجد معنا لحديثه ولا أظنها مجرد رغبة بريئة بل هي متصلة بحديثنا الأخير

...

كدت أنفجر من الغيظ...

لتحسين صورتي ، بالرغم من رغبتني الملحة في المغادرة
وجدت نفسي مضطراً للعب دور إجتماعي لا يليق بي البتة...

(بعزق كافي) لهو آخر مكان يصلح للمواساة ، لكنه علي
الأقل يحتوي علي حمام للسيدات كي تغسل وجهها ، فأنا لا
استطيع التفاهم مع شخص يبكي بلا انقطاع
النهاية أسبابه التافهة...

لم يكن يساورني الفضول بشأن بكائها قدر ما كان يساورني
بموجد خلاصي من هذا العذاب ، كنت شبه موقنا أنها أسباب
عائلية أو تخص علاقتها بزوجه ، لأسباب كهذه لا أحقق رغبة

شاكله مدمجا معها مشكلات أخرى ربما لا يتذكرها إلا في
وجودي ، لا أدري هل بملامحي البائسة ما يذكر الناس بسنوات
التشرد و الألم أم لأنهم يدركون أنني معتوه آخر لا فائدة من

أجيد بمواساة طفلة و ليس لدي الصبر ولا
فكيف بمواساة سيدة ناضجة...

هكذا بعد دقائق خرجت من الحمام بكامل زينتها لتثير غيظي
أكثر ، أيتها الحمقاء لم أكن أريد إلا إلقاء كلمتين و العودة لبيتي
كي أعط في نوم عميق...

هكذا اتخذت مكانها أمامي في صمت ، و أشعلت سيجارة لا
بها لتنفث دخانها بوجهي قائلة...

-أسف لتخيب أمالك ، ليست لدي نية السؤال عن شيء.

...

-لاستخدام هذا الفضول.

-شكراً علي باقة الورد ، لا يفعل الكثيرون هذا

لا أعلم لماذا شجعتني دموعها علي الخوض بأحاديث أخرى
أكثر خصوصية ، إن الدموع تكسر الحواجز النفسية حقاً ، الكثير
منها...

-مدام موربان هل روت لك أوديت كل شيء حقاً ؟ أعني شاملاً
ي قضيناها معاً بالمصحة ؟

زفرت الدخان في وجهي ثانية و قالت...

- هل بإمكانك سرد شئ ما عن تلك العلاقة التي لا أعلم عنها شيئاً ؟

- ولماذا لا تسألها ؟

- والتي هي ...

- بينما من باب الفضول ، كيف كنت اتصرف و أنا ألعب دور

- إذن هناك فضول .

- فضول بشأنني ، هذا من حقي علي ما أظن .

ظلت تدخن في صمت لبضع ثوان ثم أطفئت سيجارتها و قالت

...

- لكنها لم تأخذ الباقية علي كل حال ...

- تلاحظ شيئاً يا طارق ؟

- رد طارق بينما يبعثر الدخان الذي زفرته سالي بوجهه ...

-
-
الفوارق العمرية الطفيفة.

هنا صرخت قائلة...

-
تجاهلني قائلاً...

-هل تعلمين مم تعانين يا سالي ؟ فقدان السيطرة ، كنت
تظنين أن سمر مازالت تلك الفتاة المنيهرة بكل ما تقولين لها
لأنها ببساطة معدومة الخبرة بينما أنتِ تلك الفتاة التي عاشت
مغامرات لا حصر لها ، ربما حان الوقت كي تدركي حقيقة

...

-رائع ، ممتاز ، تهانئي ، لقد توصلت لسري الكبير يا طارق.

...

-هل تحفظون جميعاً هذه الجملة اللعينة ؟

...

- لكم المنزل تتحدثون كيفما شئتم.

...

-لا ، أنا من سيغادر.

هكذا تركني الوغد وحدي في ذلك المأرق الذي وضعني فيه ،

...

دفت وجهي بين كفوفي في إنتظار كلمات سالي...

-
.....
-

نظرت لها قائلة...

-
أطفأت سيجارتها و شبكت أصابعها أمامها قائلة...

- سأعادر البلاد غداً ، ربما للأبد ، لن تريني ثانية ، و كل ما أرجوه
منك الآن هو إخباري بالحقيقة ، كي أعادر و أنا علي يقين

- أية حقيقة تريدین معرفتها ؟

- هل كانت صداقتنا بالفعل رائغة ؟

رة نحوها في صمت لثوان ، ثم أخذت نفساً عميقاً و

...

- نعم ، بإمكانك قول هذا.

(7)

في اليوم التالي لم أذهب للعمل...

فقط التزمت مكاني علي أريكة الصالون ، أبكي وحيدة ، حتي طرق أحدهم الباب...

- في الواقع هذا إستثناء غريب فكل من يطرق هذا الباب هو

لم أرد عليه فأكمل قائلاً...

-حسنا كانت هذه محاولة فاشلة لإضحاكك ، و الآن افتحي الباب من فضلك و دعينا نتفاهم.

-لا أريد أن أعرفك ثانية يا طارق ، من فضلك اتركني و شأني.

- تجاهلني قائلاً...

-ماذا تريد منها؟

-سأعتذر لها إن كان هذا سيريحك.

قلت بينما أعطيه ورقة ما...

- هذا الصباح و تركت ذلك الخطاب خلفها.

شرع يقرأ في الورقة باستخفاف ثم ألقاها أمامي قائلاً...
- كما توقعت ، لم يفتها أن تترك لك تذكراً يسمي ()
(، إنها تستغل طيبة قلبك فحسب ، إهدئي يا سمر لقد انتهى كل شيء أخيراً ، يجدر بك أن تكوني سعيدة.

...

- اقترب من وجهي قائلاً...

- هذا لأنه لا يوجد في هذه الحياة ما يستحق أن يؤخذ بجدية
إن الحياة نفسها لا تتعامل معنا بجدية.

- أنت أسوأ أهل الأرض حالا لكنك تمنع نفسك بغير ذلك ، و أنا

...

- إنتهي الأمر ، سأعود لأمي.

هنا جلس علي المقعد المجاور و قد بدت علي وجهه ملامح
الجدية أخيراً...

-سمر ، هل تذكرين فئة الجبناء الذين راعهم انعدام الأمن بعد

كانت الجلسة الأولى غير محفزة علي الإطلاق...

فالحق أن أسلوب العلاج الجماعي هذا لا يروق لي ، إنه أشبه ما يكون بجلسة تشجيع علي الاعتراف بالأخطاء ، بل إنني أحيانا أشعر أن تلك الاعترافات قد تدفع بأحدهم للإدلاء بأحداث

بانتمائهم لجلسة الاعتراف الجماعي هذه...

كانت الدكتورة هدي من النوع الطموح الذي أحبطته الظروف عن تحقيق طموحاته ، كما أنها تشعر باستخفاف المجتمع لقدراتها و مكانتها العلمية و المهنية رغم صغر سنها لكنها وجدت أملاً لإثبات ذاتها بهذا المكان الغريب ، لذا فهي مازالت غير متأكدة من كون الدنيا تنسجم لها أم تخدعها في الوقت الحالي ، إنها مرحلة (بيتا) بالنسبة لها...

قرأت كل هذا بتعبيرات وجهها و أسلوبها منذ أول يوم رأيتها به ، لذا لم أراها تختلف كثيراً عن المعيدات بكليتي كثيرا إذ أن كل المعيدات تلعن الظروف في سرها...

لم تكن الجلسة بمقر الجمعية كما ظننت ، فإن هذا المقر يخص إدارة الجمعية و مختبراتها و يخص جلسات أخرى خاصة...

هكذا كانت الجلسة بآخر مكان يخطر ببالي ، ساقية الصاوي عينة...

هذا المكان الذي أستشعر فيه نوعاً من الجنون الثقافي و الأدبي المبالغ فيه ، فلن أدهش كثيراً لو وجدت من يلقي قصيدة () ، ولا مبالغة في هذا فقد رأيت سابقاً ما هو

...

هناك حفلات قبل حلول الليل ، فقط كان المكان يعج بالكثير من الجيتارات و اللابتوبات و أشياء أخرى لا أدري فيم تستخدم تحديداً ، و هكذا أيقنت باستحالة العلاج في هذا الجو المريب ...

()
حيث بجانبك مياه النيل في حال أردت أن () قدميك قليلا بالمياه...

لم أستطع تحديد عدد المجموعة لكنهم كانوا ستة أو يزيدون ما بين فتيات و شباب ، فمن الواضح أن تلك المجموعة تم تصنيفها وفقا للسن و ليس وفقا لنوع المرض كما ظننت ، كان من الواضح أنهم اندمجوا سوا في فترة تأخري عن برنامج العلاج ، هكذا لعبت دور (جين الجديد) ...

كانوا طبيعيون للغاية ، لا يوجد منهم من يتشاجر مع ذاته أو يهلوس أو شئ من هذا القبيل ، فليست الساقية بالمكان المثالي لاستضافة هذه الجلسات علي كل حال ، إذن مم يعاني هؤلاء الشباب تحديداً؟!

بعد قليل جئت الدكتورة هدي ...

- مساء الخير يا شباب ، أعتذر عن التأخير.

لم يرد عليها أحد لكنها تجاهلت الأمر مصفقة بيدها قائلة ...

- حسناً إنتهي وقت الحديث ، فلنتبها لي من فضلكم.

فلنقطع يدي إن لم تكن معيدة ، هذا الأسلوب في الحديث لا

...

همت بقول شئ قبل أن تنظر لي باستغراب يدل علي نسيانها

...

- أنت جديد هنا أليس كذلك ؟

-

- إذن هذه أولي جلساتك.

-

-

- طارق حسين.

شدت قامتها و قالت في طريقة رسمية تذكرني بالأمريكان
حين يقترحون نخباً قبل تناول (هاب ما)...

- حسنا يا شباب ، صديقكم الجديد سيعرفنا بنفسه.

لم أفهم سبب هذا الإجراء ، لكنني

...

- طارق حسين ، في آداب علم نفس الفرقة الأولي ، جامعة

... 18

(مش عايز ليه تكلمني ، بتتهرب مني ، يا حبيبي حرام عليك...)

قاطعني هائف ذلك الفتى النحيل ، فلا أفهم هل تعتبر شركات
الهواتف مستخدميها أمواتا أم أنها تهدف لحرق أغشيتهم
السمعية و من حولهم ، علي كل حال لم يكن هناك المزيد

لأقوله ، الا لو فرضنا ان التعارف يتضمن معرفة قياسات
الملابس الداخلية...

بدا الضيق علي وجه الفتى عقب إنهاء مكالمته ، و لا أعلم لماذا
ذكرني هذا بما قاله فيلسوف ما لا أذكر إسمه :

الرسالة زيارة غير معلنة ، وساعي البريد هو رسول المفاجآت
القطعة ، عليك أن تخصص ساعة في الأسبوع فقط لاستلام

...

(كيف تكون وغداً لا تهتم لأمر أحد في هذا الكون سوي
...)

شئ ، سئمت فكرة الوجود ذاته ، كنت أتمني في هذه اللحظة
أن تتعطل حواسي كلها و أصبح لا شئ...

كان طارق يقود السيارة بينما سندت أنا رأسي علي زجاج
...

-سمر هل تسمعيني ؟

هزرت رأسي في وهن فقال...

-سمر تعلمين أنني لم أهتم لأمر أحد من قبل هكذا.

...

-كما قلت أنت ، إنها سلسلة من مشاعر الذنب لا نهاية لها ، أنا

تسببت في هذا الشعور بالذنب الذي يراودني .

-برغم هذا أنا سعيد من أجلك .

- الممكن أن ينتهي الأمر في هدوء ، كانت ستغادر في جميع الأحوال فلماذا فعلت ذلك ؟

-ستهربين من مواجهة سالي و غداً ستترين من هو أسوأ من

أريد أن أراكِ ولو لمرة واحدة لا تخشين المواجهة .

هنا التفت نحوه قائلة...

-إهتم بأمورك الخاصة يا طارق ، فلا أحد يتغير ، و أنت خير من يعلم هذا .

نظر لي نظرة قصيرة ذات مغزي ثم عاد للقيادة في صمت...

...

هذه المرة لم يكن هناك أسباب مرضية ، فقط راودتني نوبة اكتئاب انعزلت فيها بحجرتي و لم أذهب الكلية لثلاثة أيام ، و لم أحضر الجلسة الثانية في برنامج العلاج...

لا أعلم السبب ، و الحقيقة أنه لم يكن هناك سبب ، و إن أسوأ أنواع الإكتئاب هي التي تكون بلا سبب...

كان الجميع يتصل بين الحين و الآخر ، ولم يكن لدي الرغبة في

...

لكن آخر من توقعت إتصاله هي الدكتورة التزام ، إن الذكريات
السوداء لتعاود الظهور علي السطح و كأنها تثبت وجودها كلما
اقتربت من نسيانها ، و قد كانت مدام التزام إحدي ذكرياتي

...
-كيف حالك ؟

-و كأنك لا تعلمين.

-من قال هذا أنا بخير تماماً ، ربما كانت المشكلة فيمن يوصل

-علي كل حال ، لقد أرسلت الجمعية السيكلوجية دعوة لي
للعمل بها.

-تبا ، و أنا الذي ظننت أن هذه الجمعية مجهولة لا أحد يعرف
عنها شيئاً.

-هل تمزح ؟ إن نصف أطباء مصر يعلمون بشأنها الآن.

-اممم ، هذا جيد.

-لكنني رفضت العمل بها علي كل حال.

-هذا جيد أكثر.

-التزام ، عند مرحلة عمرية معينة يعلن الإنسان إضرابه
عن التوقعات الزمنية و الطموحات و التطلعات ، و أنا لا أظن
الجمعية تمثل لك كياناً مستقراً أكثر من المصحة.

التزمت الصمت لثوات فعلمت أنها لم تفهم ما اقصده...

-بصيغة أقل احتراماً فإن الجمعية لا تمثل لك طموحاً مهنياً ما
ببساطة لأن من هي في مثل عمرك لم تعد ذات طموح.

- يا إلهي حقاً ؟

-ماذا حدث لك بالضبط ؟ لم تكن هكذا حين جئت المصححة.

- خول الحمام ليس كخروجه.

- نصيحتي فمن الأفضل أن تحسن أسلوبك في التعامل مع
الآخرين ، بكلمة تكسبهم و بكلمة تخسرهم.

-هذا يزيد من تفاهتهم في نظري.

-هذا يزيد من بساطتهم ، مع السلامة يا طارق.

يمس كرامتها ، اليس من المفترض أن
يتحمل الطبيب مريضه ؟

لا أفهم متي ستكف النساء عن سطحيتهن ، إن الواقع لا مفر
منه فلماذا تحاول كل امرأة الهروب من واقعها...

دق هاتفني مرة أخرى فقطع الصمت الذي خلفته كلماتها ، و

...

-أخيراً أحببت علي الهاتف ، هل ست

-نعم سوف آتي ، صرت بخير.

كدت أن أقول شيئاً فقال منزعجاً...

- لا أعلم ، ما فعلته بسالي جعلني أمقت نفسي للغاية ، كيف تعيش هكذا يا طارق؟

- حين يستسلم المرء لفكرة كونه بئساً إلي الأبد تصيح الأمور الأفكار أكثر ترتيباً ، ولا تسأليني كيف يحدث هذا

ابتسمت ابتسامة خفيفة قائلة...

وضع قهوته أمامه ثم ظل ينظر لسقف المقهي لثوان مفكراً و

- حين تكونين بئسة و تسعين للتخلص من هذا البؤس ، فهذا هو البؤس حقاً ، و حين تستسلمين لبؤسك فأنت بهذا تخلصين نفسك من ذلك الصراع بين البؤس و عدمه ، هكذا تقل معاناتك ، صحيح أن أفكارك ستتغير إلي حد ما ، بعض المبادئ التي كنت تتمسكين بها سابقاً ستتخلين عنها ، لكنك ستشعرين بالراحة في نهاية الأمر ، و هذا كل ما يهم.

- لكنك بهذا تخدع نفسك.

- في أحيان ليست بالقليلة يكون خداع الذات مجدياً ، هذا ما لم يكن دائماً.

- أفهم الآن لماذا كنت متمسكاً بأحمد سامي ، لأنه كان محايداً في كل شيء ، هكذا لن تجد من يعترض علي فلسفتك البغيضة في الحياة.

كاد أن يرشف من قهوته قبل أن يتراجع قائلاً في هدوء...

- هل التخلص من تأثير العواطف فلسفة بغيضة ؟

- الإنسان ليس إلا بعض عواطف.

- هذا ما تحاولين إقناع قرائك به.

- لا ، هذا ما أومن به حقاً.

- أنا لا أحب الدسم في الحليب.

...

- و أنا لم أتحدث عن الحليب ها هنا لا تتهرب من الموضوع.

- هذا هو صلب الموضوع ، العاطفة هي دسم الحياة ، هناك من يحبون حياتهم كاملة الدسم و هناك من يحبونها صافية منزوعة

فغرت فاهي في غباء فواصل قائلاً...

- أقصد أننا نملك ميزة الإختيار.

...

- أنا أبسط مما تتخيلين يا سمر ، و لكن كون البشر معقدين يجعلهم يرون في بساطتي تعقيداً لهم.

في الجلسة التالية بدأت أفهم تدريجياً كيف تسير الأمور...

-
أنني مريض بجنون الإضطهاد ، و لهذا السبب فقد اخترت أن

أكون هنا معكم يا رفاق ، لأن الأمر ليس فكرة يمكنني السيطرة عليها بسهولة ، إنها مشاعر يصعب التخلص منها ، إنها ملتصقة

....

قاطعته الدكتورة هدي و قالت بينما تدون شيئاً في مفكرتها...

و كريم هذا هو ذات الفتى السخيف حديث التخرج الذي كان معي يوم المقابلة السوداء ، وهو في الثالثة و العشرين عمره تقريباً ، و مصاب بجنون الإضطهاد بدرجة متوسطة...

-هل ستشاركنا الحديث اليوم ؟

-اممم ، ليس ذهني حاضراً في الواقع.

-جيد هذا ما أريده بالضبط ، كن علي طبيعتك و اسرد ما يخطر

هرشت ذقني مشيراً للطاولة الموازية لنا...

-حسناً ، ما يخطر ببالي حالياً هو...إلي متي سيظل ذلك الشاب يهرش في رأس صديقتة ؟

نظر الجميع لما أشير له في فضول مألوف ، كان بالفعل هناك شاب يتحدث بهاتفه بينما يحك في فروة صديقتة المستلقية علي ذراعه كأنها حيوان أليف ، و لقد أثار انتباهي هذا المشهد طيلة الجلسة كنوع من المثيرات الفرعية...

صفت الدكتور هدي في سأم و قالت...

-حسناً نشكرك علي هذه الإضافة يا طارق ، و الآن يا شباب جاء موعد الإختبارات النفسية .

و أما الإختبارات النفسية فقد كانت بمثابة الثمن الذي تدفعه بل علاجك هنا ، و قد كان أمرها بسيطاً لكنه كان متعباً ، فلم أتصور أن الإختبارات النفسية تنهك العقل بهذه الدرجة ، خاصة و أنها لم تكن تقليدية كالإختبارات الإسقاطية التي درسناها ، لقد كانت اختبارات موضوعية من نوع الإختيار من متعدد ، يثير داخل كل منا تساؤلات عن

ذاته ، هل أنا كذلك حقاً أم ستكون إجابتي غير دقيقة ؟

لمسبب ما يفترض واضعوا اختبارات الشخصية علي سبيل أننا نعرف كل شئ عن أنفسنا فقط لأنها أنفسنا ، في الواقع لو كان الأمر بهذه السهولة لصارت الحياة أجمل...

ة لأي منا في صحة الإجابة عن هذه الإختبارات إلا أن تعبيرات وجوه الجميع كانت تدل علي أنهم فعلاً يعتصرون عقولهم للإجابة بدقة عن تلك الإختبارات ، ربما

حين تصادفنا مثل هذه الإختبارات...

و في نهاية الجلسة قالت الدكتور هدي...

-لحظة يا شباب ، سيتسلم كل منكم الآن ورقة بها موعد جلسة فردية ، و أريد من كل واحد منكم تقريراً يومياً عن أبرز ملامح روتينه اليومي.

طرحت إحدى الفتيات تساؤلاً كان علي لسان الجمي ...

-ماذا إن لم يكن لدي روتين ثابت ؟

ردت مبتسمة في هدوء...

-إذن اکتبي أبرز ملامح ذلك اللاروتين.

الفردية ، إذ أن الجلسات الجماعية لا تصلح كعلاج رئيسي و
عام ، بل ولا تصلح لمن هو مثلي من الأساس ، ف
أغلب الناس يفتقرون لقوة ما تجبرهم علي الإحتفاظ بأسرارهم
افتقر لتلك القوة كي استطیع البوح بها هكذا علي

...

كان الجميع قد غادر تقريبا حين نادتنی الدكتور هدي قائلة...

-

-لا سأبقي قليلاً ، لا يجلس المرء بجانب النيل كل يوم.

هنا اقتربت مني قائلة بصوت خفيض...

-إذن دعني أنصحك نصيحة ، هناك في هذا العالم ما هو أفضل
من مراقبة الآخرين من بعيد.

-حتماً تمزحين ، إن المشهد مستفز يستدعي الإنتباه حتي
بالنسبة لمن لا تستهويه فكرة مراقبة الآخرين.

-في الواقع لا ، فقط أنت لا تخرج من المنزل كثيراً.

-

غطى طارق وجهه بيده كناية عن الملل و قال ...

- سمر لقد سئمت التحدث في هذا الأمر.

- بها حياتي في سلام و استقرار ، إن لم أفكر الآن بهذا فلن أفكر
ت آخر ، هذه لحظة مصيرية و فاصلة.

- لا ، يكفي هذا ، لديك سؤال واحد فقط أجب به عليك ، فليكن
قصيراً ، بسيطاً و موجزاً.

- رفعت وجهي لأعلي مفكرة لثوان ثم قلت ...

- فيم تجد سعادتك ؟

- نظر حوله في حيرة ثم قال ...

- هذا سخف.

- السعادة ليست مفهوماً موضوعياً ، ليست قانوناً ثابتاً ، و إلا
() .

- سأفعل ، و لكن إذا كنتِ تسألين لتبحثين عن السعادة وفقاً لما

-حسناً ، سعادتني أجدها في...أجدها في...

...

-يا إلهي ، لا أعرف ، حقاً لا أعرف.

...

-هذا غريب ، أنت مهووس بكونك بانساً لكنك لم تفكر لحظة في

قطب جبينه للحظات بدا فيها و كأن كلماتي صنعت تساؤلاً
بداخله ، لكن هذا أزعجه علي

...

(8)

القصص الرومانسية نوعان...

نوع لا يتمني فيه البطل و البطلة أكثر من بيت واحد يجمعهما
سويا ، و هذا النوع أكثر واقعية من النوع الثاني الذي يتمني
فيه البطل و البطلة أن يصبحا عصفورين طليقين لا تقف
أمامهما حواجز المجتمع ولا البشرية بأسرها ، و هو نوع مفرط
في الرومانسية و الخيال ، و هو ذات النمط الذي سارت عليه
كتاباتي في كلا الروايتين...

فالحقيقة أنني لا أري حكمة في كتابة ما يعيشه المرء منا أو
يراه واقعاً امامه ، نحن نقرأ الروايات الرومانسية كي نخرج قليلاً
عن نطاق الحقائق المؤلمة لهذا العالم الضيق المحدود...

فلتحتفظ بنظرياتك السخيفة لنفسك يا طارق ، سأظل أوّمن

كان عهدي بالأشياء الجيدة أنها لا تأتي بسهولة...

:

كل شئ هادئ ، أو ...

لكنه هدوء غير مريح علي الإطلاق ، هدوء يجثم علي أنفاسك ،
الهدوء الذي يسبق العاصفة كما يقولون...

إن لي أربعة أعوام بهذه المكتبة أنتظر تلك العاصفة حتي

...

موظفة الإستعارات العانس جالسة إلي الأبد خلف مكتبها

تصورتها جزء لا يتجزأ منها تنام و تأكل و تستحم بها...

كيف علمت أنها عانس ؟ لأنها تبدو كذلك بالطبع ، صدقني لم

()

أشياء كهذه صارت مفرؤة بوضوح من خلال التعبيرات الإنفعالية ،

يتعلق الأمر بنوع من الشفافية لكنه (...)

...

لسبب ما يتعامل جميع الموظفين هنا معك كتجار المخدرات أو

أحد عصابات المافيا ، يرمقونك بنظرة تشكك و كراهية لا

تخطئها العين ، فلن أندهش كثيرا لو صادفت من يسألني عن

()

...

-حبيبي-

-حبيبي-

الدليل ، فإنك حتماً و لابد ألا تجده وسط الرفوف ، إنه قانون أزلني ثابت أشبه بقانون الجاذبية...

هكذا تبدأ البحث محاولاً إقناع نفسك بأن الخواجة () سيتكفل بتسهيل البحث ، هذا بالطبع قبل أن تدرك ما تتمتع به إدارة المكتبة من روح دعابة ، حين تجد كتاب تفسير الأحلام لفرويد في تصنيف التاريخ ، علي اعتبار أن مؤلفات فرويد جزء لا

...

و هذا علي سبيل المثال لا الحصر...

..لو كنت ممن يصدقون أن المكتبة هي أنسب

بجلسات العلاج الجماعي تجعل من فكرة التركيز في القراءة أسطورة ، خاصة مع ذلك العدد من الفضوليين المثقفين الشغوفين الباردين المتحذلقين المتشككين...

هكذا عكفت جاهدأ علي البحث وسط الرفوف عن كتاب ما قراءة ، حين وقعت عيناى علي ذلك الرجل ذو البدلة السوداء الأنيقة...

-

نظر نحوي ثم عقد حاجبيه قائلاً...

- ق ، ما الذي جاء بك هنا ؟ أعني..ماذا تفعل هنا ؟

- ذات الشئ الذي تفعله هنا.

-أنا علي موعد بأحدهم.

-

-
...
-
-
-
الجمعية ، هل لديك بعض الوقت ؟

...
- لا بأس مازال هناك وقت لنجلس و نتحدث.

... في مساء اليوم التالي رن هاتفي ، و كان المتصل
ترددت كثيراً قبل أن أرد ، خاصة أنني كنت واضحة تماماً في
قراري بشأن ترك قضيته لمحام آخر ، و قد تفهم هو ذلك ، و هذا
لا يجعل بيننا الآن أية اهتمامات مشتركة لتتحدث بشأنها...
-

...
- لقد انتهى الأمر يا سمر ، أخذت اللعينة أطفالي.

- كيف حدث هذا ألم توكل القضية لمحام آخر ؟

- بلي ، و لكن في النهاية فازت هي بكل شئ.
...
-

- لا تدري أين الخير يا جلال ، و صدقني فإن من مصلحة الأطفال أن يظلوا مع أمهم.

-الآن أشعر برغبة في الإنتحار ، كنت أسخر فيما سبق يقولون ذلك لكنني الآن أتفهم شعورهم هذا جيداً.

-لم ينته كل شئ بعد يا جلال مازال هناك أمل.

-أي أمل في حياة فارغة كهذه ؟ لم يعد لي شئ أحيا لأجله.

-

-

...

-

-

-

وضعه علي الإنتظار بينما أطلب بسرعة البرق أول رقم خطر

...

-

...

-

قلت بينما أنظر من النافذة...

-

-
-
-
-
- لا أعلم فقط إفعل شيئاً.

-حسناً سأنهض من فراشي إلي الشرفة ثم أطيّر إلي السماء

-هل تمزح في موقف كهذا ؟

-أنا لا أرى أي سبب يدعو للذعر ، إنتظري قليلاً و لسوف يأخذه
()

- بأي شئ مثلاً ؟ أخشي أن يسمعه الجيران و

-تباً لكما أيها الطفلان ، حسناً أنا قادم.

هكذا أغلقت الإتصال بينما أنظر لجلال الذي مازال منتظراً علي
الهاتف...

كان أحمد سامي يجيب عن أسألتني باستفاضة و كأنما كان

ربما لاحظت أن الجمعية لا تعالج الحالات التقليدية التي
عهدناها في المصحة ، لن تجد أبداً مصابين بالفصام أو
متوحدين ، إن من نقوم بعلاجهم هم أناس أصحاء تماماً ، أناس
طبيعيون مثل الجميع ، لكنهم مصابين بأمراض أخرى نسميها

مستوطنة ، و هي مستوطنة لأن المجتمع لا يعتبرها أمراضاً
نفسية تستحق العلاج ، فهي تصرفات طبيعية مألوفة ، لكنهم
يمارسونها بصورة مبالغ فيها.

...

-مازلت لا أفهم أي شيء.

-مثلاً ، هل لاحظت أن لك صديقاً فضولياً بصورة زائدة عن الحد ؟
أو صديق عدواني بصورة مبالغ فيها ؟ أو صديق متشكك للغ
يظن أن الجميع يريدون سرقة أو النصب عليه ؟

-تلك النماذج التي ذكرتها هي المجتمع ذاته.

-دعني أوضح لك أكثر ، حين أقول عن ()
أنه شخص بارد للغاية فإنني هنا
أتحدث عن صفاتهم بصورة كمية و ليست كيفية إطلاقاً ،
.. أحمد و كريم ليسا نوعين مختلفين من الناس ، بل
إن لدهما تفاوت في درجة توافر الصفة فحسب ، فكل منا

تفاوت في درجة الطاقة التي تستخدمها صفاتها ()
لم يكن ليبدو بهذا الحماس لولا أنه يستغل طاقة كبيرة في
استخدام هذه الصفة مقابل افتقاره لبعض الطاقة في صفة
()

الناس تحمل بداخلها الصفات كلها و ليس الإختلاف بينهم إلا
في درجة توزيع الطاقة بداخلهم علي كل صفة
أن الناس معادن ، لكن أليس الاختلاف بين المعادن يكمن في

النهاية يتعلق باختلاف كمي خالص.

-أها ، الآن بدأت أفهم.

- هذا هو السر وراء تلك الحركة الإنتقائية للحالات التي تقوم الجمعية بعلاجها ، فتلك الإستمارة التي ملأتها قبل المقابلة تكن سوي إختبار ميدني يري فيه المتخصصون أوجه المبالغة في سلوكياتك.

- ابتسم و قد بدا علي وجهه بعض الحرج...

- في الواقع ، بدوت لي غير مترناً في تصرفاتك ، الكثير منها. تراجعت بظهري للخلف و علي وجهي ابتسامة خيبة أمل ، و حينها تسائل أحمد سامي قا ...

- كنت أظن أن خلاصي بهذه الجمعية ، ظننتها تعالج الحالات التقليدية.

- و لماذا تحتاج لعلاج تقليدي ؟

- لأنني مازلت مريضاً للغاية ، مازالت هناك بعض الهلاوس

...

- لا مشكلة ، بإمكانك استشارة الدكتورة هدي و حتماً سنتص.

فتحت فمي لأقول شيئاً قبل أن يقاطعني رنين هاتفي ، و بالطبع لم أسلم من نظرات الجميع ، لقد خرقت عهد الصمت

...

كانت المكالمة التي جاتني غير مباشرة علي الإطلاق ، أوديت
حال رغم الهستيرية التي أبلغتني بها داليا الخبر ، إن الفتيات
نري بأعيننا...

بالطبع أدت تلك المكالمة إلي إظهار جانب الشهامة لدي أحمد
سامي ، و أصر علي توصيلي بسيارته رغم مواعده الذي كان

...

...

...

-تأخرت كثيراً يا طارق.

-هذا لأنه بالداخل.

فتح فمه ليقول شيئاً ثم تراجع قائلاً...

-هل هذه طريقتك الخاصة لإنقاذ سمعتك ؟ لو لم يكن الجيران
قد بدأوا في تكوين نظرياتهم الخاصة بشأنك فلا بد أنهم ملائكة.

-جيرانني يعلمون أنني أنسة محترمة.

قال بينما يغلق الباب خلفه ضاحكاً...

-صدقيني إن الإحترام هو تربة خصبة لنمو أسوأ الطنون ، لقد كنت أكثر أبناء شارعى احتراماً و حين تلاعب المرض بر بدأ الجميع يتحدث من وراء ظهري.

لم أرد ، فقط نظرت له نظرة مغزاها أنني لست في بال رائق

...

-لماذا تركتني يصعد ؟

-ليس لديه مكان آخر لينام فيه.

...

-و هل أخذت زوجته المنزل أيضاً.

-هذا ما أكتشفته فعلاً ، لقد كان قد كتب المنزل بإسمها.

هنا قال في لهجة أقرب للجديّة...

-يا إلهي ، هذا رجل خسر كل شئ فعلاً ، أين هو ؟

-

- - -

كل تفاصيل حياتي مؤخراً جعلني اتعجب من فكرة كيف أنه

...

-

-لا أعلم لكن أول ما تبادر إلي ذهني هو أنه حتماً مخمور ، إن أول شئ يفعله الرجل حين يخسر كل شئ هو أن يشرب حتي

رفع عينه نحوي قائلاً...

-تشاهدين الكثير من الأفلام مؤخراً.

و علامات التفزز علي وجهه قائلاً...

-و لكن مهما كانت درجة خسارته فلا أجد مشكلة في مواجهتها
برائحة أفضل ، هذا الرجل بحاجة ماسة للإستحمام.

-إسمع ، لدي غداً جلسة هامة للغاية و أنا بحاجة للنوم الآن.

...

-

...

-أن تجعل هذا

-و كيف هذا ؟

هزرت كتفاي قائلة...

-لا أعلم ، أنتم الرجال حتماً تعرفون كيف تواسون بعضكم.

...

حين تتعلم الواحدة منهن قيادة سيارة فإنها لا تفعل شيئاً سوى
البكاء الهستيري بعدما تهشم خلفية سيارتك لتتصل بعد ذلك
بأبيها الذي يتضح دائماً في النهاية أنه ضابط أو لواء أو أي من
تلك الرتب التي تنبئ بخراب بيتك قريباً ، و كل هذا يحدث

بالطبع قبل أن تخطوا خارج سيارتك لتفهم ما الذي حدث

...

- ستاذ أحمد ، حمداً لله ظننت أنني صدمت سيارة رجل غريب.

-لم أكن أعلم أنك تملكين سيارة.

-أملكها منذ شهر و لكنني تعلمت القيادة لتوي منذ يومان فقط ،
و هذه هي النتيجة كما تري ، أنا أسفة للغاية.

-

في تلك الأثناء كنت أقضم أظفاري و ألتهم أعصابي داخل
سيارة أحمد سامي بينما تناهي لمسامعي ذلك الحوار
اللعين...

-حاولت البحث عن سائق لكنني لا أثق بأحد بسهولة.

...

-هذا ليس أفضل من أن تنقي بقدراتك في القيادة.

- الشاب اللطيف ؟

-

...

-سمر هذا طارق صديقي ، طارق هذه الأنسة سمر مؤلفة

.

-الكتاب يجدون بعضهم بسهولة ، لماذا لست مندهشاً ؟

-

- ليس معي رخصة.

- قالت أنها لا تثق بأحد بسهولة.

- ههههه ، أنت دائماً تحب المزاح يا طارق.

هكذا ضغطت علي أعصابي حتي انتهى ذلك الموقف السخيف
و ذهب كل شخص لحاله...

- هل تعرض خدماتك للنساء علي حسابي ؟

- لا أفهم ما المشكلة في أن تكون سائقاً لها ألم تخبرني سابقاً
أنك تجيد قيادة سيارة والدك ؟

- تحاسبها علي ثمن المصايح الخلفية التي
كسرتها.

- طارق طارق ، لو تعامل جميع الناس بهذا المبدأ لصرنا في

- نحن في غابة فعلاً لكنك لا تتعامل بقوانينها ، ما الذي أصابك
بالضبط كي تكون بهذا البرود ؟ أنا لم أسمع عن مرض يفقد

- أنا مرتاح هكذا ، فليذهب المجتمع إلي الجحيم.

- قلت بينما أفرك كفوفي في شغف أمام الكمبيوتر...

...

- ألم تقولي أنك ستنامين ؟

- نعم و لكن كلما يخطر ببالي ما حدث لجلال يطير النوم من عيني ، إنني بالكاد أستوعب فكرة نومه الآن علي أريكة

- هذه هي الحياة ، ينجح أناس و ينهار آخرون .

- لكن جلال لا يستحق كل هذا ، إنه إنسان طيب للغاية .

مط شففيه قائلاً...

- إذن ، ما مخططاتك حالياً ؟

...

- لا أعلم ، حقاً لا أعلم ، هل يوجد شئ في بالك

لم أراها بهذا الضعف من قبل ، لم أراها بهذا الجمال من قبل...

الغريب أنها تبدو أجمل حين يصبح شعرها منكوشاً ، أو هكذا هي رؤيتي الخاصة لها ، فقد كانت في المصحة أجمل مما صارت عليه بعد ذلك ، صحيح أنها سحرتني في البداية بمظهرها الجديد في مركز التجميل ، لكنها في النهاية تبدو أكثر تلقائية بهذا الشعر المنكوش ، أو للدقة تبدو جميلة دون أن

...

لم أعرف ما أصابها و لا أريد أن أعرف ، فقط كل ما كنت أتمناه أن تفيق ، للمرة الأولى أتمنى أن تعان

...

بعد دقائق بدأت تفيق من المخدر لكنها كانت مازالت تشعر بالدوار ، نظرت لي بأعين نصف مفتوحة ، علمت ما أفكر فيه رغماً عن وجهي البارد الخالي من أية تعبيرات ، نحن الإثنين نفهم بعضنا بلا تعابير أو كلمات ، بلا اتصال لفظي غير

...

مدت يدها نحو يدي ، كانت هذه المرة الأولى التي تلمس فيها يدي بهدوء هكذا ، وبعد ثوان ضغطت عليها بقوة كأنما تتأكد أنها لا تهلوس و أنني بجانبها ، ذكرني دفء يدها بتلك الصغيرة التي طلبت مني ذات مرة أن أعبر بها طريق السيارات

للجهة الأخرى ، يدها صغيرة و دافئة ، بلورية و شفافة ، و حينها أدركت حقاً لماذا يرغب الناس يحبون الأطفال ، بضعفهم و حاجتهم اليك يشعرونك بالقوة ، و يشعرون هم بالأمان لمجرد يد دافئة كبيرة تحتوي ايديهم الصغيرة...

أما الآن و في هذا الموقف فقد عرفت لماذا ي ألمح هذا الصليب علي مرفقها اشعر بتعقيد موقفي ، و أشعر بحاجز بيننا...

يقتربوا من الموت ، و هل ما أشعر به الآن هو هذا معاً...

عقلي يحلل كل ذلك في حيرة ، كنت أعتقد أن العقل حينما يتدخل يسيطر حين تطغي قد تسيطر علي قراراتنا و آرائنا و اتجاهاتنا بشكل جذري ، ربما لأنني لم أتعرض لهذا من ...

يدها الدافئة تتشبث بيدي الباردة...

كيف يمكن ليدي الباردة أن تمنحها الأمان يوماً ؟ مهما بلغت ثقتها بي ، مهما بلغ إيمانها و يقينها ، أنا نفسي لا أشعر بأنني قادر علي منحها شيئاً من ذلك...

نحن لن نكون بروعة الباسيكاليا يا عزيزتي ، ربما تكونين عوداً دافئاً ، ربما أكون موسيقي جنائزية باردة ، لكننا لن نكون بروعة الباسيكاليا أبداً ، و لن أنجح يوماً في أن أعوضك شيئاً مما تفتقدينه بعد رحيل أمك...

كانت هذه الفكرة إيذاناً لي بالخروج الفوري ، إن الأحلام
مصيرها الإستيقاظ حتي قبل إنتهائها ، لذا فلننه هذا الحلم قبل
إكتماله ، سيكون هذا أفضل للجميع...

سحبت يدي فجأة ففتحت عينيها فزعة لتجدني خارج الغرفة ،
كنت أعلم أنها مازالت مخدرة جزئياً و لن تقوي علي مناداتي...

و حين خرجت إلي الردهة مجففاً عرقني بالمنديل كان الجميع
جالساً في صمت ، هكذا اتخذت لي مجلساً بين داليا و بشوي ،

...

لم يكن الوقت مناسباً للتعارف ، إذ أن الجميع كان عاقداً

...

ملت علي أذن داليا قائلاً...

-

- ليتني أعلم ، إن أوديت ليست طبيعية منذ أيام.

-كيف ؟

-تجلس بيننا شاردة دائماً و حين أسألها تقول أنها مصابة ببعض
الصداع ، و حين حاولت اليوم في المقهي إعطائها قرص
نوفالجين فوجئت بأنها ابتلعت أقراص الشريط كله.

...

-هذا ليس جيداً.

حين عدت من عملي لم أجد أحداً بالمنزل...

و حينها دارت برأسي تساؤلات

...

-

-

-

- كل خير.

-

-

-

-

-

-

- طارق هل تمزح الآن ؟

-

- تركتيني أستكمل اللعب.

- طارق حين تنتهي من هذا السخف تعال لي فوراً.

-

لا يمسخون الزجاج هنا جيداً...

و أنا أكره الزجاج الشائب ، فإن رؤيته تصيبني بالجنون ، فلم

...

هكذا بصقت بصقتين علي الزجاج و مسحته بكم القميص فلم
يتغير شئ...

- ... -

بصقت بصفة أخرى و مسحته فلم يتغير كثيراً ، في الواقع لم
يتغير إطلاقاً ، إذ أنني بعد عدة محاولات توصلت إلي أن
المشكلة تكمن في الناحية الأخرى من البنا ...

كانت أوديت بالداخل تهيئ نفسها للخروج ، و أدركت أن مدتها
انتهت و أنني لن أراها جميلة ثانية إلا عندما تدهسها حافلة ،
هكذا أضمن بقائها منكوشة الشعر بالمستشفى فترة أطول...

كان الجميع قد غادر بالأمس بينما ظلت بانتظارها حتي انتهت
من غسيل المعدة و صارت قادرة علي الخروج...

توقفت عن تحزيم حقبتها لتراقبني أثناء بصقي علي
غرفتها ، و حتماً أدركت الإنطباع الرومانسي الذي أحاول تركه
بداخلها...

كانت تنظر بثبات ، أعرف تعبير وجهها عندما لا تمزح ، إنها تفكر
بجدية و إنها لغاضبة بشدة و لسوف تقضم أنفي قبل أن أفكر
حتي في الهروب...

نظرت لنهاية الرواق الطويل فوجدت أحمد سامي يتحد
مدام موريان في مرح ، للمرة الثانية أرثي لحال هذا الرجل ،
)

بخت من وفق راسين في الحلال)
تشويه ذلك الكريستال بالبطيخة و الجريدة و (مصاريف العيال)

و الدروس ، دعك من أنني لا أجي
ذلك فلسوف أترك بصمتي التي تضمن بقاؤه عازبا لنهاية
حياته...

هكذا تخيلت نفسي جالسا أحتسي القهوة في صالون بيت ما
بين امرأتين شمطاوتين بينما أعدل من وضع الملاءة اللف حول
...

- يا ختشي عريس إنما إيه ، طيار و حليوة و ابن ناس .
حينها تدخل العروس التي لم تحلق ذقنها منذ تسعة أسابيع
فأصاب بالغثيان و أهم بالهروب قائلا...
-طب أجيلكوا وقت تاني بقا يا الدلعي ، العواف عليكوا.

أفقت من تخيلاتي لأجد أوديت في مواجهتي مباشرة تنظر لي
بثبات ، مددت يدي بجيبي باحثا عن منديل آخر احفف به آثار
نوتري المفضوح لكن شيئا ما أعاق بحثي...

فإن لم تصفحك أنني من قبل دعني أخبرك شيئاً ، إن صفعات النساء لأكثر ألماً و إهانة من صفعات الرجال ، هذا لو كان الرجال يصفعون بعضهم...

توقعت عنفاً ، لكن ليس لهذه الدرجة ، لا أعرف سبب غضبها ولا أريد أن أعرف ، فإنني لم أتعامل معها يوماً بصيغة السبب و النتيجة ، دع الأسباب للناس يحرقهم فضولهم نحوها ، أما أنا فلا أريد سوى صفعات شعورية هادئة دون التقيد بعقود أو

...

أعدت وجهي ناظراً لها في انتظار الصفعة التالية لكنها ظلت تنظر بذات الثبات فأدركت أنها اكتفت بذلك و أن دوري قد حان...

-حسناً كان هذا مؤلماً.

-ليس أكثر من الألم الذي تسببه لي كل يوم.

أخذت نفساً عميقاً ثم قلت لها...

-أوديت ، صفني لي ماذا حدث بيننا بالمصحة.

نظرت لي في صمت محاولة تبيين مدي

...

-ما الذي جعلك فجأة تريد معرفة هذا ؟

-لا أعلم ، أشعر أنه ربما لا أقدر حجم العلاقة التي كانت بيننا.

...

-هذه أشياء لا يمكن وصفها بكلمات.

...

-أوديت ، لقد شعرت بهذا ، أمس عندما لمست يدك.

- هذه هرمونات بدأت تنشط ، لا تقلق مازلت وغداً كما أنت .
- لا ليس الأمر هكذا صدقيني ، أعطيني يدك .

- لا يوجد ماذا ، أعطيني يدك و سأصف لك الأمر بدقة .
مدت يدها في توجس فأمسكتها و ضممتها بين كفوفي منتظراً

...
كانت نظرتها لي تقول بوضوح أنها تشعر بسخافة الموقف
بأكمله ، برغم أنها تقريباً المرة الأولى التي أكون فيها جاداً
معها ، و هذا مالا يستوعبه الآخرون دائماً حين أطلب منهم
طلبات غير مألوفة برغم أنه لا ضرر فيها ، إن الناس تتوجس
دائماً من كل ماهو غريب و جديد...

بعد دقائق تركت يده

...
- حسناً من الواضح أنه لا يوجد استقبال جيد للمشاعر في
- تقصد لا يوجد إرسال ، لقد صفعتك منذ قليل فماذا تتوقع مني

- ظلت صامته لثوان تتأمل تعابير وجهي و قالت...

.. سعيد و خائف في ذات الوقت.

هنا فقط ابتسمت قائلة...

- أخبرتك أن هذه أشياء لا يمكن وصفها.

- أوديت هذه مشاعر أختبرها بداخلي للمرة الأولى ، لابد من أن

فتحت فمها لتقول شيئاً قبل أن يدخل علينا أحمد سامي و في
ه باقة ورد فاخرة تليق به حقاً...

- حمدلله علي سلامتك يا أنسة أوديت.

أحمد سامي جالسين في

الرواق نتأملهما من بعيد كالمخابيل...

رد و عينه لم تزل تراقبها...

- حسناً إنها امرأة رقيقة ذات روح جميلة للغاية ، هذه حقيقة لا
خلاف عليها.

حتى في التعبير عن التذوق الجمالي يراعي أحمد سامي اعتبارات الأخلاقية ، و علي الأرجح انه يري في بعض المصطلحات التعبيرية كالـ () نوعاً من التصنيف البيولوجي المتحيز لذوات الصفات الجينية الحسنة ، إلي آخر هذا الهراء... لطالما كان أحمد سامي موضوعياً لأبعد الحدود ، حتى بدأت اشعر انه قانون ثابت يمشي علي قدمين او جزء من الطبيعة خلق بخلق الكون و سيفني بفنائه...

-لا أعلم ، شعرت في طريقة تحدثك معها و كأنك تعرفها منذ

-هذه هي الحقيقة فعلاً ، لقد كانت السيدة موريان تعمل مضيئة طيران فيما سبق ، و كانت لنا معاً رحلات كثيرة لا أنساها.

ذلك علي الأقل يمنح جمالها () هذا سببا مفهوماً يمكن ابتلاعه ، إنك تجد المضيئات بارعات الجمال لأنهن ببساطة مضيئات ، فهن جميلات لأنهن مضيئات و ليس

...

بعد قليل غادر أحمد سامي و تركني وحدي في المشفى ، لم تظل وحيداً بذلك المكان الذي كان الجميع برفقتك فيه منذ قليل ، إن الوحدة جميلة للغاية...

...

طارق يلهث من التعب ، و جلال بأفضل حال ، لماذا أشعر و كأن

-
رد طارق في إنهاك...

-
أخذ وردة من الباقية ليشمها قائلاً...

-
-بالتأكيد ليس لي.

...
-هل ستظل هكذا كثيراً؟ قم بحركتك و دع الحياة تسير.

هنا فقط ركع جلال أمامي بحركة مسرحية كما يفعل
الأمريكيون حين يطلبون الزواج من إحداهن قائلين...

-هل تتزوجيني؟

و في موقف كهذا يفترض أن أعطي وجهي بكفوف يدي من
هول المفاجأة و أبكي من السعادة ، لكن شيئاً من هذا لم

...
نظرت إلي طارق الذي تظاهر بانشغاله في
استفهام الأمر ، لكنني شعرت بسخافة الموقف بأكمله و قلت

...
هنا سحب جلال دبلته و نظر نحو طارق قائلاً...

-قلت لي أنها مازالت تحبني.

-إنها كذلك بالفعل لكنك تعرف النساء يتمنعن و هن الراغبات.

هنا لم تعد أعصابي تحتل فرصت فيهم ...

-طارق ما الذي يحدث هنا ؟

-أمرتيني بإحياء الأمل بداخله ثانية.

-بهذه الطريقة ؟

...

هذا الوعد ثانية ، أعد بناء نفسك من جديد و صدقني ستجد من

-ما الذي تقولينه يا سمر ؟ لطالما أحببتك و لم أحب امرأة
غيرك.

نظرت لطارق نظرة مغزاها (هل لنا في بعض الخصوصية ؟)
فنهض متوجها نحو المطبخ قائلاً...

-إحم ، حسناً سأعد بعض القهوة هل يريد أحدكم قهوة ؟

...

-إسمع يا جلال ، أعلم أنني تسببت لك في الكثير من الأذي ،

لقد تغيرت أشياء كثيرة منذ ذلك الحين.

-ما الذي تغير بالضبط ؟

كان أسلوبه في الحديث متغيراً ، فقد قوة شخصيته و نبرة
صوته الواثقة ، لقد دمرته تلك التجربة رغم أنني لا أراها

...

-أنا ، أنا تغيرت يا جلال.

-هل هناك أحد آخر ؟

-

-إذن كيف تغيرت.

-لا يوجد سبب أو حدث معين ، لكنني لم أعد كما كنت ، و أنا
أدرك ذلك جيداً ، لسوف تصير معي أتعس رجل في الوجود.

-أكثر مما أنا عليه الآن ؟ لا أظن.

...

-لي ضعيفاً للغاية و أنا لا أحب أن أراك هكذا ، و في ذات الوقت
دع لي وقتاً للتفكير بالأمر.

... هز رأسه في غير اقتناع قائلاً في استسلام غير

-

...

الأماكن المزدحمة بالناس شريطة ألا أكون أعرفهم أو

...

شطيرة حين لا أدري من أين طفر بها...

- أعلم أنني أبدو بانساً لكن لا تنظر لي هكذا.

لم يرد لأنه بطبيعة الحال لم يفهم شيئاً ، لكنه نظر أمامه ليكمل

...

- هل معك شطيرة لي

بصعوبة رفع حقيته المدرسية عن الأرض ليخرج شطيرة لا
معالم لها ، كأنما تم سحقها تحت ألف قطار...

- أهذه شطيرة أم علكة تم بصقها ؟ أليس معك ما هو أفضل

هز رأسه في صمت نافياً...

تشممت كتلة العجين تلك في تقزز ثم تناولت منها قطعة
صغيرة متربصاً ، لم أحدها بهذا السوء فمن الواضح أنها لم
تمكث كثيراً في حقيته حتي تتعفن بفعل الحرارة و الرطوبة...

- إنك تتمتع بشهية غير عادية بالنسبة لطفل في مثل عمرك.

....

- هنا هو أين أنت من

كل هذا ؟

نظر لي في غباء طفولي فأدركت أنه لم يفهم شيئاً...

- مع من جئت إلي هنا ؟

- كل شئ بخير يا حبيبي لا تقلق الطبيب طمأنني ، فقط أخبرني هل وصلت للمطار أم لا ؟

أكامامي متوجهة نحو المطبخ ، لكن طارق سبقني و خرج بعلبة الشوكولاتة في يده يلتهم منها في

...

-لئن صادفت امرأة أخرى تحب الأزهار و القطط و الشيكولاتة

...

-هلا تركت هذه قبل أن أخرجها من أحشائك ؟

-

-أنا حرة في حماقاتي و ليس من حقك التدخل في هذا.

- (دع لي وقتاً للتفكير بالأمر!) ، هل تظنين نفسك فناة في العشرين تندلل علي العرسان ؟ استيقظي يا سمر.

أخذت نفساً عميقاً و قلت في نفاذ صبر...

- ما الذي تحاول فعله يا طارق ؟ هل تحاول إثبات شئ ما

-

-طارق الذي أعرفه لا يساعد أحداً إلا لأجل هدف ما خفي.

- سمر ، أنا لا أفهم كيف تتشدين بكلمات الحب و الرومانسية و حين تتاح لك الفرصة لعلاقة حب حقيقية ترفضينها ، الرجل

-لأنك أوهمته بأنني مازلت أحبه.

-و هل كذبت

فتحت فمي لأقول شيئاً لكن تراجعتي قائلة في هدوء...

-طارق ، لاحظ أنك تسبب لي الكثير من المشاكل مؤخراً ، لا

تركته متوجهة نحو غرفتي قبل أن يقول...

-لقد فعلت كل هذا لأنني لا أريد أن تكوني مثلي ، الوحدة ليست بالشئ الرائع يا سمر صدقيني.

-أنت من يقول هذا ؟

-نعم أنا من يقول هذا ، الوحدة لا تغير شيئاً سوي أنها تجعلنا نري الحياة من زاوية مختلفة ، لكن في النهاية تبقي الدنيا هي الدنيا لا تتغير بحزننا أو بفرحنا.

ظللت ناظرة نحوه في صمت لثوان و قلت متوجهة نحو

- ل هذا لأجلي ، لكنك لن تتغير أبداً.

برغم آرائى المسبقة عن الدكتور هدى ، إلا أننى لم أكن قد كوت نظريتي الخاصة بشأنها ، و أنا لا أهتم بتكوين نظرية بشأن أحدهم إلا حين أتخذ قراراً بالتحدث معه بشئ من الجدية علاجى هو تلك الجدية...

فحين تتضح لك جوانب شخصية ذلك الذى أمامك يمكنك حينها التنبؤ ليس بما سيقول و لكن بما سيهتم به فى كلماتك التى ستقولها ، بما سيهتم به فىك أنت...

و برغم أن الأطباء النفسىون لا يد و ألا تتأثر قدراتهم التشخيصية بأرائهم الخاصة أو تحيزاتهم المسبقة ، إلا أن الموضوعية هى فكرة أسطورية فى زمن كهذا ، صفة يندر أن تجدها متوفرة حتى بالعلماء الذين قاموا بصياغة مصطلح الموضوعية ذاتها...

- طارق لقد أخطأت حين توقفت عن تناول العقار.

- أعلم و لكننى لن أظل أحيا على تلك الأشياء ، أنا أو من بأن هناك طرقاً أكثر تأثيراً من الأدوية.

- هناك بالطبع ، هناك أن تكف عن لعب دور الوغد المنعزل عن

النهاية و لن يتبقى سوى الأدوية تجعلك محتفظاً بعقلك حتى حين.

أعجبتني الدكتورة هدي ، و راقت لي طريقتها المباشرة في
الطبية لم تتخذ أسلوباً متدرجاً في العلاج كما
يفعل الجميع بل تجاوزت كل ذلك لتريح رأسها من إجراءات لا
لزوم لها...

بعد دقائق اقتحمت الغرفة طفلة صغيرة بلباس مدرسي كئيب
و حقية مدرسية ضخمة فاحتضنتها الدكتورة هدي قائلة...

-ماذا قلنا عن الدخول بغير استئذان ألم أ

-الأسف غير كاف ، و الآن أخرجي و أطرفي الباب مجدداً.

هكذا خرجت الفتاة منزعجة و أغلقت الباب خلفها...

-أحتك الصغيرة ؟

-رفعت حاجبائي مندهشاً و قلت...

-ماذا ؟ هل أنت متزوجة ؟

-حسناً أدخلني يا صغيرتي ، عفواً

-أقول هل أنت متزوجة ؟

مطت شفيتها قائلة...

غادرت المكتب و علي وجهي ابتسامه رضا ، () هي
القطعة الاخيرة الناقصة كي تصح نظريتي بشأنها مكتملة ،
ظننت في البداية أنها معيدة بالجامعة لأنه -
المعيدات بشئ من التسلط ، لكن الأمر الآن صار منطقياً أكثر
بعد تأكدي من وجود وعد سابق في حياتها...

...

- ما الذي كان يحدث بينك و بين جلال ؟

...

- لن يساعدك هذا صدقني.

-

-

مط شفغتيه قائلاً...

- أشعر أنني جاهل.

- أنت كذلك بالفعل ، بل إنك مازلت كائناً أولياً لم يرقى بعد
لمرتبة الإنسانية ، و كل من لم يمر بخبرة عاطفية ما هو كذلك.

رفع حاجبيه قائلاً في هدوء...

- هذه إهانة.

قلت بينما أعيد ارتداء نظارتي...

-هذه حقيقة.

ليس هذا أسوأ ما مررت به...

فلقد خبرت جلسات كهذه قبلاً و كانت النتيجة واحدة في النهاية

...

فلا أفهم كيف يجد الجميع اجابة لجميع الأسئلة ، هل ارتشيت من قبل ؟ بضع مرات ، هل قتلت أحدا ؟ لا أذكر تحديدا ، هل

...

أحيانا أشعر أنني عديم الخبرة لم أخطر في حياتي و لم أغامر بينما الجميع مستنلا سيوفه رافعا إياها في صحراء الحياة...

لكن الملل الحقيقي في الجلسة يبدأ حين تنتهي الخبرات ، حينها لا يجد الواحد من هؤلاء سوي التحدث عن تفاصيل لا علاقة لها ببعضها ، أو يحاول أن يصف صراعاته الداخلية بصورة قمة في الغوضي و العشوائية...

...

-لا أعلم ، أحيانا أشعر أنني لا أطيق التحدث مع أحد ، و أريد تهشيم كل شئ أمامي...

...

-أحيانا أشعر أنني أريد الصراخ في وجه الجميع ، لأنه لا أحد يفهمني ولا أحد يقدر مجهوداتي أو قدراتي...

...

-لا أظن أن هناك حب حقيقي في هذا العالم ، إن خبرتي مع
الوعد الأخير تؤكد أنه لا رجال أساساً بهذا العالم...
و الخلاصة التي توصلت لها أن صورة الذات عند أغلب الرجال
خص في كلمات كهذه (حظي في الدنيا قليل-
مجهوداتي-العالم الخارجي هو بعض الحمقي الذين لم
يتوصلوا و لن يتوصلوا لما توصلت اليه في حياتي-
الحياة لا تقدر بثمن و لا انقلها الا لمن يستحق) بينما صورة
الذات لدي الفتيات تتلخص في كلمات كهذه (م زاهي
الألوان أستحق أن أكون أميرة الأميرات في أعظم قصة حب
-كل الرجال أوغاد بكروش متدلية-أنا ضعيفة في
هذه الدنيا جرحني بعض الوحوش الأدمية المسماة بالرجال-
يقدر احد مجهوداتي حتي الآن-

(

لا أعلم الكثير عن النف
أمامي نفوسا مريضة أدعو الله ان تكون كذلك فقط لأنها كذلك و
ليس لأنها جزء من الكل الكبير...

برغم ذلك فقد كانت الحالات الخطرة التي أفتها بالمصحة أقل
(الزغزة النفسية)...

- تقول شيئاً ؟

نظرت لها لثوان ثم قلت متحمسا...

قالت بينما تعدل من وضع حجابها...

-خلفك علي الشمال ، هل أنت متأكد من أنه ليس لديك ماهو
أهم منذ ذلك لتقوله ؟

...

-لدي بالطبع ، كم تبقي من الوقت علي نهاية

...

-طارق ليس العلاج مجرد عليك أن
تشاركنا ذاتك ، عليك أن تفتح قلبك لنا ، لا بد أنك واقع تحت
بعض الضغط مثلنا جميعاً.

-كل هؤلاء الشباب جائوا هنا لأنهم شعروا بأنهم منبوذين من

ردت إحدى الفتيات بلهجة شبه عدوانية...

-ربما كان كلامك صحيح جزئياً لكن الحقيقة أنه لا أحد يجب أن
يشعر بأنه منبوذ ، أنت نفسك لا تحب هذا بالتأكيد.

-خمني ماذا ؟ أنا لا أهتم ، فليذهب الناس إلي الجحيم ، و
ليبحث كل منهم عن عيوبه أولاً.

هدي قائلة...

-هذا ما يقوله الناس دائماً يا طارق و لو ظل الجميع يقول هذا
فلن نتقدم خطوة واحدة للأمام ، إذا كان علي أحدهم أن يبحث
عن عيوبه و يصلحها فلماذا لا نكون نحن أولاً ؟

-هذه مثالية زائدة عن الحد.

-أعلم ، و لسبب كهذا فإن عددكم محدود للغاية.

لم أضف شيئاً

...

- إن كنت تشعر أنك لا تنتمي لهذا المكان فيإمكانك إلغاء عقدك

- أنا بالفعل لا أنتمي لهذا المكان ، لكن الأمر يستحق التجربة

...

-أريد الخروج ، إقترح لي مكاناً نذهب إليه.

فتح فمه ليقول شيئاً فقاطعته قائلة...

-مكان غير بينوس كافيه.

...

-اممم ، هناك ذلك الحفل في ساقية الصاوي.

-

-فلامنكو ، فرقة روسية.

-هل أبدو لك امرأة تهوي رقصه الفلامنكو ؟

-في الواقع لا أعلم كي يمكن لشئ كهذا أن ()

-غريب ، لا تبدو كأحد المحبين لرقصة الفلامنكو.

- بالضبط لأن شئ كهذا لا يصلح لأن يبدو علي أحد ، لا تتوقعي
مني أن أسير ليل نهار في الشوارع أعزف الجيتار و أضرب

- أنت لن تفهم وجهة نظري أبداً.

- ولا أريد أن أفهمها ، هل ستأتين معي أم لا ؟

قلت بينما أغلق اللاب توب...

- إذهب و امسح السيارة جيداً بينما أرتدي ملابسي.

توجه نحو باب الشقة و علي وجهه ابتسامة خفية أعرفها جيداً

...

- إسمع ، لم أوافق علي الذهاب معك لأن بداخلي فضول نحو
ميولك الداخلية كما لايد أنك تظن ، أنا آتية لأنني لا أعرف مكاناً
آخر اذهب إليه ، كما أنها ستكون تجربة جديدة تستحق ال....

- ما كل هذه الثثرة ؟

:

لم أنعم بلحظة صفاء ليلية كهذه منذ زمن و بهذه المناسبة

.....

- وضع لا يحسد عليه...

-

- و هل انتبهت فقط لملابسي و لم تنتبه لجسدي الذي تهشم ؟

الميكروكروم.

و بعد دقائق ذهبت لشقته فوجدت الباب مفتوحاً...
- أن أكتب لك هذه الشقة

في وصيتي بعد قليل.

- نعم تكتب لي الشقة التي تدخلها متسللاً كل ليلة خشية أن
تطالبك صاحبة البيت بالإيجار ، أخبرني ما الذي فعل بك هذا.

...

-

...

-أها صار الأمر واضحاً إذن بكلمة واحدة ، فرح ، و هذا يعني أنك

العروسة ذاتها ، فأنا أعرفك جيداً.

-

فتحت زجاجة الميكروكروم و سكبت نصفها علي وجهه ...

-

-في الواقع يصعب شرح أمر كهذا ، الراقصة.

-ماذا بها ؟

-تهتز كثيراً.

- هذه وظيفتها.

- تهتز بصورة مبالغ فيها.

...

- لقد كان مقصدي خيراً صدقني ، فلطالما رأيت الرجال يلقون فوق الراقصة بالضبط دون أخطاء ، و حين أقدمت أنا () كالبرغوث لا تهدأ في مكان ، لم أستطع تصويب النقطة فوقها ولا مرة ، إحترق دمي ، أعطيتها بال(روسية) في رأسها.

نظرت له في دهشة فاعراً فاهي ...

- هذا هو بالضبط ذات التعبير الذي كان علي وجهي و أنا () بعدها.

- (السيكيوريتي) الخاص بها هو الذي قام بـ () .
نظر لي في آسي ثم انفجر باكيا و قال...

- أنت رجل طيب يا طارق ، مثل هذه المرأة لا تحتاج لهذه الأدوية التي تتحدث عنها ، إنها ذاتية الدفاع.

نظرت له غير مصدقا نفسي...

- صة فعلت بك كل هذا ؟

- لقد انكسر كبريائي يا طارق ، كانت يدها فولاذية و صلبة للغاية و شعرت فجأة أنني كالدجاجة بين يديها ، إنها حتي لم تتركني أذهب بملابسي.

- فلتحمد الله أنها تركت لك البوكسر.

- أنا أحمد الله أنني مازلت حيا.

هنا دق أحدهم الباب بعنف قائلاً...

- (بدل ما اطربقها علي دماغك

.....).

هلع...

- هار اسسسود ، إقفز من النافذة بسرعة يا طارق و انغذ

...

- هل تبعتك الراقصة إلي هنا أم ماذا ؟

- إنها صاحبة البيت تريد إيجار تسعة شهور.

- فزعتني يا أخي ، و مم أنت خائف سنحاول التحدث معها.

- ألم أخبرك أنك طيب ؟ إنها قادرة علي مضغي كالعلكة.

- ، و ماذا يعني هذا أليس هناك وسيلة أفضل

للتفاهم ؟ أنا لن أختبئ من سيدة علي آخر الزمن.

...

- إفتح أيها العفن الجربان قبل أن أفرج عليك الشارع و الشوارع

اتجهت نحو الباب و فتحته في شموخ و عزة قائلاً...
- ما الأمر يا مدام ؟ لماذا أنتِ عصبية هكذا ؟ ألا تعلمين أن
للبيوت حرمة ؟

- (ما مين يالا ؟)

رددت عليها بينما أمد يدي المرتجفة قائلاً...

- بدون إهانات من فضلك ، مع حضرتك طارق حسين من المنزل
المقابل ، نحن جيران .

و اختصاراً للوقت فإنه بعد محاولة طويلة لخلق نوع من التفاهم
شعرت بعدم جدوي الحديث مع هذه السيدة سليطة اللسان ، و

...

- بدون أعتدائات جسدية من فضلك أنتِ سيدة كبيرة و أنا لا أريد
أن أتصرف تصرفاً غير لائق .

- (يا جدع انتا كلمني كلام افهمه الله يخرب بيت انت اللي بوظ
لغتكوا ، ما تقول ياض فين حماسة و تخلصني) .
- حسناً ، من فضلك أولاً دعني ياقة القميص لأنه جديد
هل تريدن حماسة ؟

- سندخلين سيادتك لتلك الحجرة و ستجدين مرتبة الفراش

هكذا تركت لها الطريق مفتوحاً نحو غرفته بينما أطلقت ساقبي
للريح سامعاً صراخ أحدهم خلفي ، فيما بعد سأجد الوقت
الكافي للتأثر و البكاء و تحضير الكفن...

الرجل ليكون رجلاً بشجاعته في الإقدام ، و بحكمته في
الإنسحاب ، متي ينسحب ، و كيف ينسحب...

غير عادته ، و هذا دفعني للتساؤل...

- أحب دائماً أن أكون غير متوقع.

- هذا لا ينبغي أن لتفضيلاتك تلك قصة ما ، لا تمنعني أنك
تتحمس لتلك الأشياء فقط كي تكون غير متوقع في نظر

نظر نحوي بنظرة لا معني لها فاستكملت قائلة...

- و التي لن تصارحني بها أبداً.

- أخبرتك مسبقاً أنه ليس شرطاً أن تكون أسبابي دائماً ورائها

بعمل قصيدة غزل في جمال التفاح.

- أعذرني أنت من عودني علي ذلك ، دائماً تسرد إحدى قوانينك
ه أو صفة ما فيك.

- كل القوانين في النهاية ستؤول إلي العدم ، ستتفكك و
تتبسط ، و في النهاية لن يبقى شيء.

...

-حسناً هل لديك قصة ما مع الفلامنكو ؟

-في الواقع لا ، و لكنه يصادف موقف ما أرتاح نفسياً كلما أتذكره ، و لا أتذكره غالباً إلا حين أستمتع لموسيقى الفلامنكو ، إنه إرتباط شرطي لو كنت تفهمين قصدي.

في الجلسة التالية كنت حاضراً ، لكنني لم اكن حاضراً...

حاضراً بجسدي و غائباً بذهني مع تلك الموسيقى التي تملأ المكان ، فللمرة الأولى منذ جئت لهذا المكان يقومون بتشغيل تلك الموسيقى التي عرفت فيما بعد أن اسمها فلامنكو ، و أنا لا أعرف عن الفلامنكو الكثير لكنني أظنه رقصة إسبانية أو مكسيكية أو إيطالية ، لا أدري حقاً فأنا دائماً أخلط بين الثقافات

...

من وقت لآخر كانت تحين مني نظرة نحو إحدى الفتيات الجالسات معنا بالمجموعة ، لم أتبين جيداً ما كانت تقو لكنني أذكر أنها كانت منفعلة للغاية تتحدث بطريقة لأقرب

...

لأسباب كهذه تحتفظ أوديت باحترامها الخاص داخلي ، إذ أنها برغم كل شئ لم تبتك أمامي لحظة واحدة ، لم تستغل كونها أنثى لتجهش في البكاء عالمة أنه لن يلومها أحد لأنها أنثى و من حقها البكاء في أي و

...

(تبدأ الموسيقى بصوت حذاء يضرب الأرض في صدي مسبباً

(

و لا أخفي عليكم أمراً ، إن مشاهدة بكاء شخص ناضج لهو أمر
مسئول حقاً ، لست أدري ما الذي يدفع الآخرين لتهدئتهم و قطع
عرض ممتع كهذا في منتصفه...

يجبرك علي الصمت ، فلتتكلم كما تشاء و لتبك كما تشاء ، فهذا
يرضي جميع الأطراف : الباكي و المشاهد...

(يبدأ غيتار في العزف مصاحباً لإيقاع ضربات الحذاء)
لكن الفتاة اللعينة لم تكتف بذلك ، بل بدأت في نوبة هستيريا
من تلك التي رأيتها مراراً في المصحة ، هكذا توقعت أن أرى
ذات مشهد الصفحات العلاجية المعتاد ، و أرجعت ظهري للخلف

...

(تشتد الموسيقى و تبدأ ضربات الحذاء في الإسراع من إيقاعها
و معها يسرع الغيتار إيقاعه)

و لكن ليس كل ما يتمناه المرء يلقاه ، فأحياناً قد تضطر
السيناريو بنفسك ، خاصة إذا كانت الطبيبة المعالجة
لا تفقه شيئاً عن علاج نوبات الهستيريا...

هكذا قمت من مقعدي متأففاً نحو الفتاة محاولاً اختراق الزحام
المتفرج ، إن مشاهدة مريض نفسي ليس شيئاً يتكرر كل

دعيني أتولي أمرها يا دكتورة هدي.

-صدقيني لن تهدأ أبداً بهذه الطريقة ، لابد من صفحتها.
(يبدأ عزف جاز مصاحباً لإيقاع ضربات الحذاء و الجيتار)
كانت الفتاة تصرخ في غير انقطاع حتي كادت تحرق طبلتي
اذني ، هكذا لم أنتظر أوامر الطبيبة المتسلطة و اطلقت يداي

مذهولين ،

حقاً إنني أحازف بما أفعله ، فلو اعتقد أحدهم أنني اعتدي عليها لتوالي الجمع معه ليقوم بالواجب و يحولوني في ثوان

تهداً و معها هدأت أعصابي...

(تصل الموسيقى لذروتها و تنتهي ضربات الحذاء بضربة قوية ،
تنتهي الموسيقى)

حينها صفقت بيدي في وجه المتجمهرين قائلاً...

-حسناً أيها السادة انتهى العرض ، إنتظرونا الأسبوع القادم مع

التفت الي الدكتورة هدي فوجدتها تنظر لي في غل ، من

...

-و هل كنت أعمل سكرتيراً لدي

-مطروود تعني أنني سأقوم بإلغاء عقدك مع الجمعية ، ولا أريد رؤيتك في مجموعتي ثانية.

توقعت هذا منها لكنني لست معتاداً علي إبداء انفعالاتي وفقاً لتوقعاتي عن الآخرين ، إن بعض التصنع قد ينعذك أحياناً...
-هل تطرديني لأنني قمت بعلاج مريضة ؟
- ل لأنك تدخلت في غير اختصاصك.

-غير صحيح ، وصف برنامج العلاج كان يقول ان العلاج قائم علي المشاركة الوجدانية بين أطراف المجموعة ، لقد قرأت ذلك

-لأنني لم أفهم في البداية ماذا تعني (مشاركة وجدانية)

- الآن تفهم ؟

-المشاركة لا تعني أن تظل شارداً طوال الوقت و حين يقتضي الأمر صفع إحداهن تهب مستجيباً لنداء الواجب ، المشاركة

هل تقبل أن تصفحك فتاة لأي سبب كان ؟

قطبت جبيني في ذهول قائلاً بصوت خفيض...

-هل تعرفين فتاة تدعي أوديت ؟

قاطعتنا الفتاة و قالت متظاهرة بالوهن...

-لا داعي للشجار يا دكتورة هدي لقد صرت بحال أفضل الآن .
هكذا أخذت الدكتورة هدي نفساً عميقاً و رفعت سبابتها في وجهي قائلة...

-هذا آخر إنذار لك يا طارق ، إن كنت لن تلتزم ببرنامج العلاج فلنترك هذا المقعد لمن يحتاجه .

فتحت فمي لأقول شيئاً فقاطعتني قائلة...

-أعلم أنك لا تري أحداً بحاجة لهذا العلاج الغريب ، و ربما لست مقتنعاً بجدوي أهداف الجمعية من الأساس ، لكن هذا لا يمنحك

كالعادة أطل برأسه المنكوش من الشرفة منزعاً بعيون نصف

...

- لمعلوماتك ، حتي الأوغاد يحتاجون للنوم أحياناً.

- دعيني أضمن ، مغامرة جديدة ، سنطوف الشوارع سوياً في هذا الوقت لنبيع اللب

- لا ، سنذهب لجلال في منزله الجديد.

- سيطردنا حتماً هذا لو استيقظ ليفتح لنا الباب من الأساس.

- شئ ما ، نظرته حين غادر كانت مليئة باليأس.

- و لماذا تحتاجين لرفعتي ؟

- أهذه هي الرجولة حقاً ؟ فلنفرض أ سيكسر لي باب شقته كي ندخل و نجلب جثته ؟

فغر فاهه لثوان ثم قال...

- أولاً سبق و أن نصحتك بالإمتناع عن مشاهدة الأفلام الرومانسية الحمقاء ، ثانياً أنتِ تضعين لنفسك قيمة خيالية للغاية ، ليس جلال من ذلك النوع الذي قد يقتل نفسه من أجل

- هل تدرك أن الشارع كله قد استمع لقصتي الآن ؟

- لا يوجد أحرق سوى مستيقظ في هذا الشارع الآن كي
يستمتع لأحاديثك السخيفة.

:

...

وجهه زادت من وسامته كسائق توكنوك...

-

النساء صرن هكذا مؤخراً.

في تلك الأثناء كنا نجلس سوياً بذلك المقهي الموجود بالشارع
الرئيسي ، و كان
حماسه المعهود في ممارسة هوايته المفضلة ، التحديق
بالفتيات ...

-النساء مازلن كما هن يا طارق ، أما هؤلاء الذين تتحدث عنهم
فهم ليسوا ببشر من الأساس.

...

-قل لي يا حماسة ، هل أحببت من قبل ؟

-أحببت ؟ و هل وصل بي الحال لهذا إلا بسبب الحب ؟

-حقاً ؟ هل هي من منطقتنا ؟

-نورا ابنة الحاج عبد الرحمن ، إنها تسكن في البيت الملاصق
لبيتك.

حككت ذقني محاولاً تذكر الإسم حتي تذكرتها بالفعل ، فتاة
هي نموذج آخر يمثل فئة معينة من الفتيات في منطقة بولاق
الذكور ، حيث ترتدي الفتاة منهم تلك العباءة السوداء الضيقة و
المطرزة من الخلف ، و تلف وجهها بحوالي 94735105
بجميع الألوان و الدرجات ، و تلتخ وجهها ببعض المستحضرات
الرخيصة و المتوفرة دائماً و أبداً في محلات (2.5)
دائماً بيدها حافظة نقود () و هاتف صيني معلقة به ميدالية
تحمل أول حرف من اسمها ، كما أنه لا يد و أن تكون لها علاقة
() بأحد سائقي التوكتوك بالمنطقة كي يقوم بتوصيلها
مجاناً حيث شئت...

-نعم ، إنها فتاة رائعة و...محترمة للغاية ، أحسنت الاختيار يا

-لست أدري هل أنا واقع بالحب حقاً أم أنني موهوم ؟

-نعم ، الوقت المناسب ، لماذا لا يكون الآن هو الوقت المناسب
!

-قل لي يا حماسة ، هل تعرف لماً متخصصاً في اقتحام

...

- صباح الخير أيها البائس لقد جننا نحتفل بدخولك عالم الوحدة

..

...

- تبا كنت أعلم أن هذا السؤال قادم لا

-ربما لو كانت زيارتك في وقت معقول لكنت ابتلعتها ، أما
السابعة صباحاً ؟ لابد أن هناك شيء ما .

- ..أردت الاطمئنان علي حالك ، كيف تبلي في منزلك

الظهيرة لأنك ستكون في عملك حتماً .

...

-سبب غير مقنع لكني سأتظاهر بالإقتناع

.

يتذمر من الذهاب للناس في السابعة صباحاً لكنه لا يمانع
الإتصال بهم في ذات الوقت...

-إستيقظ يا أحمد سامي ، أيها الملاك المتمثل في ص
أظنني عرفت لماذا أنت هكذا ، فقط أخبرني أولاً هل استولت

() يتمم بكلمات غير مفهومة بينما كان يعالج
لكنني خمنت أنه يتزم من طبيعة المهمة التي
كلفته بها ، اقتحام مكتب الدكتورة التزام...
م أكن لأجد مشاكل في هذا لو كنت مازلت واحداً من نزلاء
المصحة ، خاصة في وجود فاعل خير مثل عم طلعت الغراش أو
التمرحي أو المريض ، لكن الأمور تغيرت مع الأسف و لا بد من
الاستعانة بوسائل أخرى خارجية...

-
مجانين سوا أن مديرتها تدعي () ، أي إسم هذا ؟
-اولا اسمها مصحة ثانيا نحن لن نسرق شيئاً ، أما ثالثاً و هو
الأهم فهو أن الدكتورة التزام ليست جديرة بإسمها حقاً و
صدقني أنا أعرف ما أقول جيداً.

- هذا صحيح إلي حد ما .

- ؟ هل تمزح ؟

-لا بل هي الحقيقة ، سندخل للإطلاع علي شئ ما لدقائق ثم
نخرج في هدوء دون أن نترك أثراً ، لهذا طلبت لصا محترفا مثلك .
-هذه العملية حقا إهانة لمكانتي في عالم السرقة ، لقد نهبت
منازل أغنياء البلد و الآن ينحدر بي الحال إلي هذا .
- مجاناً علي كل حال ، و الآن هلا فتحت

هكذا بمجرد أن انفتح الباب حتي وحدثه قادماً معي...

طلعت الفراش لا تصب بالذعر ، فقط اعطه خمسون جنيهاً
في حياته.

- أنا اقتحم شقتك متي أريد لماذا تجدين في هذا غرابة ؟

- أنت حقاً أردت بشدة معرفة ما حدث بينك و بين أوديت.

-الألوية لفكرة أنني اقتحمت هذا المكتب سابقاً و تص
ملفها الشبه فارغ ، و لهذا أردت العودة كي أري طبيعة ما حدث
بعد مغابلتني لها ، الأثر الذي تركته في حياتها ، هكذا يمكنني
المقارنة بين () () .

-هل تري ؟ هذا هو بالضبط ما أتحدث عنه ، إنك تتجنب دائماً
إظهار نفسك في موقف نبيل ، تتعمد دائماً إثبات أن تصر
كلها ذات أصل نرجسي خالص.

-التجسس علي ملفات المرضي ليس موقف نبيل.

-وراءه ، لماذا لا تعترف أنك أحببتها ؟

-
- لا يوجد شئ كهذا أنت مريض تسعى لإنكار وجود أي شئ
جميل بحياتك.

أخذ نفساً عميقاً و قال مبتسماً...

-
- لم أجد ما أقوله حقاً ، إنه مقتنع بحياته هكذا و لن تغير كلماتي
شيئاً ، هكذا وضعت أصابعي علي لوحة المفاتيح قائلة...

-علي كل حال ، ما الذي وجدته في ملفها ؟

-
-
- ع أنا أفضل ألا أذكر شيئاً عن هذا.

-أكتبي أن هذه أسرار خاصة بالمرضي و قمنا بحذفها.

-في الواقع لا ، هذا الملف بالفعل لم أخبر عنه أحداً قط.

-هل تعني أنك لن تخبرني أنا أيضاً ؟

لا لم يتغير شئ...

للغافة التي بها السر الأعظم ، لكن المعجزة لم تحدث برغم كل شئ ، صحيح أن ما قرأته صدمني قليلاً جانباً غريباً من شخصيته لم يكن يعلم عنه شيئاً ، هذا شئ يستحق أن أظهر له بعض التعجب ، رغم أنه متوقع...

أو ربما كنت أهون علي نفسي المبلغ الذي دفعته ل ذو الكبرياء ، فأجبرت نفسي علي التعجب كي أشعر بقيمة الكشف الذي توصلت إليه...

مرت الأيام التالية بشئ من الهدوء حتي انتهت السنة الدراسية ، لم يكن هناك شئ آخر يمكن ذكره ، حتي تلك الأيام القليلة التي كنت أذهب فيها للجامعة كنت أتجنب التحدث مع و النظر إليها...

ظللت محتفظاً بعلمي في جمعية تنمية المجتمع ، و ظللت مواظباً قدر الإمكان علي حضور جلسات الجمعية النفسية ، و أدويتي ، حتي جاء ذلك اليوم...

كان نومي هادئاً لا أحلام لا كوابيس لا مقاطعات لا زوار ليليين
يعثون بأصابعهم في أنوفهم ، هذا هو النوم المثالي الذي
تستيقظ منه صافي الذهن حاد الحواس...

(الزوار الليليين الذين يعثون بأصابعهم في
أنوفهم) هذا شيء يطول شرحه ، فيما بعد سنتحدث
عنهم و عن (الزوار الليليين الذين يبصقون كثيراً)...
نظرت لهاتفني فوجدت رسالة واردة من داليا ، فتحتها متوقفاً-
... ()-
(طارق النتيجة ظهرت ، أنا ذاهبة للكلية لأراها فإن كنت ذاهباً
أخبرني و إن كنت غير ذاهب فسيكون هذا أفضل)
صحيح أن الخبرة لا تكتسب مجاناً داليا
أ أفضله و ما لا افضله ، و رسالة كهذه
ليست الا دليل علي انها ادركت مدي كرهني للمكالمات و

المواعيد ، فهي تعد نوعاً من الإنذار المسبق ، و لا يمكنك
الرفض لأنك رجل ودود مهذب تحب الناس و المجتمع و تساعد
لأيتام و الفقراء و ترعي عصابيرك و تسقي زرعك كل صباح ،
فأحياناً لا يكون التحضر أكثر من كايح لجماح العدوانية بداخلنا ،
أو علي الأقل هو كذلك لأمثالي...

ألقيت الهاتف علي الفراش و خرجت
أسفل المنزل ، هلاوس صباحية افتقدتها منذ زمن ، إن عدم
لمواظبة علي العلاج ليوم واحد يعني فقدان السيطرة بشكل
كامل و فوضي عامة في الإدراك ، كأنك تملأ بالونة بالهواء حتي
تنفجر متني اتيحت لها الفرصة ، فمن الواضح أن لدي تحميل

...

اتجهت نحو الحمام متثابراً كفرس النهر ممنيا نفسي بدش بارد
يعيد إحياي من جديد ، لكن الأمور لا تجري بهذه السهولة

داخل نطاق الهلاوس ، فقد كان الدش موجوداً حرفياً
عملياً كان مجرد ()
تطاردني الآن بلا سبب واضح ، كنت اخلط في صغري بين
() () الإستقبال الغضائي ، هذه ضريبة
رف عصر التطور اللعين...
هكذا

لحقيقة مرضي

...

-ألاحظ أنك تتوقف كثيراً عن السرد اليوم.

-

-

- لجلال هذا الصباح كانت سخيفة بعض
()
()

-بل تريد أن تقول أن سبب الزيارة كان غير مقنع.

-شئ كهذا.

-و أنت الآن تسعى لإثبات أنني قمت بزيارته لأنني أحبه و غير

-اممم لا ، لم يصل بي الخيال إلي هذه الدرجة.

-إذن كن صريحاً معي و قل ما تريد الوصول إليه مباشرة.

-ما أحاول إثباته هو أنك توافقين علي الزواج منه ، و قد كان
هذا قرارك منذ ركع أمامك طالباً الزواج.

-و أنت تقول هذا لأن...

-لأن الذهاب إليه في الساعة صباحاً لا يعني سوي أنك تخشين عليه من كثرة التفكير في كلماتك القاسية ، تخشين عليه من الطنون التي ستتلاعب برأسه ، لقد تخلت سمر عني بعدما صرت مدمراً ، كل النساء من ذات العينة..

- أن العصفور قد يطير من ا

-شئ كهذا.

...

-إذن كلامي صحيح أم لا ؟

...

-آها أنت تقصد حقيقة الأمر ؟ غريب ، ظننت أنك لا تهتم سوي بنظرتك الخاصة للأمور بغض النظر عن حقيقتها.

...

-هل تحاولين الرد علي إخفائي سر أوديت ؟

-ما هذه الأفكار الطفولية ؟ بالطبع لا ، أنا أعقل من ذلك بكثير.

-هذا واضح.

...
- لا أحفي عليك أمراً يا ()
الخدمة من جديد ، المرة الأخيرة التي ساعدت فيها طارق
جائني بعدها صديقي ()
الإجرام هذه الأيام.

قال بينما يناولني كوباً مشروحاً من الشاي...

- هل ترين ؟ الجميع يظن الأمر دائماً يتعلق بالماديات اللعينة ،
لكن الحقيقة التي لا يدركها الناس أن الإجرام صار فناً لا يتقنه
الكثيرون هذه الأيام ، إذ أن جميع المجرمين يتحولون في نهاية
الأمر للعمل كمرشدين مع الشرطة ، قليلون هم من يملكون
ذلك الإخلاص لمهنتهم و يظلون متمسكين بها رغم كل

- تتناوبون اقتحامه ، شقة علي النيل مثلاً ، محل مصوغات ، ما
سر اهتمامكم بهذا المكتب علي أي حال ؟

- لدينا أسبابنا التي نفضل الإحتفاظ بها يا سيد حماسة ، و كما
أخبرتكَ من فضلك لا أريد أن يعلم بهذا أحد علي الإطلاق ، لا

بعد قليل نهض بشوي كالعادة متطوعاً لجلب الشاي ، هكذا سلطت داليا تركيزها نحوي قائلة...

-صحيح يا طارق وصلني أنك تنوي التحويل لآداب جامعة القاهرة.

- (جيد)

-و هل لو حصلت علي هذا التقدير ستقوم بالتحويل ؟

- حينما كنت أري حلوان جحيماً لا يطاق ، الآن بدأت أعتاد عليها.

-أحببتها مدركا أنها المرة الأولى التي أتحدث فيها معها بصورة جدية ، في الواقع لم أشاركها يوماً أي شئ عن ذاتي...

-كما يقولون ، لم أجد نفسي سوي في هذا المجال.

-و لأنني كنت أعلم أن تلك اللعينة لن تهدأ حتي تعرف كل شئ ، فقد كنت بحاجة لسبب عميق و مقنع...

- حاولت الإهتمام بمجال ما أجد أحد هؤلاء المتحمسين لذلك المجال يذكر لي مميزاته و لماذا يحبه ، و أنا أمقت الحماس الزائد و أمقت المتحمسين ، و عموماً فأنا لا أحب الإهتمام بشئ شائع ، كل الأشياء المميزة التي أحببتها حين أجد الجميع يحبها فإنني لسبب ما أمقتها.

-أحبت ناظراً نحو أوديت التي كانت تجول ببصرها عند بوابة المقهي باحثة عنا...

كاه الزماه وكاه في وكأنه بالقي...

و بنيناك و هيباه نبعي نلعب مع الحمي...

بيبقا حنا السكره قاهر خلف (الركاه) ، يبغي و تحزه بنت (الحيراه)...

(أوعي تنسيني ، أوعي تنسيني ، و لاتزكري حنا السكره)...

ساد الوجوم الجميع عدا صوت الناس من حولنا ، لا أذكر كم
بقينا صامتين لكن الأمر لم يطل كثيرا ، و وجدت نفسي فجأة

...

- سأذهب لأجلب ملاعق .

للحظات لم أدرك خطورة الأمر ، أوديت راهبة...
لن أراها ثانية و إلي الأبد ، من السبب في ذلك ؟ من فضلك لا
تقل أنني المذنب في كل هذا لقد كنت بعيداً عنها لشهور ، إنها
فترة كافية كي تنسي اسم أبيها...

هكذا ما أن جلبت الملاعق حتي استندرت عائداً شاعراً بالدوار و
كأنني تبرعت بنصف دمي للتو ، لكنني وجدتني في مواجهتي

...

- تباً كيف تتحركين بهذه السرعة .

- لماذا نهضت من مقعدك ؟

- رفعت الملاعق قائلاً في همهمة غير مفهومة...

نظرت نحو الأرض مستسلاً ، إنها اللحظة التي
انتظرت قدومها بشغف ، ستعاقبك مدرستك أخيراً علي عدم
إدائك للواجب ، خبر جيد لأن يداك ستكف عن التعرق ، بعض
الألم و لن يكون لديك ما تقلق بشأنه بعدها...
1% أن لك علاقة بقراري هذا
أحمق حقاً ، أنا لن ألبأ إلي الرب هرباً من علاقة فاشلة.
لم أدر ما أقول فأجبت بذات الهمهمة...

- هذا... جيد..

أمسكت وجهي في عنف غريب لتلتقي عيني بعيناها في
، ليست لدي مشكلة في هذا و لكن ليس أمام الناس...
-هل سبق لك ولو للحظة واحدة أن شعرت نحوي حقاً بمشاعر
ب ؟ مشاعر جادة ، هل فكرت حتي أن تصارحني بحبك ذات
مرة ثم تراجعت عن الفكرة مشمئزاً منها ؟

كان سؤالها جريئاً ينم عن محو كامل حدث لعاطفتها ، و كنت
أعلم أن إجابتي لن تغير شيئاً ، هذه نبرة من اتخاذ قراراً لا رجعة
فيه ، و الأسوأ أنه أتخذة دونما تردد أو تفكير مسبق...

- ما وجه استفادتك من معرفة هذا ؟

نظرت لها محاولا إيجاد انفعال مناسب لموقف كهذا ، إنني حقا

...

...

مرت لحظة ترقب توقفت فيها مراكز اتخاذ القرار برأسي ، لم
أفعل ولا كيف ولا لماذا ، و كانت النهاية
أنني تركت لساني يتخذ القرار وحده دون أي تفكير...

حننا و العصفير كنا بالحي ندور...

صوب الدركاه نظير حاملين غمار زهور...

يبقا حنا الاسكران بيلهو علي المحيطاه ، هم بيهور بنت الجيران...

أوعي تنسيني ، أوعي تنسيني ، و انزكري حنا الاسكران...

ارتسمت علي وجهها تلك الإبتسامة التي توقعتها ، إبتسامة الإرتياح ، نعم توقعتها لأنني أعلم تماما أنه الرد الذي أرادت سماعه ، الرد الذي سيمنحها شعوراً بالرضا الكامل عن قرارها ، الرد الذي سيجعلها علي يقين من أنها لم تضيع خلفها فرصة ما لحب صادق أو مشاعر دافئة ، ربما لو كنت أنانيا أكثر من ذلك لقلت أنها اتخذت القرار الصحيح...

حرصت علي أن أترك لها و لنفسي ولو ذكري واحدة جيدة ، لذا وجدت نفسي أقبل جبهتها في صمت ، من المؤسف استحالة الحياة مع أقرب القلوب إليك و أوضحها ، لطالما فشلت في قراءة قلوب كثيرة ، لكنني قرأت في قلبها البساطة ، و لذلك ...

حلوة بنيت (الجيران) راحتي في ليلة حيدر...

وانهدن (الركاه) واتعر بيت حديد...

بعروا حنا (السكران) علمي حيطان (النسيان) ، عم بيهور بنت (الجيران)...

كاه (الزماه) وكاه في وكاتة بالنفي ، و بنيناك و صبياه نيعي نلعب مع (البي) ، بيبقا حنا

(السكران) قاهر خلف (الركاه) ، يغني و قره بنت (الجيران)...

(أوعي تنسيني) ، (أوعي تنسيني)...

وأتذكرني هنا الأسكندر...

أما عن حيرتي بخصوص حبها لي دوناً عن رجال الأرض ،
فيمكنني الآن أن أفهم موقف الجميلة من الوحش...

() يتمم بكلمات غير مفهومة بينما كان يعالج

...

- أعلم أن هذه المهمة دون مستواك الإجرامي لكنني متأكدة من
أنه بداخل قلبك الكبير توجد دائماً مساحة لهؤلاء الذين...

- يا مدام ، يا مدام من فضلك هلا التزمت الصمت قليلاً ؟ أنا
أحاول العمل هاهنا.

- هذا ليس موضوعنا الآن.

لماذا اللصوص عصيون هكذا ؟ لطالما رأيتهم في الأفلام
يمارسون عمليات السرقة في هدوء و استمتاع بل و لا يحلو
لهم الحديث عن أدق تفاصيل حياتهم إلا في تلك اللحظات...

....

هنا فتح مطواته في عصبية موجهاً إياها نحو وجهي قائلاً...

- امرأة ، لقد قمت بمهمتي و انتهى الأمر ، و هنا أقول الوداع ، ولو طلب مني أحكمم افتحام هذا المكتب ثانية سأعرس مطواتي في انغه ، هل كلامي واضح ؟

هكذا غادر السيد ()
لم أكن لأتراجع بعد كل هذا ، لقد توغلت كثيراً و لسوف ألوم
ي كثيراً لو لم أدخل الآن...

هكذا اتخذت قراري بدخول المكتب و أغلقت الباب خلفي ،
وحده الله يعلم كيف سأخرج من هذا المكان وحدي...

لم يكن الأمر سهلاً كما ظننت ، لقد كانت الملفات أكثر مما
تصورت و إنني لأنسائل كيف استطاع طارق العثور علي ملف
أوديت بينهم بهذه السهوه
طبيعة التواريخ المكتوبة علي الملفات الموجودة بذلك الدولار ،
إنها جميعاً حديثة ، و أنا بحاجة لملفات الأرشيف لا الملفات

...

هكذا بعد حوالي ثلث ساعة اقتربت من اليأس و فكرت في

...

أملك الشجاعة الكافية لسرقته ، فقد كنت متعركة و يداي

...

هكذا حاولت بصعوبة اقتناص بعض الفقرات من بين السطور
لعلي أصل لسر طارق الكبير...

الجهة : للأمراض النفسية و العصبية.

: أوديت يسري ميخائيل.

: ملاحظات الطبيب المعالج خلال الجلسة :

الفتاة ، فمذ جائت الفتاة للمصحة و هي صامته كالصنم ، تنظر

صدمة نفسية ولا شك ناتجة عن موت الأم منذ أسبوعين ، و لكننا جميعا نمر بتلك المواقف و تراودنا لفترات ذات مشاعر الحزن و الأسى بدرجات متفاوتة و لكنها في النهاية لا تخرج عن النطاق المتوسط المعروف ، أما بالنسبة لحالة تلك الفتاة فإنها خرجت عن نطاق المتوسط ، و هذا ما يدعوني للتساؤل عن كنه تلك العلاقة الشديدة الترابط بين مراهقة في الثامنة عشر و بين امها ، هناك ما أنا بحاجـ

أفهم كيف تجري الأمور...

إنها جلسات مسجلة تم حفظها جميعاً علي ()
() آخر مكتوب عليه (باسيكاليا)...

هكذا فتحت جهاز الكمبيوتر و وضعت السي دي في ترقب...

كانت ملفات الصوت مسماة بتواريخ تسجيلها ، وما أثار دهشتي هو أن هناك تسجيلات أحدث من ذلك التاريخ الذي خرجت فيه أوديت من المصححة ، من الواضح أنها ظلت تتابع

...

يلاً بتاريخ يناير 2009

...

23 2009 :

-نحن نتسلل من المصححة ليلاً يا دكتورة التزام ، نذهب إلي تلك الحديقة المجاورة و نقفز من فوق أسوارها...

أقول هذا لأنكِ حتماً تعلمين ، فقد صرنا

...

لا تقلقي لم نفعل شيئاً مشيناً قط ، صحيح أننا مارلنا مراهقون لكننا لسنا أغياء...

بل ربما تتعجبين حين أخبرك أنني لم أسمع صوته حتي الآن ولا أعرف كيف يبدو ، إنه

في سكون ، تاركة نفسي للغرق في عيناه الضيقتان اللامعتان
، و حتي حين أطلب منه أن يشاركني
لا يجيبني سوى بابتسامة عشق و قبلة حانية علي
جيبني ، أشياء كهذه كقبلة باسكاتي إلي الأبد ، فلست بحاجة

أفعله معه و أقوله ليس لشيء إلا للحظة حنان صامتة استرقها
من أحضانه الدافئة كل ليلة...

5 : 2009

-أمس أخبرته بنكته عن المجانين فانفجر في الضحك حتي
سقط علي ظهره ، كنت في غاية السعادة حين تمك

الذهني ، و اخترقت مجاله السيكولوجي ليضع لحظات...
كل دقيقة تمر بدونه تزيدني شوقا إليه ، دكتورة التزام..
أظني الآن بحاجة للباسيكاليا ، لقد ماتت أمي و صرت علي

-ألم تعد زيارتها الليلية

-ما من زيارات يا دكتورة ، و ما كانت هناك زيارات من الأساس ،

-حسنا ، انتهت الجلسة لليوم.

صوت أوديت تنهض متجهة نحو باب المكتب قبل أن تتراجع

م أكن قد شفيت بالفعل ،
أن شرف المهنة يمنعك من مخالفة القوانين ، لكنني
لا أريد الخروج من هنا ، لسوف تسوء حالتي.

تماثلت للشفاء ؟ لقد انتهينا من إنكارك لوفاة امك
و ظهرت مشكلة أكثر س

ام في الشخصية ، لا
يمكنني التنبؤ حقا بموعد شفاؤه أو هل سيشفى من الأساس
بمريض آخر ، فذات ليلة
قد لا تجدین شخصيته المحبة هذه

هذا لن يكون ، سيحيني إلي الأبد.

29 : 2009

-هل تعلمين يا دكتورة التزام ؟ ربما كانت هذه إحدى أكثر
أمنيّاتي غرابة ، لكنني كنت أتمني دائماً

هيئة توأم ملتصق ، أعني أنه أمر رائع

- نعم ، أمنية غريبة إلي حد ما لكنها رائعة ، من المؤسف أنها لن

- في الواقع أنا أراها قد تحققت أخيراً بظهور طارق في حياتي ،
لصلواتي المستحيلة.

- !

-

-

19 2009 :

- كنت أعلم أنه سيقوم بالتحويل لقسم علم النفس بكلية الآداب
، هو أخبرني بذلك ، و علي هذا الأساس رضخت لفكرة
خروجي من المصححة علي أمل بلقائنا ثانية داخل

الدراسة كي أراه ثانية ، ظننت أنني سأجد طارق الذي أحببته
و أحبني ، ظننت أن شخصيته الليلية المحبة هي الأساس
الذي سيظل موجوداً في نهاية الأمر بعد شفائه ، كنت حمقاء.

-

- بارد لا يعرف عن الحب شيئاً ، بل ولا يعرف أدني

بسحر الأشياء ، بل يسعى لفرض اتجاهاته الفلسفية المريضة
علي رموز و قيم و معنويات اتفقت عليها البشرية منذ الأزل ، و
هو في ثورته علي تلك الصيغ القديمة

، فهو يعيد تشكيل صيغة الحب و
الكرهية و الجنون و الفلسفة و النذوق الفني و كافة عواطف
البشرية كيفما يريد فقط لأنه ببساطة يريد ذلك...
لكن شيئاً من هذا لم يثر حنقي قط ، ما يغطني حقاً
أهيم به دونما سبب
حبه بينما كل الدلائل تدفع جانبي العقلي الواعي إلي التخلي
وعد كهذا...

لشد ما أمقت هذا الفتى حقاً ، و لكن ليس بقدر عشقي له...

:

لم أكن أعرف ماهي الخطوة التالية...

لكن هاجساً ما بداخلي كان يسيطر علي كل
(لا نهاية إلا النهاية) ، إنها اللحظة التي تقر
فيها ترك الأمور للأقدار تسيرها كيفما شئت ، و كأنها لا تفعل
ذلك في جميع الحالات ، ربما كان هذا ميكانزم دفاعي آخر
نتجنب به الشك في قدرتنا علي اتخاذ قرارات صائبة ، حيث لا
تظهر تلك القناعة بحكمة القدر إلا في المواقف التي نعجز فيها
اتخاذ القرارات ، و لذلك لا نجد ضيراً في فكرة الإنسحاب ،
لنجنب أنفسنا مشاعر سلبية نحن في غني عنها...

بعد نظرات طالت بيننا ابتسما لبعضنا ابتسامه ()
عملية الوداع بنجاح ، لم أتخذ موقفاً بصدد لحظات الوداع أبداً ،
لسبب بسيط هو أنني لم أجد من أودعه م

...

أدركت ما ينتظر أوديت من أسئلة فضولية ، خاصة أننا
عدنا لمقاعدنا مبتسمين ، هذا كفيل بإشغال نيران الفضول

...

-لماذا تحذقون فينا هكذا ؟ باركوا لصديقتكم أوديت فهي
ستصبح راهبة.

توقعت أن يكون بشوي أكثر تفهما باعتبارها نصرانياً مثلها ، لكن
نظرة الإندهاش لم تغارق وجهه و قال...

-أوديت لن تتحملي أسبوعاً واحداً صدقيني ، هل أنتِ ملمة
بحياة الرهبنة كيف هي صعبة و شبه مستحيلة

-لا داعي لهذا الكلام الآن يا بشوي فقد اتخذت قراراً نهائياً لا
رجعة فيه.

-هل هذا يعني أننا لن نراكِ ثانية ؟

-الرب وحده يعلم يا داليا ، لكن تأكدوا أنكم جميعاً ستكونون في

أكره أن أقول هذا ، فمن جانبي كنت موقنا أنه تعاطف مصطنع
الأربعة مازالت سطحية للغاية برغم
مرور عام دراسي كامل ، و السبب هو أن كل منا كان لديه ما

...

لذا لم يستغرق الأمر وقتا حتي يستسلم الجميع لحقيقة الأمر ،
و اتخذوا قرارهم بقضاء تلك اللحظات كالمعتاد و كأن شيئا لم
(!!)

السيطرة علي أذهاننا...

ربما كان من المنطقي الآن أن تنتهي القصة بسلام ، نهاية
حزينة إلي حد ما لكنها سترضي محبي النهايات السوداء و
ترضيني أنا شخصا...
هذه ليست قصة رومانسية تنتهي
باختفاء أحد الأبطال ، هذه هي الحياة
وجود أوديت أو عدمها ، فالحياة لا تهتم باختفاء أحد أو ظهوره...

لم أتمكن من الإستماع لكل الملفات لكن تلك القفزات بين
التواريخ أعطتني لمحة مختصرة عن طبيعة الأمور ، لقد رفض
ق إطلاعي علي تلك الملفات لأنها تكشف ذلك الرجل
العاشق بداخله ، وهو لسبب ما يمقت ذلك الرجل و يتمني
...

علي عملية اقتحام ، و حين انتهيت من ذلك شعرت بداخلي أن
الأمر تسير علي ما يرام و أن الأمر أسهل
أمارس مهنة الإحرام فيما بعد في أيام العطلة...

أغلقت الباب خلفي و هبطت السلالم في هدوء ، تجاوزت
حجرة الإستقبال إلي الحديقة لأجد أضواء سيارة البوكس
تستقبلني ، و يتقدمها ضابط وسيم يقول في أدب...

-أنسة سمر ، أنت متهمه بالسرقة و التجسس علي ملف

في بيتنا بجنونہ

بعضهم يعتبر النظرة وحدها إهانة لا
تغفر ، و برغم حذرك هذا فإنك علي
يقين بداخلك أنك ستصطدم به يوما ،

...

(1)

كان طارق يفود السيارة و علي وجهه ابتسامة رضا مستغزة...

- في الواقع لا أعلم من منا يجب عليه أن يكون غاضباً.

-أنا بالطبع ، أنا محامية محترمة و بعد موقف كهذا صارت

-نعم ، محامية محترمة تؤجر لصاً لاقتحام مصحة نفسية.

-من الواضح أن حماسة هذا ليس سوي

-بل من الواضح أنك لا تعرفين شيئاً عن قوانين الرجال ، إن

-هذا صحيح و لكن تشددك في فكرة إخفاء الخبر عني كانت كافية كي يشعر بمؤامرة ما ضدي.

-نعم و هذا يجعل منك امرأة مظلومة بينما نحن الرجال.

-تنظر لي باحتقار و كأنني مجرمة متمرسة في المهنة ، حتي بعدما تأكدت من عدم سرقتي لشيء بمكتبها.

- من الجيد أنني جئت لدفع الكفالة بعدما رحلت و إلا صار موقفنا
ماذا تتوقعين من شخص افتمت مكتبه

- لا و لكن تمنيت أن تسألني عن دوافعي علي الأقل قبل أن

-حقاً ؟ و لنفرض أنها سألت بماذا كنت ستجيبين ؟

-كنت سأقول لها أنه الفضول ، إنها طيبة نفسية ولا بد أنها

-أنتِ طيبة حقاً ، إن أغلب الأطباء النفسيون لا يستغلون
قدراتهم التشخيصية إلا لأجل (أكل العيش) ، ماعدا ذلك فإنهم
مواطنون طبيعيون مثلي و مثلك ، ينزعجون لارتفاع أسعار
الطماطم و يتشاجرون بالفاظ بذئبة مع سائقي الميكروباصات
الذين لا يجيدون القيادة.

-هذا

-بل هو أكثر واقعية.

يقول روبرت داووني في فيلم شارلوك هولمز :

(أن تضع نظرية بشأن شخص يبعث بك الحيرة ، خطأ فادح ،

عوضاً عن استعمال النظرية ذاتها لدعم تلك الحقائق)
و بالنسبة للدكتور هدي فالأمر لا يختلف كثيراً ، فلا يمكنك
تكوين نظرية ثابتة بشأنها مهما كلفك الأمر من أخطاء فادحة ،

المتعلقة بشخصيتها المتسلطة آملا أن أحد ما يدعم نظريتي تجاهها...

من الحقيقة لا تتعلق دائما بما تستشعره حواسنا ، لا... لا تسير الأمور بهذه الطرق الحدسية ، أحيانا لا بد أن نقبل بحقائق

وجودها ، و الأمر الذي يحقني حقا أنني مؤمن- -
بالحقائق المتعلقة بالذكورة هدي مهما حاولت تشويها

...

فقط لو كنت أكثر دقة لقلت أنها صورتي الأنثوية ، أو إحدى حالاتي المزاجية العكرة و قد استقلت بحياتها الخاصة في

...

تسألني إذن ما الذي أتى بي إليها في ظل وجود خيارات أخرى ، فأقول لك أن هذا ليس من شأنك ، ل

...

-لديك سبب يجعلك تعتقد أنني أهتم لأمرك.

...

-أنتِ طبيبة نفسية ، لا بد و أنكِ قابلتِ من الأوغاد أمثالي ما

-و ماذا لو لم أكن تلك الطبيبة العاقلة المتسا
-ما أطلبه منك هو ما قد يطلبه أي مريض تحت إشرافك ، و لو
أن لديك مشكلة ما بشأني فهي نابعة منك وحدك.
نظرت لي في كراهية قائلة...

-

- لو كنت واضحاً منذ البداية لقلت بإنهاء عقدي فوراً بدلا من تهديدي بذلك كل حين.

- أرحت ظهري للخلف متفحصاً إياها قائلاً...

- كان وغدا يستحق السلاح حياً.

- لا أفهم لماذا تكرهن سماع الحقيقة ؟

- أية حقيقة ؟ الحقيقة الوحيدة التي أراها هنا أنك مارلت طفلاً

- ربما ، لكنني محق في النهاية.

- شخصي فهو أنت ، في الواقع

- هل رأيت ذلك ؟ إن كان بإمكانك تحديد هوية ثابتة لهذه الأنثى

...

- حسناً ، إليك كيف يسير الأمر...

الجميع لديه عقده البشرية الخاصة ، هل تذكر لسعة قنديل
د أثرها الآن و ستدرك

أنها تذكرك بحالتك النفسية عندما تم لسعك و ربما سببت لك
عقدة ما من البحار، و اعلم جيدا انني لا أريد معرفة أين لسعك

الجميع يفتخرون بامتلاكهم ما يبرر عقدهم ، يمتلك (هاوس)

الإجماعي ، و هذا ما اعتدت التعامل به مع الجميع ، إذا قرأت
موجزا لنشأتك فيمكنني معرفة الأساس الذي ستختار عليه
زوجتك ، و كيف ستربي أبنائك...

- لا يوجد ما أضيفه ، لا يمكنني تغيير دوائك الحالي قبل التاكيد
من الناحية الإجتماعية ، لست طفلاً كي أملي عليك ما يجب

- لا بد أنني نضجت سريعاً في خمسون ثانية ، هل يمكنني الآن

- ما أقصده هو أن تضغط علي نفسك بشأن عدم الإنعزال.

- صدقني أنا أدرك ذلك جيداً و برغم ذلك ما زلت جالسة برفقتك

أيضاً ، و الآن اخرج من هنا.

توجهت نحو الباب فنادتني قائلة...

- إسمع ، لا تربيني وجهك ثانية قبل أن تتقدم اجتماعياً ولو
بخطوة واحدة ، حينها ربما نتناقش بشأن هلاوسك.

صمتت قليلا ثم قالت...

- ندما يتعلق الأمر بسمعتي المهنية.

مططت شفطي متظاهرا بالإقتناع ثم أغلقت الباب خلفي...
ربما كانت تلك السيدة تتسلي بالتهام الأطفال ليلا أمام التلفاز ،
لكنها ولا شك امرأة عملية فيما يتعلق بالأمور الحيوية...

-مشكلتك أنك تصطاد دائما في المياه العكرة ، تحاول
الناس بأنهم أوغاد ، و ربما تكون محقا في بعض الأحيان لكن لا
تتوقع منهم أن يوافقونك الرأي مباشرة و إلا ماكانوا يجاهدون
طيلة حياتهم لإخفاء تلك العيوب التي تجعل منهم أوغاد.

-أنا لا أري الأمر بهذه الصعوبة حقا فإنني أزداد سعادة كلما
نعنتي أحدهم بالوغد.

-هذا أنت ، تتفاخر بكونك وغداً ، سعيد بكونك وغداً ، حريص

لم أكن أعلم ما هو رقم تلك الجلسة...

لكنني صرت أعناد الجلسات الجماعية ، و صارت يدي متشوقة
لنوبة هستيرية أخرى أخرج فيها انفعالي ، لا يهم من يصاب بها
، ما يهم أنها ستكون نقطة خروج حممي البركانية ، صحيح أنها
رغبة عدوانية غير أخلاقية ، لكنها تصبح شرعية تحت ظروف

تأخرت الدكتورة هدي علي غير عاداتها فجلس الجميع يثرثرون
سويا ، لم أكن قد كونت صداقات هاهنا بطبيعة الحال ولا أحد

الأمر يستحق ، لذا لم أبال يوماً بنظرات الإرتياب المرتسمة

...

كانت هذه الضوضاء تناسيني أكثر للتفكير ، في الواقع أجد هذا الجو أكثر ملائمة للقيام بالعمليات العقلية العليا ، فليذهب أنصار الصمت إلي الجحيم...

هكذا كنت مستغرقاً في التفكير بينما أشخبط في المفكرة الصغيرة ، هذه المرة الأولى التي أحضرها معي مثل الجميع ، بيد أنني تنبأت لها بعمر قصير للغاية خاصة و أن يدي دائمة التعرق أذابت أوراقها في يومها الأول...

من الغريب أننا نخرج برسوم تجريدية رائعة أثناء لحظات التفكير

...

-لا تفكر فلها مدير.

المتحمس ، حقاً هو وجه تشعر بالإنزعاج بمجرد النظر إليه و تتمني ضربه دونما سبب واضح ، إنها تلك النوعية من الوجوه التي لا ترتاح لها و تشعر أن صاحبها هو نصاب أو سخيف أو... أعلم كيف أصف هذا لكنه حقاً وجه مزعج لإ... لا ، صدقاً ليس بالأمر الهام ، فقط أشعر بالملل.

رد بينما يشرب من قهوتي في وقاحة...

-شئ طبيعي ، هل لديك أصدقاء علي أية حال ؟

...

-نعم ، لدي الكثير.

-نعم ، هذا واضح كالشمس.

لفتي المصاب بجنون الإضطهاد ،
يخيل إلي أن الأمر لا يتعلق بالإضطهاد ، فمن الواضح أن
الجميع لا يتحمل أسلوبه التلميحي المستفز...

-يمكنك القول أنني إنتقائي للغاية حينما يتعلق الأمر بصداقة

قال بينما يشعل سيجارة برغم تشدد إدارة الساقية فيما يتعلق
بالتدخين...

-هذا...صراع الخنفساء البرازيلية....

.....
قال بينما يمد يده نحو قهوتي ثانية...

-ما كنت لأفعل هذا لو كنت مكانك.

-ذبابة أخطأت مكان هبوطها ، تعلم هذه الأمور.

- ماذا لم تخبرني منذ البداية ، لا حاجة لي بها الآن.
وددت لو أغرس قلمي في رقبتك حين ألقى بالكوب الورقي
في مياه النيل ، وقتها لن يكون الإضطهاد الجماعي أكبر
مشاكله ، في الواقع قد يكون الإضطهاد أبسط ما يواجهه وغد
كهذا...

...
-قل لي ، هل أصابتك نوبات هستيرية من قبل ؟

- () ، أفكر بتسمية الكتاب
() .

- يروق لي هذا الإسم حقاً لكني لا أضمن طبيعة تأثيره علي
مستوي مبيعات الكتاب.

- وهم محاطون بالأوغاد ليل نهار.

- و في المقابل يتهافون علي شراء الروايات الرومانسية
الحمقاء ، أليس كذلك ؟

- ما رأيته في حفلات التوقيع يثبت أن الجميع لا يعاني نفس
مشكلتك مع الرومانسية ، الكل يقرأ الروايات الرومانسية رجالاً

- تقصدين نساء فقط ، إن الرجل الذي يجذب لهذا النوع من
ت فهو حتماً يعاني من اختلال هرموني.

- أهذا هو كل ما تمثله لك العاطفة ؟ هرمونات ؟

- أليست كذلك ؟ أعلم أن هذا يزعجك بالطبع فأنت لست
بالملائكية و الرهافة التي كنتِ تظنينها و من المؤسف أن
طبيعتك البيولوجية هي المحرك لقصة حبك العنيفة المؤثرة.

- هذه نظرة حيوانية للغاية.

- هذه نظرة موضوعية ، أنا لا أؤمن بتلك الطبيعة الإنتقائية للحب

- لسوف يقسم لك كلاً منهما أنه وجد شريك حياته الذي لطالما

أن تجد فتاة جميلة جالسة وحدها...

فقط ، في الواقع أن الجميلة دائماً
تخطف الأضواء بحيث لا يمكنك رؤيتها إلا و هي منشغلة في
شئ ما ، تتحدث مع صديقتها ، مع خطيبها ، تتحدث في
الهاتف...
- طارق أنت لا تسمعني ، لو كانت تعجبك لهذه الدرجة فلتذهب
إليها.
- أنا لا أنظر نحو أحد ، ثانيا أنا لا أسمعك ببساطة

ليست هذه المرة الأولى التي أندم فيها علي تجربة التفاعل
مع الآخرين لكنها المرة الأولى التي تتصادف فيها إحدي
محاولاتي العلاجية مع مناسبة عائلية ما ، لذا ف
تعميم قواعد اللعبة تحت جميع الظروف ، و من الواضح أن
تضعني في اختبارات فجائية...

هادئ المكيف

حالتي سوءاً ، بالطبع كان السيد شريف متمسكاً بي للغاية
بالجمعية...
هكذا بمجرد عودتي للبيت اتصل ابي ليزف لي الخبر النعيس ،
دعم لتجربتي الحمقاء و يباركها بتلك
المناسبة العائلية ، زواج ابنة خالي...

-عذرا لم أسمعك جيدا ، الموسيقى عالية.

هكذا سحبتني من يدي كالسيارة المعطلة نحو أحد المناضد الممثلة بالإبتسامات الإجتماعية اللزجة ، لسوف أقتل نفسي إن أتضح أنهم أقاربي...

يدي مصافحا كل واحد منهم و علي وجهي ابتسامة صفراء ، بالطبع لم أستمع لتعليقات كل منهم بسبب الصوت العالي ، لكنني كنت أهز رأسي ببلاهة في كل الأحوال ، و أدركت من إشارات أيديهم أنهم يتحدثون عنن كان صغيرا منذ (فجأة ، و كأنك خرقت نواميس الكون

الطبيعة كونك أصبحت ابن 19 19 ...
كان وجهاً واحداً مألوفاً لي بين كل تلك الوجوه ، ليس لمامحه النصف غريبة ، و لكن لأنه سبب تسميتي بإسمي هذا...
السيد طارق أبو العينين...

كانت صدمتي الطفولية عندما علمت أنه كان موجودا بالمشفي ي فقاموا بتسميتي علي اسمه برغم أنه لا يمت لنا

الخارج ، و قد كنت أتوقع أن يكون لتسميتي سبباً أكثر أهمية

استأذنت متجها نحو باب القاعة ثم توقفت في ردهة الفندق محاولا التقاط أنفاسي بعد هذه الجرعة الزائدة من الإجتماعيات

تناوله حالياً ، لماذا ؟ لأنه ليس معي بالطبع هل تري سببا أبلغ

يجدر بي الذهاب إذن ، فليس هذا الوقت ولا المكان المناسب
للهاوس ، فقط ذكروني أن أكتب تقريراً مفصلاً عن هذا اليوم ،
يجب أن يقرأ أحدهم هذا كي يقدر موقعي ...

إحدهن لو شئنا الدقة ...

- هذا غريب .

- ما هو الغريب ؟

- لا أتصور أنك حاولت يوماً مقاومة طبيعتك .

-

- لا يهم إن كانت فاشلة أم لا ، المهم أنك-
الخصوع للعلاج أخيراً ، وهذا يعني ...

- بسبب الهاوس و ليس لأنني كنت منزعجاً من طبيعتي ،
إهدئي قليلاً يا سمر .

(2)

في اليوم التالي وصلتني باقة ورود من جلال...

تلك الباقة ، لكن طارق اللعين جعلني أعيش دائماً و كأنني
رئيسة عصابة ، أفكر بعمق في كل شئ أقدم علي فعله حتي
لو بدا نافهاً...

هكذا لم أجد ما أفعله سوي الإتصال بطارق كالعادة لسبب ما لا
...

- نعم و هذا سبب مقنع لإيقاظي في هذا الوقت.

- () .

- حسناً ، إشتري فائزة رخيصة من أقرب محل (2.5) ، املئها
بالمياه و...

- فقط هكذا

- هل هناك مشكلة في هذا ؟

- فعلاً لماذا يرسل لكِ باقة ورود ، أمممم دعينا نفكر قليلاً ، ربما
() .

- ما هذا الهراء لم يحدث شئ من هذا.

- لم يحدث لفظياً و لكن زيارتنا الصباحية الأخيرة كانت تقول ذلك

- هل تظنين حقاً أن كل الرجال تعترف بحبها بإرادتهم الكاملة ؟
الرجال مساكين ، يستقبلون الإشارات الأنثوية التي تبعثونها و
وفقاً لها يدركون أن الوقت قد حان لقول الكلمة اللعينة ، لكن
الحقيقة أن الكلمة الاولي فعلياً هي للنساء و ليس الرجال .

- تباً هل أنا بهذا السوء حقاً ؟

- نعم و أكثر ، و الآن دعيني أنام ، و في المرة القادمة انتقي
مواعيدك جيداً ربما أغير رأيي بشأن النساء .

في الصباح التالي رن هاتفني ...

يخرس طيلة الأربع و عشرون ساعة ولا يختار إلا أوقات نومي

رقم مجهول و هذا ليس بالشئ الغريب ، فلا تحتوي قائمة
الهاتف إلا علي خمسة أو سبعة أسماء علي أقصى تقدير ، و

غالباً يكون أصحاب تلك الأرقام المجهولة غاضبون لسبب ما ، لا أذكر كم شخصاً أحلت حياته جحيماً ببضع كلمات مستغزاة مني و لو حاولت إحصاء عددهم ما انتهيت ، لذا لا يسعني إلا استقبال الشتائم الهاتفية يومياً ()

...

- إسمع ، لو كنت تريد الصراخ بوجهي فالوقت متاح بقية اليوم ،

-

-

- أنا الدكتور هدي.

- الدكتور هدي من ؟

-

-

-حتي إذا أخبرتك أنني أريدك فوراً بمكتبي في الجمعية ؟
أكثر ما أكرهه أن يستطيع أحد قراءة أفكارى ، و هذه المرأة

تعرف جيداً كيف تثير فضولي و تغلق منامي...

فركت عيني في تملل قائلاً بصوت ناعس...

-أريد كوب قهوة بانتظاري ، هذا الكوب الكبير الذي تشربين فيه دائماً لأنه يعجبني ، هذا شرطي لو كنت تريدين أذناً صاغية.
لك هذا.

لطالما كنت أجد الحياة مملة بسبب رتابة الأحداث و سهولة تخمينها ، لكنني الآن لا أستطيع تخمين ما تخبئه هذه الطبيعة

يب نفسي ان يتلاعب
بخصائصك النفسية لمصلحته ، ما زال بإمكانهم خداعي بعد كل
هذه السنوات من الخبرة مع الأطباء النفسيين...

- هل تمزحين ؟ بالطبع أنت مستمتعة بهذا ، فقط أنت تحاولين

- جلال صار أعزب منذ فترة قصيرة لا تسمح بأن تذهبي له
مهرولة و إلا صرت مثالا شاهداً علي ظاهرة انقراض التمتع

- شعور جيد

- هذه المرة أنا لا أشوه شيئاً ، إن هذا السيناريو تكرر في
77643784 فيلم رومانسي من قبل ، الفتى الذي يقع في
الحب فيتخلي عن حبيبته السابقة لأنه اكتشف فجأة أن شعر
أنفها أطول مما ينبغي ثم يذهب لحبيبته الجديدة قائلاً في براءة
(يا إلهي لقد تركتني حبيبتى) فتتظاهر الفتاة بمواساته رغم
أنها تطير فرحاً بداخلها.

لم أتحدث كثيرا هذه المرة...

في الواقع لم أتحدث إطلاقا ، فقط استمعت لما لديها ثم ظلت محدقا نحو عينيها المتفتحتين من السهر في صمت محاولا استيعاب الموقف...

الطفلة نائمة علي الأريكة كما هي بزي المدرسة ، يمكنني استيضاح الأمور شيئا فشيئا ، الطيبة المطلقة لديها طفلة لم تم في سريرها الليلة الماضية لأن أحداً ما قام بطلب أمها للزواج ، هكذا يغلبها النوم بينما تبقي الأم ساهرة تفكر في تفاصيل هذا الرجل ، ربما كانت أي امرأة أخرى لتفكر في وسامته ، جاذبيته ، أسلوب كلامه ، هذه الأشياء التي تخب أبواب النساء ، بينما تبقي أخريات علي الجانب الآخر يتحركن و يبحثن في الملفات عن التفاصيل الحيوية ، تاريخ الرجل السابق ، فقط لأن خبرتهن السابقة مع أحد الأوغاد دفعتهن للتحرك ،

-أعلم أنك آخر من تتوقع أن أستشيريه بشأن شئ كهذا ، لكن

غيرك.

-اممم ، نعم أتفهم سبب دهشتك.

-في الواقع نعم ، لكن كما تعلمين..
حياة اجتماعية سليمة ، و ما أقوله لن يعجبك كثيرا ، ناهينا عن

-يمكنك كسر بعض القواعد عند الضرورة ، أحيانا تجدي وقاحتك

تراجعت بظهري علي المقعد محاولا ايجاد صيغة ملائمة

-أنتِ لا تستحقينه.

- أحمد سامي ليس رجلاً فحسب ، إنه كيان خاص للغاية ،

....

الأسئلة التي أعاقَت تفكيري...

- لماذا طلبكِ للزواج علي أية حال ؟ ليس بينكما سابق معرفة

انتقائياً في هذا الشأن .

- لهذا أنت هنا ، قد يكون انتقائياً و قد لا يكون ، أما أنا فلدي

عندما تربطهم علاقة بوعدٍ مثلك ، و خاصة عندما لا تربطهم

- اليست قلة المعارف وحدها شيئا يثير الريبة بداخلك ؟ أم أن
كلماته أثرت علي قدرتك التحليلية ؟

غطت وجهها بيديها في إنهاكٍ فكري واضح و قالت...
-هلا

أخبرني من يكون هذا الرجل .

-حسنا ، ما أريد قوله هو أنكِ سعيدة الحظ للغاية ، ولا أقول هذا
لأنه صديق أنتي تعرفيني جيداً ، لكنني أتساءل لماذا لم
تسألينه عن سبب اختياره لكِ ؟

-اذكر لي امرأة فعلت ذلك عند طلب يدها للزواج ، ألا تفهم أيها
الغبي ؟ لابد أن أظهر الإرتباك و المفاجأة و أطلب مهلة للتفكير

رفعت حاجباي في استدراك واضح أو جهل واضح بطقوس و

...

-في الواقع إن ظروف لقائي به لم تكن مثالية ، لقد تقابلنا في
المصحة حينما كان مريضا ، كان يهوي الرسم التجريدي و....

-

-الرسم التجريدي ، تعلمين هذه اللوحات التي تشبه سلطة
الطحينة.

-لا ، أقصد هل كان مريضا عقليا ؟

نظرت لها في براءة طفل كسر لتوه زجاج نافذة حجرتها ، ثم

...

-

...

-من الواضح أنه ليس كذلك دائما.

هكذا ادركت انها اتخذت قرارا بداخلها بإنهاء الموضوع و تغيير
دفة الحوار ، في الواقع إن فكرة استصافتي بمكتبها ذكية

الوهمي بالمسئولية نحوها ، و بدأت في ()
عليها ، أما هنا فإنني في أرضها ، المكان الذي تحتفظ
فيه المكانات بمستواها الفعلي ، إنها تذكرني أنه مهما حدث
سأظل مجرد مريضاً تشرف علي علاجه و ستظل هي الطبيبة

...

-اخبرني إذن ماذا يحوي هذا المجلد ؟

-

قالت بينما تتصفح أوراق التقرير في اهتمام مصطنع...
-ماذا ، هل قررت فجأة تقديم التقارير كبقية المجموعة ؟
-في الواقع هذا شئ ارتجالي لا علاقة له بالمجموعة.
توقفت عند أحد السطور قائلة في دهشة...

-تركت عملك كجزء من العلاج ؟ أي سخف هذا.

-عملي هو أك
الخارجي ، و لهذا أحببته ، و لذلك تركته ، لا يمكنني الجزم
بسهولة قرار الإستقالة ، لكن العلاج هو العلاج في النهاية.
يسرني أنك بدأت تفكر بإيجابية ، إن تقديم التضحيات مؤشر
رائع لم اتوقع ظهوره لديك بهذه السرعة.

...

-و لكن تقريرك في النهاية لا يعبر عن الواقع ، إنه يعبر عن
نظرتك المرضية الخاصة التي رأيت بها الناس حولك.

-

-هذا يتوقف علي خبرتك السابقة في التعامل مع الناس ، و

و لا تؤهلك لدخول الحياة الإجتماعية علي الوجه الأكمل ، هل
تري كيف وصفت أقربائك في حفل الزفاف ؟

-و هل قلت شيئا وهميا ؟

...

-حسنا ، إنس الموضوع ، فقط لو أردت التخلص من الهلوس و
الأعراض الأخرى عليك أولا تجنب العزلة.

... قامت من مقعدها معلنة نهاية الجلسة
- بعد ذلك يمكننا مناقشة نظرتك للآخرين.

نهضت من مقعدي بصعوبة ، كنت أممي نفسي بنوم هادئ
حتي العصر بينما كانت تمنني نفسها بموت هادئ حتي تقوم

...
اتجهت نحو الباب مغادراً حين نادتنني كعادتها ، لا بد من هذه
الوقفه الدرامية الأخيرة...

- حالتني الآن لا تسمح بتصنع الخجل و الرسمية ،
ستقوم اليوم بإحضار تلك الفتاة من المدرسة ،
مكتبي الواحدة ظهرا ، أريد أن أحظي ببضع ساعات من النوم.
لم أقل شيئا و أغلقت الباب خلفي في صمت...

أيقنت باستحالة العودة للنوم بعد جلسة كهذه ، إن أكثر ما
هو الأسئلة الفضولية ، و لقد كانت رأسي مزدحمة
بالآلاف منها ، و لكن كل شيء بأوان...

- لم تخبرني من قبل عن علاقتك بالدكتورة هدي.

- و هل تسمين هذه علاقة ؟ لقد كانت جلسة ()

- إذن أفترض أن هناك ما حدث بعد ذلك لأنهما مخطوبان حالياً.

- ف إتخذت الأمور مساراً عكسياً بعد ذلك ، لم أكن قد
خططت لهذا.

- غريب ، لم يبد عليك في حفل الخطوبة أنك كنت منزعجاً.

-
أعرف جيداً من هي الدكتورة هدي ، و أعلم جيداً كيف ستسير
الحياة بينهما ، هذا أفضل من تأتي امرأة لا أعرف عنها شيئاً

- هذا صحيح ، لا توجد امرأة تستحق رجل كهذا.

- أنت تضخم من قيمة هذا الرجل حقاً.

- كل شخص يري الأشياء من زاويته الخاصة ، و زاويتي تقول أن
هذا الرجل أفضل من أن يتزوج ، لأن نصف النساء هم حالات
متقدمة للغاية من النرجسية و جنون العظمة ، يظنون أن أزهار
الأوركيد لا تنبت محل خطوات أقدامهم لا لشيء إلا لأنها خجلة
منهن.

...

ارج البيت ، إن من يسمع أم
كلثوم في وقت كهذا لابد و أن لديه خلافاً في ساعته البيولوجية
، حقا يراودني حنين جارف لصوت فيروز بذلك المقهي بحلوان ،
مازلت أذكر آخر جلساتي به حين رحلت عنا أوديت...

لم أثق يوماً بهذا المغفل ، إن هيئته وحدها

الناس لا تتغير أبدا ، و لهذا ستظل ذاتي عدوي الأول حتي أموت ، حينها لن تكون أكثر من فكرة مجردة داخل عقول الآخرين ، و سنعيش أسوأ فتراتنا من بعدي ، لأنها لن تجد عقلا يذكر لي خيرا ، و لن تجد قلبا يتحرق شوقا لي...

أنها فرصة لا تعوض إذ أنني لن أجن أكثر من ذلك في جميع شعرت و كأنها المرة الأولى التي أري فيها وجهي ، و كلما

...

...

إنني وحيد للغاية بعد رحيل أوديت...

كانت فكرة أنها موجودة دائما
فإنني اشعر بفراغ هائل ، قطعة البازل المفقودة التي قد لا
تحل محلها أية قطعة أخرى...

لم تكن هناك اليوم جلسة من أي نوع ، لا جماعية ولا خاصة ،
لكن ذلك الفراغ المتخلف عن تركي للعمل جعلني أذهب
للجمعية النفسية بلا ضرورة ل ما سألت عنه حين
وصولي هو الدكتورة هدي...

هكذا بعد دقائق في المقعد الأخير بحجرة
الإختبارات النفسية
كان من الواضح أنها جلستهم الأخيرة في برنامج العلاج ،
كانت الدكتورة هدي ترمقني من أن لآخر بنظرات نارية مفادها
أنها مازالت تسيطر علي الأمور رغم وجود سر مشترك بيننا...

-إنها شعرة بين المتفلسف و المعقد نفسيا.. نعم أيها السادة
هذه الحقيقة التي لا بد أن تدركونها قبل أن تغادروا هذا المكان .
صمتت قليلا ثم نظرت نحوي قائلة بذات الطريقة المسرحية...
-يمتلك أصحاب العقد النفسية مبرراتهم الخاصة بل و المقنعة
إلي حد كبير ، فلو سألت شخصا عن السر وراء عقده من
النساء ستجد لديه أجوبة مقنعة للغاية ، يسردها لك بطريقة
فلسفية رائعة حقا ، و لكنها خاطئة تماما للأسف .

أعادت توجيه بصرها

...

-في جميع الحالات نحن نؤمن بعبارة الوقاية خير من العلاج ، و
ما أفصده بالوقاية هاهنا أنه لا بد لكل منكم من تحصين قلعه
النفسية و الفكرية جيدا ، لا بد ان تتخذوا موقفا محددنا من كل
شئ ولا تخضعوا عقولكم لكل ما يمر بها ، إنها الحصانة الفكرية
فلترة الأفكار ، سموها كما تريدون ، فقط حاولوا ابقاء نفوسكم
نظيفة قدر الإمكان ، و تذكروا أن أسوأ الأمراض النفسية قد
تكمن في البشر العاديون ، المثقلون بالهموم و المشاكل و
المتعطشون لإطلاق حممهم المأساوية داخل نفوسكم.
نهضت من مقعدي شاعرا بالسخافة تاركا إياها
مسرحيتها

نهاية الر

عمله تحديدا هل أهرب أم أصمد و أوضح له حقيقة الأمر ،
لكنني قدرت أن الهروب سيكون سخيفا للغاية...

هكذا لم أنتظر أن يبدأ الحديث و اطلقت لساني مع ...

-قبل أن تتصرف تصرفا غبيا ، لا بد أن تدرك طبيعة موقعي .

-لم يكن هذا ذنبك .

- توقف لساني للحظة مندهشا ثم قلت في اندهاش أكبر...

- هل تعلم شيئا ؟ لقد أنقذتها من عذاب محتوم مع رجل بانس ،

- انا لا أفهم شيئا ، ألن تتمسك بها علي الأقل

- لا أظن ذلك ، إن الطيبة التي تصنف التاريخ النفسي كأحد عيوب الرجل غير جديرة بمهنتها.

...

-علي كل حال لقد فعلت الشئ الصحيح ، أراك لاحقا.

...

عقدته الخاصة ، يخيل إلي أنها (حجة البليد) من لا يستطيع التغلب علي مشكلة ما يحاول إقناع نفسه بمبررات خاطئة ، فقط ليظل محتفظا بثقته في قدرته علي سنعقلهم الفلسفة يوما ما...

هكذا ما إن خرجت من بوابة الجمعية حتي اعترضني أحمد سامي بسيارته قائلاً في حماس غريب...

- ليس قبل أن أتأكد أنك لن تأخذني لمنزلك من أجل تعذيبي ، إن الرجال الهادئون مثلك دائماً ما تتضح في النهاية ميولهم الإجرامية.

...
-
حقاً ؟ هذا سبب يدعوني للشك أكثر ، هل تمزح ؟ لقد دمرت
زواجك المستقبلي منذ فترة قصيرة.

-هل تذكر تلك الأنسة التي صدمتنا بسيارتها ؟

-رائع سنذهب لقتلها سوياً ؟ الآن أفهم ماذا تقصد
() .

-سنذهب لاختبار قيادة و ستحصل علي رخصة
القادمة ، و ستذهب للعمل كسائق لديها.

-ماذا ؟ إنتظر دعني أأخمن ، لم تنجح علاقتك بالدكتورة هدي
بسببي فستقدمني أنا كهدية زواج لامرأة أخرى.

-إنها أكبر مني بثلاثة سنوات.

-هذا ليس سبباً مقنعاً.

-ستعطيك ألفاً و نصف في الشهر.

...

- ن هذا سبب مقنع .

(3)

في مساء اليوم التالي كنت اغسل الصحون حين جاء طارق
يصرخ شاكياً من ارتفاع حرارة الجو...

-
نعم أعلم هذا.

- أنتِ كاذبة ، تجلسين هنا في انتعاش المكيف ولا فكرة لديك
عن جهنم المستعرة بالخارج.

-
قلت متوجهة نحو المطبخ...

- حقاً ؟ و كيف يبدو من يتابعون الطقس باستمرار ؟

- متعرقين دائماً مثلي و ملابسهم مبتلة.

- أنت تتعرق صيفاً وشتاء هذه أملاح زائدة.

- هل تعلم كم درجة الحرارة الآن ؟ إنها 25

- هل رأيت ؟ درجة الحرارة هي مجرد هراء في الوقت الحالي ،
السر يكمن في درجة الرطوبة ، إنها 89%
للغابات الإستوائية.

- كيف تعلمين كل هذا

- أنا صموت بعض الشئ خاصة مع الرجال المنهارين ، لسبب
بسيط هو أنني أمقت الشكوي و أمقت الشاكين.

- جلال يعمل في الأرصاد الجوية ، و لم يعد منهاراً علي كل حال
، لقد دعاني الليلة لا

- هذا يفسر أنك في مزاج جيد الليلة.

- أليس هذا من حقي ؟

- إنه حقنا جميعاً لكنه أحياناً يصبح عادة في المرء أن يكون في
مزاج سيئ حتي في أفضل الظروف.

- أخشي حقاً أنني صرت كذلك ، أعلم أنه تفسير غبي لكن
المشاكل أحياناً تمنح المرء أملاً يحيا بانتظاره ، أمل لا يصل إليه

- لا توجد مشاكل في حياتك يا طارق ، لا يوجد شئ من

- هل تظنين حقاً أن جلال سيمنحك سبباً للسعادة ؟ أو شيئاً
تعيشين بانتظار حدوثه ؟

قلت بينما أجفف يدي في غيظ...

- يمكنك فقط أن تكون سعيداً من أجلي.

...

- لا أعلم ، ربما لا أريد الشعور بأنني البائس الوحيد.

:

جلسة جماعية أخرى...

و لكن داخل مقر الجمعية هذه المرة ، فقد صار دخول الساقية صعبا بعد تمكين الدخول بالعضويات...

لتي حضرتها قبل أيام لإحدي المجموعات التي انهدت برنامج العلاج ، و بقليل من الذكاء استطعت التنبؤ بعدد الجلسات القليلة المتبقية في برنامج العلاج لمجموعتنا ، هذه الجمعية لا تهتم بتقدم أطوار العلاج لكل مريض قدر ما تهتم بإنجاز مهمة برنامج العلاج كاملة في مواعيدها ، أما الشفاء فيعد أحد المتغيرات الغير مضمونة ، لا تنس أن العلاج هاهنا مجاني ، دعك من أن المرضي ليسوا بمرضي من الأساس في نظر المجتمع لكنهم كذلك في نظر الجمعية فحسب...

كانت برفقتنا فناة لم ألحظها مسبقا ، أو ربما كانت موجودة و لم يتها لم تشارك...

-قد تكون طاقتي الحيوية زائدة عن الحد بحيث لا يمكنني تنظيمها جيدا ، لا استطيع السيطرة علي ذلك في أغلب الأحوال ، و هذا يسبب لي المشاكل مع اصدقائي و معارفي ، مثلا حينما يعجبني شئ ما أتمني لو كانت الدنيا كلها عبارة عن الموسيقى في بداية (نسم علينا

الخوا) ، عطر ميلينا

كتم إعجابي بكل هذه الأشياء ، و ما أستغربته ان صديقتي التي تضع ذلك العطر قالت أنني مزعجة و مملة ، صحيح أنها لم تخبرني بذلك لكن إحدي صديقاتي سمعتها ، ألهذه الدرجة

بالرغم من أنها المرة ال675343347 التي تروي فيها تفاصيل مشكلتها بألف شكل و بمضمون واحد ، إلا أنني تعجبت من تساؤلها الأخير ، إن من يسأل سؤالا كهذا لابد و أن يعرف إجابته مسبقا ، هذه الفتاة تدرك مشكلتها حق الإدراك ، المدخن الذي لتدخين أكثر من اسم زوجته و برغم ذلك غير قادر

...

-أمي دائما تقول أنني كنت فضولية في طفولتي ، و كاد هذا الفضول الزائد يودي بحياتي أكثر من مرة.

حقا هي المرة الأولى التي أواجه فيها متحمساً يدرك مشكلته ، و لكن برغم استمتاعه بفيلم (هذا ، إلا أن معظم تركيزي كان موجهاً نحو الطبيعة المتظاهرة بالإنشغال بتدوين ملاحظاتها عن حالة التحمس الزائد هذه ، هل تراجع نفسها ؟ هل تشعر بنوع من تأنيب الضمير تجاه أحمد سامي ؟ فقط لو تعلم تلك الحمقاء أي كنز أضاعته من يدها ، فليقطع إصبع قدمي الصغير إن لم تكن منهمكة برسم بطوط أو ميكي داخل مفكرتها اللامعة كعادة أمثالها من الأوغاد...

جيدا..ربما أكثر منك ، فيما يتعلق بعلاج المشكلة ذاتها هل

-كما تشائين ، أنتِ الطبيبة في النهاية.

و حينما يبدأ الحديث عن العلاج يتعطل فضولي تماما ، في الواقع أحد الحديث عن الأمراض ذاتها أكثر إثارة و تسلية من الحديث عن علاجها ، و لسبب كهذا جلست بجانب النافذة كنوع من التسلية الوقتية تحسبا لحدوث الملل المعتاد ...

إن تجربة مراقبة المارة بالشارع ليست مملة إلي هذا الحد ، فلمثل هذا اخترع البشر النوافذ و الشرفات ، و هذا و إن دل وإنما يدل علي أن هواية مراقبة المارة قديمة قدم المعمار البشري ، في الواقع لا يختلف هذا كثيرا عن هواية مراقبة الطيور و دراسة السلوك الحيواني عن كذب ، و لا أتوقع من أحد أن يعتبر هذا التشبيه إهانة للجنس البشري...

كان هناك طفلان يتشاجران لسبب ما لا أعلمه ، و لم أهتم بذلك كثيرا فليس ذاك المشهد إلا تاريخ يعيد نفسه بالنسبة لكل منا ، لكن الأمر يختلف حينما تتدخل النظرة الفلسفية اللعينة ، أو النظرة العلم نفسية لمزيد من الدقة...

أهمية كبري و دورا حساسا للغرائز الجنسية في تكوين شخصية الطفل ، فإنني لم أقتنع يوما بتلك

فإن الحديث عن الغرائز الجنسية بتزامن الحديث عن الأطفال ببرائتهم يعد شيئا ملفتا و مثيرا للجدل مهما كانت درجة علميته و منطقيته...

إن براءة الأطفال في رأيي ليست في عدم عدوانيتهم ، بل في عدم قدرتهم علي تنظيم المادة الخام للعدوان بداخلهم في

صورة أكثر اجتماعية و نضجاً ، الأطفال يكرهون ، يغفلون و يحقدون ، في سبيل تحقيق مصالحهم الطفولية ليس إلا ، لكنهم لا يخفون تلك المشاعر أو حتي ينظمونها بل يخرجونها علي الفور دون تفكير...

أفقت من خواطري المتداخلة لأجد أحد الطفلين يبكي متألماً بينما الآخر يجري بعيداً ، إن عالم الأطفال قاس للغاية ، بينما نحن البالغين نراه من خلف الزجاج عالم حالم ملئ بالورود...

-الجلسة انتهت منذ خمس دقائق ، هل لديك ما تخبرني به أم

نهضت بصعوبة قائلاً...

-في الواقع يصعب شرح هذا ، ليس جلوسي بجانب النافذة مجرد رغبة طفولية ، إنه اسلوب حياة لو كنت تفهمين قصدي .

ني نظرة نحو مفكرتها المفتوحة بينما مطت هي شفيتها في غير اهتمام لقولي و قالت...

-هل تعلم شيئاً ؟ سأكون ممتنة لك حقاً لو حافظت علي المسافة بيننا ، يمكنك اعتبار مناقشتنا بشأن أحمد سامي نوعاً

-و أنتِ تقولين هذا لأن...

-لأنني أدرك جيداً كنه الأسئلة التي سألتها لإبنتي حين أخذتها من المدرسة ، لابد أنك سألتها عن (هل تبكي الماما كثيراً في غرفتها مؤخراً؟) (هل بدأت الماما تصبح لطيفة معك مؤخراً؟)

-لا يمكنني أخذ كلام طفلة بالإعتبار ، إنها حتي لم تلتزم بوعدھا بأسألتي التي سألتھا.

-في الواقع هي لم تخبرني شيئاً ، لكن كيس الحلوي بيدها

- اتجهت نحو الباب شاعرا بمزيج من السخرية و خيبة الأمل ، فلم يكن ميكي مرسوما في مفكرتها كما توقعت ، ولا حتي بطوط...
كان تويتي هذه المرة...

-متي ستذكرني في كل هذا؟

-حين صدمت سيارة أحمد سامي؟ و ماذا بعد ذلك؟

-لماذا؟ هل بداخلك ما تخفيه بشأني؟

-ليس الآن ، و لكن فيما مضى كان انطباعي يختلف.

-إذن من الجيد أننا قررنا كتابة تلك

ربما أقول أنها كاتبة روايات في الثلاثينات من عمرها ، و هي
ككل النساء في ذلك الميدان تعاني من ()
أحب أن أسميها ، إذ أنها حين تحاول كتابة رواية بوليسية أو
اجتماعية تجد نفسها في مند
أخري تسلت من بين السطور...

غير متزوجة بالطبع ، و من الصعب عموما أن أتصور وجود كاتبة
روايات متزوجة ، علي الأقل في مجتمع كهذا...

ولا حتي محامية ،

هذا منذ رأيتها للمرة الأولى ، في الواقع كنت أظني الوحيد
الذي يري تلك الحقيقة ، عيناها النصف مفتوحان كأنما تعاني
من ضعف في الشكية ، صوتها الخفيض ، تلك النظارة الرفيعة
و طريقة كلامها السريعة المتعثرة و تعابير وجهها التي تتم عن
جهل عام بالحياة ذاتها ثم إنها لا تدخن ، تخيل هذا ، كيف
هذا

(معلم قهوة) لا يشرب الأرجيلة...

أما عن علاقتي بها فهي لا تزيد عن علاقة كاتبة
سائقها الخاص ، لذا يمكنك بشكل ما تبين كنه العلاقة
التي بيننا ، و التي هي إلي حد ما تشبه.....
...
سائقها الخاص

الخلاصة أنه رغم أننا لم نتحدث كثيراً إلا أنني من خلال مراقبتي
لها في مرآة السيارة استطعت التقاط بعضاً من ملامح
شخصيتها ، و أدركت أنني إلي حد ما كنت مخطئاً حين أسرعت

بالحكم عليها في البداية ، إن هذه المرأة ضعيفة الشخصية
للغاية لكنها تحاول أحياناً تغليف نفسها بشئ من القوة...

- إذن ، ماذا تؤلفين ؟

رفعت عينيها نحو مرآة السيارة قائلة...

- أعني ما نوع الروايات التي تقومين بتأليفها ؟

-رواية واحدة فقط التي قمت بتأليفها ، رومانسية ، في الواقع
يبالغ فأنا في الأساس محامية ولا يشغل
التأليف من حياتي حيزاً كبيراً.

-امممم رومانسية ، هذا جيد.

-هل تحب الروايات الرومانسية ؟

-هل تمزحين ؟ أنا مراهق ، لا يوجد مراهق في العالم لا يحب
الروايات الرومانسية.

-..أعذريني لسؤالي هذا ، كيف يمكن لامرأة تتعامل مع

....

-نعم نعم أن تكتب قصصاً رومانسية خالصة ، أفهمك ، في
الواقع أحب تسمية هذا بالهروب ، أنا أهرب من كل تلك الأشياء
باختلاق بعض المواقف الرومانسية التي لطالما تمنيت أن
أعيشها يوماً ، أو لمزيد من الدقة أعيش علي أمل أن أحظي بها
يوماً ، و تدريجياً تصبح لدي قصة أنشرها.

-أها ، رائع.

-
حياتك.

-أنا أدرس في كلية آداب قسم علم نفس ، بجامعة حلوان ،
أعيش وحيداً في منزل شاسع أكبر من أن يعيش

-العائلة بأكملها كانت بهذا المنزل
كنا نعيش في شقة واحدة من البيت

تشطيبها بعد (بيت عيلة)
(العيلة)

علي كل فقد ذهب الجميع الآن للإسكندرية ، و ظلت أنا
هنا من أجل الدراسة علي افتراض أنني سألحق بهم بعد

-كيف علمت ؟

-بيدو هذا واضحاً للغاية في نبرة صوتك.

-إن الوقت مبكر للغاية علي التفكير بهذا الأمر ، أنا أحب ترك
الأمر لوقتها فلا أحد يعلم ما سيحدث غداً.

-فقط لو كنت أعلم حينها أي كائن هذا الذي يقود سيارتي
لرميتك علي قارعة الطريق و دهستك بالسيارة تسع مرات
ذهاباً و إياباً حتي تلتصق بالأسفلت إتصاقاً.

...

-شكراً علي هذه المشاعر النبيلة ، متي ستذهبن إلي موعد

-و من قال أنني سأذهب ؟

قطب جبينه لثوان مفكراً ثم ابتسم مستدركاً و قال...

-إذن أنت في مزاج جيد لأنه أرسل دعوة للعشاء فحسب لكنك لن تستجيبين لها.

-بالضبط ، لا تريد أن أكون مثالا شاهداً علي انقراض ظاهر التمتع الأنثوي أليس كذلك ؟

...

-هذه هي تلميذتي.

الساعة الرابعة عصرا في مكتب الدكتورة هدي بالجمعية...

إلي حد ما صار هذا المكتب مألوفاً بالكنيسة ، في الواقع لا يختلف الأطباء النفسيون عن القساوسة كثيرا ، فإن الراحة النفسية مكفولة في الحاليتين...

-أغلب أوراقك السابقة موقعة بإسم الدكتورة إلتزام ، و هي علي حد علمي تدير مستشفى للأمراض النفسية و العصبية و لديها أسلوب ناجح في

- تعرفينها أكثر مني.

قالت بينما تعيد وضع الأوراق داخل الملف...

- قابلتها مرة في مؤتمر طبي ، وليست بالشخصية التي تستحق الحديث معها.

رفعت حاجبائي في اندهاش قائلاً...

- غريب هذا ، لقد تصورت أن تنسجما معا للغاية.

- لماذا تركتها

- لأنها لا تختلف كثيراً عن تعالجهم.

- حسنا ، دعني أعيد صياغة سؤالتي.. لماذا تركتها و تابعت

...

- لا تتقاضين خمسون جنيها كل جلسة.

- هذا لأنك لست في عيادتي ، عادة أتقاضى مئة و عشرون عن

- هذا نصب علني.

دفت وجهها بين كفيها قائلة في نفا ...

- ألم تنته هلاوسك بعد ؟ ما الذي جاء بك ؟

-

-

نظرت لها في صمت بضع لحظات ثم

- لا أقصد الإهانة حقا ، لكن.. هل تعرفين شيئا عن المشاعر

ليس كل ما هو سيئ ...

و علي الأصح لا تنطبق قاعدة المثالية دائماً
الطبيعيون ، و إن أكبر الدلائل علي ذلك أنك تتعاطف مع اللص و
تتمني له النجاح في عمليات السرقة فقط لمجرد أنه ذكي أو
لمجرد أنه بطل الفيلم ، إن أي م فاشل يستطيع توجيه
عواطف الجمهور كيفما شاء...

قبل أن تسألني عن ذلك المكان لست من هواة المقاهي
النيلية ، لكنها تلك المحامية
بقواعدها و علي أرضها ، كما انني مجبر علي شرب هذا
بير ، من أين يأتون بالبرتقال في هذا الوقت من السنة؟؟؟
أشعر أنني داخل فيلم مصري بالغ القدم...

- (رانيا) تحبني بجنون و أنا تركتها.

لا أفهم لماذا تغفر فاهها مدة أطول من اللازم عندما تندهش ،
الحشرات أم أنها فخورة ببلعومها بعض الشيء

-ألا تشعر حتي بالذنب تجاهها ؟

-بالطبع أشعر ، و لو كان بإمكانني العودة لها و الاعتذار لفعلت.

نظرت لها قائلا في تأثر...

-لأنها ماتت.

فغرت فاهها أكثر ثم وضعت يديها عليه في مفاجأة و إندهاش ،
أو أنها

-لا عليكِ

-لا تقل هذا من فضلك أنا سعيدة لأنك تصارحني بهذا ، ثم إن

حقا لا يوجد ما هو أكثر سهولة من التلاعب بمشاعر أنثي
ة لا يوجد ما هو أكثر سهولة من التلاعب بمشاعر سمر...

قصة ما ، إنها تلك الصفقة النفسية المعهودة ، صارحني
بماضيك السيئ فأصارك بما هو أسوء ، و كلما كان ماضيك
ليس

أكثر منك سوءا بل هو ملاك مقارنة بك...

فأقول لك إن هذا ليس من شأنك...

...

-من هي أوديت علي أية حال ؟

نظرت لها في غباء محاولاً استيعاب السؤال ، هل حقا لم أذكر
للدكتورة هدي شيئا عن أوديت من قبل ؟

-من هي أوديت ؟

-كيف لا تعرفين أوديت ؟

-أهي كاتبة أخرى حاولت خداعها ؟

ظلمت ناظرا لها في غباء بضع لحظات دونما رد ، لوهلة ظننت
العالم كله يعرف من هي أوديت ، إنه تليل آلي كثيرا ما أص
به فأطن الكون لايد و أن يتشخ بالسواد و الغيوم لمجرد أنني
حزين ، و أشعر بوقاحة الآخرين لأنهم يتسمون بينما أنا غارق
...

أنفسهم محور الكون ، لكن من
الواضح أنني أمارس هذه العادة دونما أشعر...

يقال أنني مستمع جيد للغاي ...

و الحقيقة أنني لا أستمع لمجرد الإستماع ، فقط ينتابني

شخصيا ، فليست كل رغباتنا مبررة دائما...

-حقا لا أعرف لماذا أذكر لك كل هذه الأشياء رغم أننا تقابلنا
بالأمس فحسب ، لم أقص هذه الأسرار حتي لأقرب الناس لي.

نعم نعم ، أعرف هذه العبارة جيدا ، في الواقع لا أتذكر أحدا
يه ، لسبب بسيط هو أن هذه
الأسرار غالبا ما يتضح أنها تخص هؤلاء الـ () أنفسهم
، و من الصعب مشاركتها إلا مع أحد الغرباء...

رشفت رشفة أخرى بالشاليمو فتسائلت في داخلي كيف
ينته كوبها حتي الآن ؟ لو كانت تمارس التأليف بهذه السرعة
...

-حسنا ، أعتقد أننا تعارفنا بما يكفي للتحدث عن تفاصيل

تفاصيل العمل...

نعم تفاصيل العمل...

و ما أدراك ما تفاصيل العمل...

توقفت عن الكتابة و نظرت نحو طارق في غيظ...

-ماذا ؟ بعد كل هذا تسأل ماذا ؟ لا أصدق حقاً أنك قمت بسرد
كيفية خداعك لي إلي هذه المرأة.

-وما المشكلة ؟ إنها طبيبة نفسية و مهمتها هي الحفاظ علي

-المرضي و ليس الحمقى ، أنا معرضة لمقابلتها في أي وقت
ولا أعرف كيف سأحتفظ باحترامي لنفسي أمامها ، لا
سأفسر كل نظرة من نظراتها لي بتفسير أحرق.

-أذكر أنني قبل بداية كل هذا قدمت لك تحذيراً بشأن ذلك ،
هناك المزيد من الأمور التي قد تجدونها غير متوقعة و صادمة.

...

- تفكيري و تسخر منها ، من أجل أن تثبت لنفسك أنني...

-كفي سخفاً لم أخدعك من أجل هذا.

- لا أعلم ، حقاً لا أعلم ، لماذا لا بد دائماً أن يكون هناك سبب

- إذن ربما هناك سبب لا أعلمه أنا نفسي ، ربما...
حيداً للغاية بعد ذهاب أوديت ، ربما أردت فقط الشعور

- و كأنك كنت تحبها ، أنت تحب فكرة وجودها متاحة دائماً ليس
أكثر ، و حين صارت تلك الفكرة بعيدة المنال بدأت تشعر

-أياً كان ، لم يكن هدفي مطلقاً الوصول لعقلك ، ربما أنت المر
الوحيدة التي لم أبالغ في فضولي بشأن طريقة تفكيرها.

-سيستدعي قول هذا أن أكون لطيفاً ، و أنا في الواقع لست

....

- فقط قم بتعطيل ذلك الوغد بداخلك لخمس ثوان فقط من

هنا أخذ نفساً عميقاً و احمرت أذناه و بدأت يداه في التعرق ثم

...

-لأنك بسيطة للغاية ، لست معقدة كالجميع ، و أنا في الواقع لا أفهم كيف لمحامية أن تكون بهذه البراءة.

...

-في الواقع كان هذا ألطف شئ سمعته في حياتي.

رفع عينه نحوي بصعوبة قائلاً...

-حقاً؟ ظننت أن جلال يخبرك بهذا طوال الوقت ، ظننت هذا أحد

-

...

-.. سأذهب للحمام لحظة.

نهض من مقعده متوجهاً نحو الحمام فناديته قائلة...

-هل تعلم ماذا يسمون تلك الأعراض التي تمر بها حين تحاول أن تكون لطيفاً؟

...

-

-

(4)

كانت هذه جلستنا الجماعية الأخيرة...

و إلي حد ما كنت أعلم ما سيقال ، و برغم ذلك كانت انفعالاتي مواكبة لتلك اللحظات الأخيرة المميزة ، صحيح أن الأمر يشبه فيلم تشاهده للمرة الثانية ، لكن لمحة الترقب تظل مرتسمة علي وجهك لدي ظهور الوحش...

إن التعبير الإنفعالي ليس إلا ذبابة لزجة مراوغة يصعب التخلص منها أو حتي إمساكها ، و من يخطط لانفعالاته مسبقاً فهو في مشكلة حقاً...

-سيتسلم كل منكم الآن نسخة من صفحته النفسية أو البروفيل النفسي الخاص به ، تحتوي هذه الصفحة علي درجتكم في الاختبارات المعرفية التي أجريناها معكم ، و للجمعية الحق في الإحتفاظ بنسخ منها لإجراء إحصائياتها علي المدى البعيد.

كانت الدكتورة هدي تتحدث بلا انقطاع و كأنها متحمسة لرحيلنا تلك الأثناء أيضاً كان هاتفي يهتز بلا انقطاع ، و قد كنت

...

-لم أسمع الهاتف.

ي لا تكون صدمتي عنيفة تجاه الأمور
المجهولة ، لكن تفاصيل العمل لدي تلك الكاتبة فاقت كل

...

قالت سمر بينما ترشف من كوبها الذي لا ينتهي أبداً...

أنا متيقنة من أنك

رشفت بقايا العصير في كوبي مصدرا ذلك الصوت الغاضح...

- لا يهمني ذلك مادمت سأتقاضي أجلي.

رفعت عيناها نحوي قائلة...

- لا تبدو لي شخصا يهتم بالماديات.

- قد تكون لي بعض الإتجاهات الأدبية ، لكن الأمر يختلف حين
(أكل العيش).

- لا أنصحك بمناقشة الماديات قبل معرفة تفاصيل

- لست أري ضرورة لذلك ، هل يوجد للتاييست وظائف أخرى غير

- طوبلة ، ناهيك عن أنني أفقد التركيز أثناء الكتابة ذاتها ، حين أحاول صياغة إحدى الأفكار

- و لماذا لا تحتفظين بها كنقاط رئيسية في مفكرة صغيرة ؟

- هذا هو ما أتحدث عنه ، لا يتعلق الأمر بالأفكار ذاتها بل بأسلوب الصياغة ، لن تجذب الأحداث القارئ ما لم يجدها مصاغة بأسلوب جذاب ، و هنا تصيح الأفكار هي الأسلوب ذاته ، و هنا تكمن مشكلة ذاكرتي اللعينة في الإحتفاظ بأكثر من صيغة بوقت واحد.

...

- هل تفهمني ؟

- نعم نعم ، فقط أحاول التنبؤ بتفاصيل العمل بناء علي مشكلتك ، و أخشي أنها ستكون متعبة حقا.

- أعدك أن يكون أجرك مرضيا ، و لك نسبة من أرباح كل كتاب فقط لو كان أداءك مرضيا لي.

- سيقوم بقيادة السيارة بعد ذلك ؟

- فلتذهب السيارة إلي الجحيم سأركنها أسفل المنزل حتي تنتهي من كتابة الرواية.

- حسنا ، أخبريني كيف يسير الأمر إذن ؟

-
- أرحو ألا نكون قد أزعجناك ، أراك منهمكاً في مكالمة هاتفية .
- الواقع نعم ، سيكون من الأفضل إنهاء الجلسة سريعاً
بدون طقوس وداعك هذا.

علي الجانب الآخر كانت سمر تسرد مدخل روايتها بطريقة

...

- هل تعلم شيئاً ؟ لست مقتنعة بهذه البداية ، إلغ هذا و انتظر

الإستمرار في هذا العمل اللعين ...

توقفت عن الكتابة و نظرت لطارق في غيظ قائلة ...

- حتي الآن لا تفعل شيئاً سوي إظهاره في صورة غيبة .

- لقد كانت هذه وجهة نظري حقاً حينها ، إن متطلباتك كانت في
غاية الإزعاج و أسبابك كانت غير معقولة .

-

-

-

-

- هل جننت ؟ هل تدرك ما فعلته للتو ؟

هنا فقط انتهت لها ، أعرف تلك النبرة جيداً ، من الواضح أنني
تورطت مع إحدى مخابيل جمعيات حقوق ()
لكل شئ حقوق هذه الأيام فما الذي يمنع ظهور جمعية)
الباعوض الدولية) ؟ في الواقع لا أستبعد أمراً كهذا في هذا
قطار العمر فاتني دون إنشاء جمعية ()...

- إسمعيني جيداً ، حقا أقدر مشاعرك النبيلة تجاه تلك الباعوضة
، و لكن تأكدي أنها الآن في مكان أفضل ، حيث يلهو الباعوض

- هل أنت مخبول أم تتظاهر بذلك ؟ أتحدث عن الكتاب الذي
قتلتها به للتو ، هل تدرك ما قيمته ؟

تنفست الصعداء و نظر للكتاب في غير مبالاة ، كان كتابا ذو
غلاف سميك مبطن بالورق المقوي و مكسو بقماش برتقالي
مهترئ ، كان يذكرني إلي حد كبير بكتب سحر القرون
الوسطى التي أراها في أفلام الرعب الأمريكية ، بصعوبة بالغة

...

(OTHELLO)

خطر بيالي وقتها أنني لم أقرأ رواية واحدة لشكسبير ولو حتي
- عن كل ما هو معمم
أنه يفقد تميزه حين يصبح منتشرا...

أخرجت منديلا ورقيا كي أمسح جثمان المرحومة من علي
الغلاف الأثري هذا

...

- حسنا ، فاض الكيل ، أنت مطرود.

بالفعل فاض الكيل...

-من تظنين نف

-أنا أظن نفسي الوحيد الذي يقدم تنازلات لا حصر لها في هذا

-أي تنازلات ؟ لقد هيات لك الجو المناسب للكتابة داخل مكتبي

-هيات لي ظروفًا ترينها مناسبة لي ، و لكنني لا أراها كذلك كان
يجب أن تسأليني أولاً ، مثلاً ذلك الظلا
يجعلني هدفاً محدداً و مقصوداً للحشرات أمام إضاءة الكمبيوتر
، أضيفي لذلك أنني لست معتاداً علي لوحة مفاتيح اللاب توب
هذه و أريد واحدة أكبر ، أشعر أن ذراعي مضمومتان و مقيدتان.

لم تقل شيئاً ، فقط تقدمت نحو المكتب قائلة بهدوء...

- لوحيد الذي قد يمارس عملاً تافهاً كهذا ، هناك من
هو أفضل منك حتماً ، و سيقبل بشروطي أياً كانت.

لم أجد رداً فواصلت كلامها قائلة...

-و الآن أخرج من هنا.

مط شفتيه قانلا في شرود...

مرت فترة طويلة للغاية حتي انتهت العطلة الصيفية و بدأت

...

كنت قد كفت حينها عن تناول مضاد الهلأوس ، لذا عادت الهلأوس تمارس روتينها الصباحي القديم ، كانت جلسات الجمعية هي الشئ الوحيد الذي يذكرني بمرضي ، و لذلك -إلي حد ما علي تناول العقار حتي نهاية

العلاجي بالجمعية...
الدكتورة هدي ؟ بالطبع كنت ساذجا حين عاودت الذهاب لها...

حين حاولت الدخول لمكتبها رفعت يدها في أدب كي تمنعني من الدخول ، كان من الواضح أنها اتخذت قرارا نهائياً بشأني... ظللت واقفا علي باب مكتبها كالأحمق بينما كانت تكتب رويشة

أكثر الأطباء يرسمون حين يكتبون بذلك الخط الطبي الأنيق الغير واضح...

طوت الورقة و أعطتها لي قائلة بلهجة تقريرية تذكرني

...

-لا يمكنك القدوم هنا ثانية ، لقد انتهى عقدك مع الجمعية بانتهاء ال

-ما هذه الورقة ؟

- هذا شئ قد يساعدك ، و الآن ارحل و لا تريني وجهك ثانية .
أغلقت الباب في وجهي ، كان لقاء مقتضيا كما تري لكنه بليغ ...
كم مرة تم طردني هذا الأسبوع ؟؟

لم استطع مقاومة رغبتني في الإبتسام بينما أغانر مني
الجمعية مودعاً إياه ، حين فغرت إلي ذهني تلك الأغنية التي

...

...

..قلبا من ذلك الذي ترسمه المراهقات بفن
و دقة ، و بأسفله عبارة قصيرة بالإنجليزية بذات الخط الطبي
اللعين...
USE IT

لا أفهم هل صار الجميع
إن أكثر ما يحقني هو خسارتي الطيبة التي كانت تسمعي
دون اعتراض أو محاولة للنصح ، طيبة لا تتحدث إلا عند
الضرورة ، و لا تثرثر عن المفروضات بل عما يمكن فعله مهما
كان منافيا للمنطق...

كان لدي أمل في تغيير فكرتها عني يوما ما ، أنا لا أ
فقط أنا أمقت تلك العاطفة التي قد تجعلني سجيناً لحب
إحداهن يوما ما ، دعك من أن بعض الأشياء تفقد سحرها حين
تنظر لها بعين الفحص و الدراسة ، إنها ضريبة المعرفة لو كنت
تفهم ما أعنيه ، إذا أردت كشف سر الحب فستفقد الشعور

...

لأسباب كهذ -
- يوصف الأطباء بالبرود التام ، و هذا-
- شئ طبيعي لمن عرف حقيقة الأمور الخفية ،
حقيقة أن الحزن و الحب و السعادة ليس إلا تعابير ناتجة عن
تغيرات فسيولوجية...إلي آخر هذا الكلام العلمي البغيض...

لا وجود للسحر في هذا العالم المادي ، لابد لكل شئ
تفسير علمي واضح ، لابد أن تعلم كم أن القمر ملئ بالصخور و
التراب و ليس كما تظنه ()
الأوغاد الفضوليين ليكشفوا الستار عن الحقيقة العلمية وراء
كل ما هو جميل و ساحر في هذا الكون...

- هذا غريب.

- ماهو الغريب ؟

- زعج من هؤلاء الأوغاد الفضوليين ، رغم

....

- نعم رغم أنني مثلهم ، إلا أن الأمر لا يسير هكذا معي ، إنني
فقط أري أن البحث في كيفية عمل ديناميكية الحياة أكثر جدوي
من البحث في أحداث و مجريات الحياة ذاتها.

- و ما الفائدة التي تجنيها من ذلك ؟

مط شفتيه قانلا...

- من جدوي نظريات هذا العلم ، يصعب تصور أن هناك ثوابت
تحكم سلوك الواحد منا كصاحب عقل حر التفكير و التصرف ،
لكنني في النهاية أدركت أن الأمر يستحق العناء ، يستحق
. It really works

(بعزق كافيه)...

...عندما تبيذك الأخریات ، إتصل بداليا...

و إن لم يكن لديك داليا فلا بد أن لديك رحاب ، و إن لم يكن لديك رحاب فلا بد أن لديك دينا ، و في جميع الحالات لابد أن لديك إحدى هاتيه المسئولات عن مواساتك وقت انهزاماتك العاطفية ، صديقة الدراسة التي اتخذت قرارك منذ البداية أنها لا تصلح إلا

...

جو بارد بالخارج و شيرة مائة تغطي زجاج المقهي ، أوديت بالخارج ترسم بإصبعها علي الزجاج في سعادة طفولية ، تارة ترسم صليبا و تارة ترسم قلبا بسهمين...
بعد نصف ساعة جئت داليا...

جئت بإسدالها المعهود و حذائها ال... نعم نعم لا تندهش ، ليست داليا الوحيدة التي ترتدي حذاء يتماشي مع لون عينيها ، إنها الموضة كما تعلم و نحن الرجال لن نفهمها حتي قيام

...

... مندهشة ؟ نعم ، مدعورة ؟ بالطبع ،

لا أذكر أنني أعطيتها الفرصة يوما كي تمارس دورها معي

...

هنا اتسعت عيناها في رعب و كأنما رأت عزرائيل أمامها...

- أيس كريم ؟ في هذا الجو ؟

انتبهت لذلك الدلو الذي كنت التهمه ، لقد نسيتته حتي ذاب تماما ، كان من المفترض أن أقوم بالتدخين كعربة بطاطا و

أشرب برميلاً من القهوة ، لكنني لست مصدوما عاطفياً كما تعلم ، إن هي إلا بضعة علاقات سطحية تم قطعها...

- نعم ، أحاول تقمص دور الفناة الأمريكية المكتئبة.

-أو امرأة أمريكية مطلقة ، حينها سيكون عليك الموت بجرعة مخدرات زائدة بعد بضعة شهور.

-ليس الموت ضمن مخططاتي حالياً.

-

إلي حد ما تبدو الأمور أسهل بكثير عند التفكير فيها ، أما الآن

معها بصراحة...

-

-

يقال أن الكاذب يهرش في أنفه كثيرا ، لكنهم لم يذكروا أين يهرش الصريح تحديداً...

-أنا مريض نفسي ، أرى هلاوس و ما شابه ، و أتحدث مع نفسي كثيرا.

لم تقل شيئا فأكملت كلامي في انتظار رد فعل واضح لها...

-

...تعلمين هذه

...بالمناسبة لديكي شارب تحت أنفك هل بإمكانك إزالته

لا أدري حقا ما مشكلة الهلاوس مع
أن تقوم داليا بتحسس شفتيها باحثة عن شارب ما ، لكنها لم
تفعل و من الواضح أنها تظنني أمزح في الأمر بأكمله...
هكذا غطيت وجهي في نفاذ صبر محاولاً تحاشي نظراتها

...

-حسنا ، هل يمكنني إعادة البدء من جديد ؟

من الواضح أن انكشاف الأسرار من خلف ظهورنا أسهل بكثير
من أن نكشفها بإرادتنا ، لن يكون الأمر سهلا كما توقعت ، لن
يكون سهلا علي الإطلاق...

- جسدان بيكيان في
أحضان بعضهما ، موسيقي كلاسيكية ، و شمعة قاربت علي
الإنتهاء ، و العالم بالخارج ينتهي.

-هل أنتِ معي أم غارقة في تخيلاتك الحمقاء ؟

-ما أدراك أنت بهذه الأمور ؟ إن الكاتب ليس أكثر من أسلوب و
خيال ، و إن كان عليه أن يكون ناجحاً فلا بد أن يمرن خياله

- جسدان بيكيان في أحضان
بعضهما ، موسيقي كلاسيكية ، و شمعة قاربت علي الإنتهاء ،
تقع الشمعة علي الأرض ، تشتعل النيران في الحجرة ، و
يصبح الجسدان جزءاً من العالم الذي ينتهي بالخارج.

- هذه ليست بعاطفة إنها اجترار للعواطف بلا هدف أو منطق ، و كأنك تحاولين إخراج جنين للحياة قبل موعد ميلاده.

- أنت لا تري المشهد إلا بنظرة سطحية للغاية ، لا تدرك المعاني العميقة التي أفصدها في تصور كهذا.

- هل تنوين نشر رواية رومانسية جديدة قريباً ؟

- ليس الأمر في مخططاتي حالياً و لكني دائماً علي استعداد

....

- إذن التزمي الصمت و دعيني استكمل السرد.

...

...

الحقيقة التي لا بد من الإعتراف بها أننا لا نعرف عن أنفسنا إلا القليل...

القليل جداً...

- اللعب في المناخير 2010

اليوم نظرت لوجهي في مرآة الحمام...
()

لحياتي التي صارت جديرة بأحد كفار قريش ، لكن مثل هذه الأمور لا تؤثر في تلك الصورة الشعورية التي أعرفها عن

بيد أنني كنت أنتظر ذلك الشعور المعتاد حين أطيل النظر للمرأة ، الشعور بأن هذا الشخص ليس أنا ، الشعور بأن هويتي تتلاشي تدريجياً...

لكن شيئاً من هذا لم يحدث...

من الواضح أنني صرت أدرك ذاتي جيداً لدرجة اليقين ولا أدري أهذا شيء صحي أم لا ، لكن منذ متي كانت الصحة النفسية تثير اهتمام مريضاً مثلي

الهلاوس و يعشقها أحياناً...

قد أكون بالفعل متأثر بذاتي إلي حد ما و مؤمن بها لدرجة الإيمان اليقيني و اكثر ، لكن هذا ليس لشيء إلا المحافظة علي تلك العقيدة الفكرية التي توضح تحديداً من أنا ، هويتي العقلية إن صح التعبير...

لاقة ذقني حين دق جرس الباب...

ذلك العامل من شركة البريد السريع ، هذا الرجل لم يكتب له

ألومه لو ظنني غريب أطوار آخر ممن يراهم يومياً خلال عمله... وقعت بالإستلام محاولاً التذكر هل أعطيته بقشيشاً المرة ابقة أم لا ، فليس هذا الوقت المناسب للإكراميات ، لكنه مضى لحال سبيله علي كل حال ، فيما بعد سيجد الوقت الكافي ليمط شفثيه قائلاً في قرارة نفسه :
بها الاربنا...

توي ، هل أعاني من ظاهرة)

(- أم أن هذا الموقف حدث من قبل؟؟

...اللعب في المناخير!!!

رأيت في حياتي من العناوين ما هو أسوأ ، و كلها تلعب ذات
التأثير النفسي المقصود لإثارة الإنتباه ، لابد أنه جلس في
(بعزق كافيه)
و لكن منذ متي كان أحمد سامي يلجأ لمثل هذه الأساليب
الرخيصة ، لابد من وجود سبب ما يمكن ابتلاعه...

أتفه الأفكار تراودني في أحلك الظروف ، لذا لا أتعجب كثيرا
حين تراودني أعمق الأفكار بينما أعبث بأنفي...
-شاملا الأنف ذاتها- إلا أن ما أردت قوله تحديداً هو أن
العبث بالأنف ليس إلا نموذجاً لأتفه الظروف...

-اللعب في المناخير2010

(5)

في مساء اليوم التالي اتصل طارق...

-ظننتك ستكون ذكياً كي تدرك مكان وجودي علي الفور ، أنا

-في هذا الجو الخانق ؟ إن الناس تهرع لمنزلها كي تجلس في هواء التكييف .

-بل أعلم و لكني لست مهتماً بهذا

-إنه خسوف كلي ، الأول منذ أعوام طويلة ، كيف لا تكون مهتماً

...

-وجه القمر يتبدل باستمرار ، و جل ما سأراه في الخسوف هو

، ما المثير في ذلك ؟

-و ما المثير في ذلك الحضيض القمري الذي كنت متحمساً له ؟

-إقتراب ، تفاصيل جديدة ، رؤية جديدة تستحق المشاهدة.

-حضيضك القمري هذا لم يلاحظه أحد تقريباً بينما الناس كلها

- أنا أحب أن أكون متميزاً ، هل لديك مشكلة مع هذا ؟

...

كانت خطتي المسائية تنص علي حضور حفل توقيع كتاب أحمد سامي الجديد ، لذا قررت أن اصبح اليوم بكامله بصيغة ثقافية تمكيني من الإندماج في حفل التوقيع دون الشعور بسخافة النشاط الذي أمارسه بوجودي هناك ، أحاول أن أضع ()

المكتبة فإن قيمة أجهزة دليل المكتبة الإلكتروني في مكان كهذا لا تقل عن قيمة أحد ديكورات المكتبة ، و لو أنك () كما يقولون فلن تحظي منه بشئ مفيد...

لذا يمكننا القول أنه بعد الكثير من (- - -) (أساليب زراعة الباذنجان في

...)

...

ثاني كتاب لأحمد سامي ، ثاني حفل توقيع...

كان كل شئ جيد في البداية لكنه بدأ يفقد استمتاعه بالأمر

تأتي له تلك الأفكار التي لا يشعر بانتماؤها له علي الإطلاق...

إن المتعة الحقيقية للكتابة تكمن في ذلك الدافع الغريزي لنشر
()

هذه...

قدر الإمكان حين تأتي له
إحداهن بنسخة لتوقيعها ، بدأ يتسائل بداخله عن سر اختفاء
الرجال من الحفل بل و من دار النشر كلها ، هل كف الرجال عن
القراءة أم أحكرتها النساء؟!

ياته ، عندما ترتدي
نظارة الإحباط بضع لحظات تتغير نظرتك تماما نحو الحياة ، و
تري ماضيك سخيفا و مستقبلك أسخف...

بدأ يفكر جدياً في الهروب قبل أن يجدني أمامه قائلاً...

-اللعب في المناخير ؟ لقد انحدر

وقودها ، كان من الواضح أنه يعصر رأسه بحثا عن شئ ما

...

إن أكبر مشكلات أحمد سامي هي عدم امتلاكه لمشكلة ما
كي يتحدث عنها كباقي المخلوقات ، حياته هادئة لدرجة تشير

انقطاع التيار ، و لسبب كهذا لا يتحمل أحد حياة كحياة أحمد

...

لكن هذا لا ينفي حقيقة أن له حضورا لا يستهان به في

حائط حجرتك لساعات دون أن تتحرك من مكانها ، و برغم ذلك
تشعر بطاقة وجودها أ

...

أنا أكره الشكوي و أمقت الشاكين ، لكنني لا أرفض من
يسردون خواطرهم دونما تنظيم خارج نطاق الشكوي ، أعلم
جيذا أنهم لا يسردون أسرارهم لي لأمانتي و أخلاقي لا سمح
الله ، فقط هم لم يجدوا أحقق غيري يستمع لهم دون أن ي
() النصائح و إظهار مدي حكمته و خبرته في
الحياة...

الدهر ، فقط لو أعرف سر ذلك الشعور بالذنب لاسترحت...

حتي زال السبب الرئيسي من
ذاكرتي تاركا خلفه ارتباطاً شرطياً لعيناً ، ببساطة صار أحمد
سامي مثيراً لمشاعر الذنب بداخلي دون سبب واضح...
لا أعلم هل تسببت في إيذاؤه ام كنت سببا في إنقاذه من تلك
الطبيبة المتسلطة ، إنه شأنه علي كل حال و لا يجوز لي
هذا حتي لو قرر الزواج من ام قوبق ذاتها...

هكذا وجدت نفسي أخرج عن مسار ()
به لأطرح تساؤلاتي الفضولية...

-أعلم أنه سؤال مستفز ، و لكن ما السبب وراء اختيارك
للدكتورة هدي علي وجه التحديد ؟

-لتتحمل صمتي و سكوني الدائم ، لو اخترتها فتاة عادية
ستمل مني بعد أيام و ستقول أنني إنسان كئيب و معقد ، أما
هي فبجانب أنها طيبة نفسية فإنني أشعر أنها مرت في
حياتها بما قد يجعلها تتحمل رفقة رجل مثلي ، لديها تلك النظرة
التي تقول أنه

- () هنا هي تحوير لكلمة () .

-نعم ، شئ كهذا.

- إنسان جيد للغاية و صدقني في هذا لأنني لا أمدح أحداً
بسهولة.

هز رأسه في غير اقتناع ثم التزم الصمت...

جالسين في أحد تلك المقاهي التي

تحديداً ، و لم أكن أنا بالطبع صاحب فكرة الجلوس بمكان كهذا...

- هل ستتطوع ضمن عينة البحث ؟

-
راسما الحروف في الهواء...

- P.O.S -

ظلت فاغرا فاهي في بلاهة و لا ألوم نفسي ، فأنا لا
علي ظهر إيدي) كي أفهم...

لاحظ أحمد سامي تعابير الغباء علي وجهي فأدرك أن عليه
التوضيح أكثر...

P.O.S, Os psychological, psychological operation
system...

كلها مصطلحات تشير لكيان واحد ، نظام التشغيل النفسي أو
نظام تشغيل النفس ، و هو اسم ذو وقع غريب علي الأذن و
يبدو للوهلة الأولى كأنه مأخوذ من أحد أفلام الخيال العلمي...
في الواقع هو كذلك بالفعل ، إن الأدب و الفن متصلان بالعلم
هنا بها...

الم يشتق فرويد نظرية الأوديب و النرجسية من أساطير الأدب
اليوناني ؟ ألم تكن الأقمار الصناعية مجرد فكرة أولية في
إحدى روايات الخيال العلمي ؟

إن آلية نظام التشغيل النفسي تعتمد بشكل رئيسي علي
العمليات العقلية العليا بهدف تنظيم التفكير البشري إلي
صورة ممكنة ، و لكنه يعتمد في تنصيبه علي العقل
البشري أولاً و قبل أي شيء علي واحدة من أهم نظريات التعلم
وهي نظرية المحاولة و الخطأ...

فمثلاً حين نحاول تنصيب أداة نفسية معينة داخل النظام
السيكولوجي لشخص ما ، فإننا سنعمل علي تدعيم الروابط
بين تلك الأداة و بين نمط معين من المواقف التي تستهدفها
تلك الأداة أو تستهدف التعامل معها بأي شكل من الأشكال ، و
نستمر في تكرار التدعيم لذلك السلوك الذي تمارسه الأداة
النفسية المطلوب تنصيبها علي النظام السيكولوجي

المستهدف حتي تقل نسبة الأخطاء في استخدام الأداة إلي
كن و يتمكن حينها الشخص من ممارسة ذلك
السلوك بحرية مع النمط المستهدف من المواقف...

فمثلاً ، إذا قمنا بتنصيب أداة نفسية تستهدف التعامل مع
النسيان المتكرر ، فحينها سيكون السلوك المعتاد من الشخص
مثلاً وضع رسائل تذكيرية علي هاتفه بصفة دائمة ، أو أي
لذي سهولة و سرعة التذكر بصفة عامة...

-و الآن هل فهمت شيئاً ؟

-كل ما أعرفه هو أن صاحب هذه النظرية محبول حتماً.

-إذن لن نتطوع في عينة البحث ؟

قلت بينما اتأمل فتاة ترشف من عصير غامض اللون و
التركيب...

-هل جنتت ؟ بالطبع سأتطوع ستكون تجربة مثيرة حقاً.
أخرج دفترًا صغيرًا من يده قائلاً في حماس...

-رائع ، هكذا يبقى إثنين فقط.

-ما وظيفتك في تلك الجمعية بالضبط ؟ ألسنت مدير علاقات

-الهيكل الإداري ما زال محدوداً للغاية ، لهذا يقوم كل موظف
في الجمعية بالقيام بكل ما يستطيع فعله لإنجاح هذا الم
، إنها روح الفريق لو كنت تفهم قصدي.

جاء أحدهم بمشرويين أكثر غموضا مما رأيت و وضعهما أمامنا
بداخله عما قد يجمع بين رجل ناضج و شاب أهوج في
مكان كهذا...

كانت بداخلي آلاف التساؤلات بشأن الجمعية النفسية و قد

- ..من الذي يمول هذا الشئ ؟

- أقصد ذلك الكيان بأكمله ، من ممول الجمعية النفسية

بكل أبحاثها ؟

قال بينما يرشف من كوبه...

-حسنا ربما قد يدهشك هذا ، إنه رجل أعمال جزائري.

-هذا الرجل يعتمد علي الأساليب النفسية في جميع أعماله ،
له شركة خاصة قام فيها بتعيين صفوة متخصصي علم

قلت بينما اتشمم كوبي في تغرز و ارتياب...

- وجه استفادته من شئ كهذا

-هل تمزح ؟ إن أصحاب الشركات الكبرى يدفعون له ملايين
مقابل تحسين أداء موظفي شركاتهم و عمال المصانع ، إن
فريق المتخصصين يقدمون لهم ز

-التنمية البشرية

صفق بيده ثم أشار بإصبعه نحوي بمعنى () ...

- بالضبط ، و لكن بأساليب و بتطبيق نظريات أحدث .

- لا أذكر تحديدا ، لكنها نوع من ()
تحسين الإنتاج (، شئ كهذا .

قلت بينما أضع يدي في جيبى ...

- هذا الرجل يعاني مشكلة في تسمية منشآته .

هنا وثب في وجهي ممسكا يدي قائلاً ...

- يصح أنت ضيفي .

أكملت استخراج كيس المناديل من جيبى قائلاً في ذهول ...

في هذا المكان فإنه مخطئ ،

لقد أصر علي الجلوس هنا و عليه تحمل العواقب ...

- إمتحانات آخر العام اقتربت ، سأغيب لمدة شهر تقريباً .

- شهر ؟ هل تمزح ؟

- قليلاً و التركيز في تلك المواد التي لا أعلم عنها شيئاً .

- لقد فاجأتني بهذا الخبر ، كيف سأقضي هذا الشهر وحدي ؟

- سيمر ذلك سريعاً أعدك بهذا ، سأرسل لك كل يوم جزء من المذكرات ، هكذا لن تفتقديني.

- من المثير للإشمئزاز أنني سأفتقدك.

- تفده كثيراً في الواقع....

- لا ، أقصد كيف سأتعامل معه تلك الفترة وحدي ؟ إنني بحاجة

مط شفتيه مفكراً و قال...

- اظنك صرت مؤهلة للتعامل مع هذا الأمر ، ربما أعود لأجدكما مخطوبين.

نادرة هي تلك اللحظات التي أصاب فيها بجنون النظافة...
 إنها فترة المراهقة كما تعلمون ، تبدأ صباحك شاعرا ثم تتجه
 ميولك نحو السياسة عسراً لتجد نفسك فيلسوفا بعد الغروب ،
 من المزعج إدراك أنني بيولوجيا ما زلت مراهقا في التاسعة
 عشر ، برغم كل شيء لا بد أن تتغلب الطبيعة البيولوجية علي
 اتي ، لا يمكنك تشغيل لعبة عالية التجسيم علي كارت
 شاشة أثري لو كنت تفهم ما أعنيه...

لكنني قد أكون المراهق الوحيد الذي يبدأ صباحه كناسا ، هذا
 ولا شك يمنحني بعض التميز رغم أنف جميع المارة الفضوليين
 ..هذا مشهد لا يتكرر كثيرا و يستحق

المشاه

مارينا ، هذا لو كان في بورتو مارينا ما يستحق كنسه...

كنت قد قاربت علي الإنتهاء حين دخلت المنزل لجلب كيس
 قمامة اضع فيه ال...

هنا شعرت بحركة أسفل السلم ، لا بد و أنها قطة تسللت بينما

...

هكذا حملت عصا المقشدة بيدي مترقباً ، لن أبالغ لو قلت أنني
 لا أبالغ في ردة فعلي هذه ، فتلك الكائنات البغيضة لن ترتمي
 في أحضانك حتما كالتي تراها في الأفلام الأمريكية ، قطط
 بولاق الذكور تثب في وجهك و تخمشك بأظافرها اللعينة قبل

أن تدرك طبيعة ما تواجهه تحديدا ، (تربية شو) ...
بيد أن ما رأيته أسفل السلم جعلني أتمني لو اجتمعت قطط
بولاق كلها هنا بدلا منه ، هذا شئ يصعب التخلص منه بعضا

...

كانت تنظر لي نظرة خالية من أي تعبير ، و كانت ترتجف لا أدري
من البرد أم خوفا مني ، إعتدت أن أكون مثيرا للشفقة لا

...

-هش يا ماما ليس هذا مكانا للإيواء.

ذات النظرة و ذات الرجفة ، إما أنها بكماء أو أنها...

-أقول إلي الخارج إن أمامي يوما طويلا من التنظيف.
ولا حياة لمن تنادي...

تأملت في ملامحها أكثر فأدركت أنني رأيتها من قبل ، و لمزيد
من الدقة كنت أدرك أنني أعرفها منذ رأيتها

...

يسمونها المجنونة...

لأنه لا توجد كلمة أدق لوصفها ، إنها ببساطة تفعل أغلب ما
يفعله أي مجنون يعرف كيف يبدو مجنونا ، تتحدث مع نفسها ،
تتشاجر مع نفسها ، تفعل كل شئ مع نفسها...

بيد أنها عينة نادرة للغاية في تلك النقطة ، إذ أنني عهدت
المجانين في منطقتنا يتشاجرون مع الناس و مع الأطفال و مع
الهواء و مع كل شئ ، حتي أنك إذا مررت بأحدهم تجنبت النظر
نحوه لأن بعضهم يعتبر النظرة وحدها إهانة لا تغتفر ، و برغم

حذرك هذا فإنك علي يقين بداخلك

...

يسمونها المجنونة...

لأنها تفعل كل ما من شأنه إثبات ذلك ، إن المجانين لا يدفعون ذلك الإتهام عن أنفسهم بل يحاولون إثباته بإصرار غريب...

لطالما رأيتها إما تتحدث مع نفسها أو تتحدث مع أشخاص وهميين ، لا تقبل الصدقات ولا

كل ما تفعله تفعله مع ذاتها علي عكس باقي المجانين الذين يتشاجرون معك دائماً لمجرد انك موجود علي ظهر هذا الكوكب ، إنني أعتبر أمثالها من المتحدثين لأنفسهم عينة نادرة للغاية ، عينة استطاعت التواصل مع ذاتها لدرجة لا مثيل لها ، سمهم مجانين أو سمهم ما تشاء فلن يغير ذلك حقيقة أنهم الأفضل من الناحية النفسية...

و حتما لن يغير ذلك حقيقة أنك تتمني تقليدهم أحيانا...

إن الأمور تختلف تماما عندما تراها عن كتب...

...

حين تأملت ملامحها أكثر ادركت انها في العشرينيات من عمرها ، لا يمكنك إنكار لمحة الجمال في وجهها ، شعر قصير منسوخ ، ملامح منمنمة منسوخة ، ثياب مهترئة منسوخة... كانت تأكل بنهم و كأنما لم تأكل منذ سنين ، و برغم تعاطفي معها ببعض الطعام إلا أنني ظللت أنظر نحوها كنوع من الكارثة

المجسمة ، لا يوجد أسوأ من ذلك كي يصير موقفي حرجاً ،
شاب مراهق و فتاة متشردة ، لابد من التخلص من هذه التهمة

...

حين قرأت تلك الصفحة التي أرسلها طارق أدركت للوهلة
فتاة التي أرسلها لي منذ شهر ، و
بقليل من الذكاء تنبأت بعدد الصفحات الباقية من تلك المذكرات
، لقد اقتربنا كثيراً من النهاية ، إقترنا من ذلك اليوم الذي قررنا
فيه العمل علي كتابة تلك المذكرات ، فلا أظنه ينوي استكمالها
بعد ذلك و إلا بدا الأمر سخيفاً ، لكنني فقط أتسائل عن كيف
ستكون النهاية ، حتماً سنحتاج لبعض الإرتجال لوضع نهاية
درامية تليق بالكتاب ، رغم أنه شبه خال من الدراما...

HOME, sweet home...

هكذا قلت لنفسي حين عبرت بوابة الجمعية النفسية بحنين لا
لهذا

في هذا المكان محايدة للغاية فلا هي بالجيده ولا بالسوءاء ،
بل و لا أحد لها محلا من الإعراب في جملة حياتي...
فلماذا إذن قد يمزقني الحنين للجمعية النفسية ؟!
تركت ذلك التساؤل في خلفية أفكارني عالماً بظهور
عيناى حتماً علي شئ يضى مصباح
أفكارني كما يحدث في قصص ميكي المصورة...
توقفت موظفة الإستقبال عن القراءة في المصحف حين

...

- لا شكرا ، جئت فقط لأشاهد ديكورات المكان -

- قع كنت أحد المرضى هنا ذات يوم لذا تجدين
...تعلمين هذه الأمور حين ترتبطين بالمكان
كان من الواضح ان دعابتي لم ترق لها ، لذا كررت حملتها بذات
الرسمية مع ابتسامة خفيفة تخفي خلفها استسخافا للموقف

-حسناً ، كيف يمكنني مساعدتك الآن ؟

البلهاء قائلاً...

-حسناً في الواقع انا حالياً أحد المرشحين في عينة دراسة ال
W.C

-لا عليك يا زهي إنه معي .

جاء صوت أحمد سامي واثقاً مجلجلاً ذو صدي من نهاية قاعة
الإستقبال فكان أشبه ببطل فيلم هندي جاء لينفذ حبيبته من
الحقيرة...

كم أمقت هذا الرجل لدرجة أنني احترمه للغاية...

ذات يوم كانت الدكتورة هدي طبييتي النفسية...
لكن هذا لا ينفي أنني أدرك واقعها النفسي ربما أكثر مما
تدركه هي عني...

كانت تستند علي باب حجرة الإختبارات بينما تعبت في أصابعها
بجنون ، و أنا أدرك جيداً ماذا يعني ذلك...

رابعتهم لا أعرف عنها شئ لكنها تبدو في الأربعين من عمرها
حتي بدا هذا واضحاً في تفاهمها و ثرثرتها مع مدام موريان...
لقد دعا الوعد كل معارفه النسائية و كأنما يخبرها بأنها ليست
الوحيدة في حياته و أن هناك أخريات رهن إشارته...
و أما عما يشير إليه وجودي وسط هذا الجمع النسائي فهو أن
() أو شئ من هذا القبيل ، لا

يوجد تفسير آخر للأسف في الوقت الحالي...

لكن الحقيقة الأقرب للواقع انه يحاول الإ

لأنه يعلم جيداً كم تمقتني الدكتورة هدي...

بيد أن ما آراه أمامي من دلائل علي أن أحمد سامي وغد كغيره من الرجال لم تهتز له شعرة من شعراتي ، فقد كنت موقفاً بداخلي بوجود شيء ما خطأ ، شيء يدحض جميع ظنوني تجاه أحمد سامي ، هذا الرجل لم يكن يوماً زير ز يوجد شيء يظهر فجأة هكذا ، فقط هالة الغموض التي يغلف بها ذاته تجعلني أحاول البحث عن أية جزيرة ترسوا عليها

...
() كما يقولون مما يصيب نظرية الإنتقام ببعض الثغرات الكافية لهدمها تماماً ، صحيح أ

ينتقم ، لكن رفضه كزوج لا يعد سبياً يمكن ابتلاعه بسهولة ، أنا

()
طبعاً من تحصيل القول أن أتحدث عن كم نظرات الكراهية بيني و بين كل واحدة من هذا الجمع النسوي البغيض ، إن كل واحدة منهن تحمل لي من الذكريات السوداء ما يكفي لسلخي حياً ، فلو أن كل واحدة منهن رمشت بعينيها فقط لكان ذلك كفيلاً بتحويلني إلي كومة من الرماد المحترق...
مرت بضع دقائق من العذاب كأنها الدهر حتي جاء أحدهم أوراق داخل مجلد أصفر مكتوب عليه بخط كبير

(P.O.S-Beta applications)

(بيننا) هذه حتماً مألوفة لهواة تجربة البرامج حديثة الإصدار أو التي مازالت تحت التجريب ، هكذا نصبح نحن أول من يقوم بتجريب هذه البرمجة النفسية الجديدة ، كم هم نمطيون هؤلاء

...
و كما توقعت فإن الحديث عن الدراسة نفسها كان شيئاً سابقاً لأوانه ، فلم تكن الأوراق التي تم توزيعها علينا سوى استمارات (الإسم ، النوع ، مقياس حذاؤك ، مقاسات أشياء أخرى ، أي الحيوانات تفضل أن تكون لو كان لك أن تكون حيواناً)

المطلوب إثباته في تلك الدراسة اللعينة ، كل تلك الأمور درستها العام الماضي لكنني لم أتصور لحظة أن أكون جزءاً منها...

كانت هناك الكثير من الأسئلة البديهية المثيرة للغيظ عن أبسط مهارات استخدام الحاسوب و غيرها ، لكن أكثرها غرابة كان : هل سبق لك مشاهدة فيلم الرجل الحديدي Iron man

رغم أنني أمقت برامج الكاميرا الخفية بسخافتها المعهودة ، إلا أنني تمنيت في لحظات كهذه أن يتسم جميع من حولي في سماجة قائلين أن ابتسم فأنت أحد المغفلين الذين يخداعهم ، حينها علي الأقل سيطمئن قلبي إلي أن حال العلم لم يتدني بعد إلي هذا المستوي...
في تلك الأثناء كانت سمر جالسة بجانبني تحاول جاهدة الإجابة عن بعض الأسئلة البديهية ، و هذا دنني علي أنها لا تفقه كثيراً في استخدام الكمبيوتر...

إن أمامي فرصة للشماتة يصعب تعويضها...
-عالم صغير أليس كذلك ؟
ردت دون أن ترفع عينها و كأنما توقعت كلماتي...
-نعم ، صغير لدرجة أنه نافه.
-هل تريدني أية مساعدة ؟
-
-هذا السؤال إجابته....

هكذا في النهاية ابتلعت شماتتي و التزمت الصمت حتي نهاية الجلسة ، ليس الإستسلام من شيمي لكن تلك الطاقة السلبية التي كانت تغلف المكان جعلتني ()
كقطعة هامبورجر وضعت لتوها في المقلاة...
و بعدما غادر الجميع ظللت جالسا بمقعدي ، و سامي يرتب الأستمارات في نهاية القاعة أعلي المنصة...
-أيها العايب بأنفك ، ما رأيك لو نذهب لنأكل شيئاً.

المستغزة و كأنما ليثير غيظي...

(7)

خمن ماذا أيضاً ؟ لقد طلبتني هي بنفسها و اعتذرت لي ...

خمن أكثر و أكثر ؟ لقد جلبت لي لوحة مفاتيح كبيرة ، و صاعق حشرات ، لكنها لم تغير شيئاً في إيذاء الحجرة برغم كل هذا ، تقول أن تلك الإيذاء الخافتة تلهمها أكثر من أي إيذاء أخرى ...

أما عن الفتاة المسكينة فقد سمحت لها بالبقاء ليلة واحدة ، فقط ليلة واحدة كانت كافية ، ليلة واحدة استيقظت بعدها لأجد نفسي بمنزل آخر غير منزلي ، كل شئ مرتب ، أنيق ، لامع و براق ، ليلة واحدة اتخذت بعدها أحد أصعب قراراتي ، السماح لأحدهم بالمكوث في منزلي ...

ظللت مواظباً مع سمر علي حضور اختبارات الجمعية ، كانت ذلك النظام سيساعدها علي تحسين مستوي التذكر لديها ، كانت تشعر بأنه شئ مفيد بصفة عامة ، كانت أشبه يتناول الفيتامينات فقط من باب تحسين مستوي الصحة ...

كانت تلك الفترة حقاً مستقرة للغاية ، أنا عاشق للروتين مدمناً

...

هكذا ظلت الأمور تسير علي هذا النمط الثابت حتي بدأ العام

2011

...

نظرت للساعة حين أيقظتني ضجة عالية تأتي من الشارع ،
كانت مازالت الثامنة صباحا ، ليست بولاق بالحي الهادئ حقاً
لكن الثامنة صباحا تعد سبباً كافياً للهدوء في أسوأ المناطق و
أشدها إزعاجاً...

اتجهت نحو الشرفة منكوش الشعر معمص العينين ، لو كان
هناك من سيراني بهذه الهيئة فهو حتما ممن غلبهم الفضول

...

الهلاوس غرابية و سوءاً ، حتي الهلاوس تراعي بعض الفروق
الواقعية...

كانت هناك فرقة موسيقية أسفل منزلي مباشرة ، لا ليست
()

(خراب البيوت)

التي تملأ البلد ، و كانت خلفهم لافتة خشبية كتب عليها بطلاء
() () ، هذا كما

من هؤلاء العازفين فلا بد ان لهم تجمعا ما كتجمعات عمال
الفاعل التي تملأ الأرصفة ، حيث يجلس كل عازف في يأس

من هي () علي أي حال ؟ لا أعرف واحدة من حيراننا
بهذا الإسم...

ت كوعي علي سور الشرفة شاعرا بأنني أشاهد أحد
الأفلام الرومانسية المبتذلة ، حتي الرومانسية قد تصل لدرجة
الإبتذال ، و كل شئ و له حدود في النهاية...

نظرت للشرفات المحيطة بنا ربما أعرف من () هذه فلم
أر سوي الجيران المعتادين الذين تبرز رؤوسهم من الشرفات

...

بعد لحظات خرج حماسة لشرفته متثابرا كغرس النهر و يحك

نظرة معناها (أي سخف هذا؟) فنظرت له نظرة معناها (في زمن الغرافير)...

أخري نحوهم كأنما يحاول التأكد من واقعية ما يراه ، ثم نظر نحوي بينما يشعل سيجارة ملتوية يعلم الله ما تحويه ، بالطبع كان هذا كافيا كي أعلم أنه سيتصرف حتما ، لن يسمح

...

(ولید) انتهزت فرصة الشجار و استولت علي السجاد الفاخر الذي كانت تعزف الفرقة فوقه ، ناهيك عن الكمان الذي رأيتها تستخدمه أكثر من مرة في شرفتها لنفص (البطاطين) (عصا غلية)...

اللافتة الخشبية ؟ بالطبع ص () يلهو بداخلها الدجاج... بداية رائعة للعام الجديد ، حتي لحظات قليلة كنت أمقت فكرة انتمائي لهذا الحي ، الآن فقط أدركت أنه اكثر بقاع الأرض

...

...

زمن لم أذهب للجامعة...

في الواقع لا أدري سببا لذهابي بل و حضوري تلك المحاضرة ، ربما لدوافع خفية أهوي تعذيب ذاتي ، أو ربما أكون قلقاً من

...

كان كل شئ يذكرنني بالسنة الأولى ، حين كان المرء متحمسا لأن فلا يمكنني أن أتصور كيف

تظل بعض المجتهديات تكتبن المحاضرات خلف الدكتور...

طبعاً من تحصيل القول أن أقول أنني كنت ضمن فئة (العابثين في هواتفهم و كأنما اكتشفوا فجأة أن لديهم هواتف)

الفئة التي لا تدرك جدوي الحضور ولا طبيعة دوافعها لحضور أية

لأساس لكنها تدخل قاعة المحاضرات كالمنومين
ميغناطيسيا لتسأل نفسها السؤال المعتاد بعد أول ثلاث دقائق
: من أقوى الدوافع لفعل شئ ما هو عدم وجود شئ لفعله...

موعد هام ، في أتيليه أحمد سامي...

أحيانا أنسى حقاً من هو أحمد سامي ، تارة كاتب ، و تارة فنان
تجريدي ، تارة وغد ، و تارة زير نساء ، أي رجل هذا...

و كالعادة كنت مصعوقاً ، لسبب ما يصير هذا الرجل علي
مخالفة أغلب توقعاتي بشأنه ، فحينما دعاني تلك الليلة كانت
توقعاتي عن هذا المكان بأنه جدير بشخص كأحمد سامي ،
توقعت زخارف تملأ الجدران ، و تأثيرات ضوئية ، و موسيقي
موتسارت أو ما شابه ، اي شئ من تلك الملهمات الفنية التي
لطالما تحدث عنها مهووسي الفن منكوشي الشعر...

كان الأتيليه لا يزيد عن كونه شقة صغيرة للغاية ذات طلاء أبيض
صامت ، معدومة الأثاث ، معدومة المرافق ، فيما عدا حمام
صغير متواضع للغاية ، حتي الفنانون يدخلون الحمام أحيانا ،
كما تعلم يمثل الحمام مصدر إلهام لبعضهم أحيانا أكثر مما يمثل
نوعاً من إشباع حاجة بيولوجية...

لم يكن أحمد سامي يوماً مهووساً بالفن ، ولا بأي
نظرته الهادئة المسترخية دائماً ما تشعرني بأنه يتفضل علي
الحياة و يتكرم و كأنما يمنحها شرف وجوده فيها ، هذا انسان
معدوم الاهتمامات الفكرية لكن حظه الفكري في هذه الدنيا
ينير غيظي حقاً ، إن الأفكار اللامعة تفقر لذهنه قفزا بينما
يعتصر آخرون عقولهم دون ...

- طارق ، وجودك هنا يعد شرفا لي .

قلت في تململ و كأنما اعتدت أسلوبه هذا...

- لا أجد داع لهذه اللهجة الرسمية ، بالضبط كما لا أجد ضرورة لوجودي هنا .

نظرت له نظرة تشكك و ارتياب منتظرا منه استكمال كلماته ،

- قليلون هم من أمنحهم اهتمامي ، أنت رجل محظوظ .

قالها بطريقة مسرحية وجدتها سخيفة بينما يزيح غطاء قماشي عن تمثال صغير...

كدت أسأله سؤالاً كلاسيكياً عن موهبة النحت التي أضيفت لمواهبه مؤخراً ، لكن التمثال أحرصني حقاً ، لا يكن لي أحداً لمشاعر ما يجبره علي فعل شيء كهذا ، صحيح أن التمثال لا يمثل ملامحي بدقة و لكن منذ متي كانت التماثيل دقيقة...

- هل يبدو لك هذا مألوفاً ؟

تجاهلت كلماته ثانية بينما أبدو متأثراً ، لست متأثراً حقاً رغم أن الأمر فاجأني ، فقط أراهم م يفعلون هكذا دائماً...

مرت بخاطري بعض الأفكار اللاأخلاقية لكنني لم استطع تجاهلها هذه المرة ، بعض الأمور لا يمكن تجاهلها لو كنت تفهم

- هل أنت شاذ جنسياً ؟

...
- هذا هو ما أسميه بتأثير الأفلام الأمريكية.

- إن الرشوة الغنية هي آخر ما قد ألبأ إليه مع شخص مثلك ،
ثم إنك طلبت أن تقابلني لتتحدث و أنا لم أتهرب منك يوما .

قلت بينما ما زالت أتفحص التمثال ...

- يعجبني تصنيفك للمرتشين ، هذا يعني أنك حتما تعرف ما

- حين يتعلق الأمر بك فإنني أقول أن هذه الجلسة بأكملها
ليست سوي رشوة ، باستثناء التمثال .

...

- لم أفهم ما تقصد .

- الفضول يا طارق ، إنك تحاول دائما الظهور بمظهر المتجاهل
لكل شئ ، و برغم ذلك فإنك هنا من أجل إرواء فضولك الخاص
كل هؤلاء النساء إلي الجمعية .

...

- هل تعلم ؟ أحيانا بعض الأشياء تكون مفهومة ضمنيا ولا تحتاج

زوجته ليس مضطرا لأن يخبرها بذ

...

شئونها ليس أكثر ، أخبرتها أنك لست بهذا الغباء لكن من

-و أنت تخبرني بهذا الآن ، لماذا ؟

-لأنني أعرفك أكثر منها ، و أعرف أنك لست

-تباً لكم جميعاً.

...

-هل اتصلت بمدام موريان ؟

-و لماذا قد أتصل بها ؟

-

-سمعت و لكن هل مات لها احد هناك ؟

عاد حاملاً صحيفة عليها كوبي عصير قائلاً...

-لا ، لكن تلك الأمور تقلل من تأثير الفتنة الحادثة ، و لو كان هذا

سيرحك.. نعم كنت أنظاها بمواساتها.

-لا أعتقد أنها كانت بانتظار مواساتك من الأساس ، إنك تدفع

عن نفسك تهمة لا وجود لها ، سيكون من السخيف أن اتصل

بها الآن ، دعك من أنني صرت عدوه

رهينة أوديت ، أظنها أخبرتك بالقصة.

-نعم ، و كانت تبكي حينها.

-

- ماذا كانت أقوالك بشأنني حينها ؟

- لقد صرت لا أندھش مما تفعله أيا كان ، و بداخلي التمسست لك العذر ، العذر الذي لا أعلم حتي الآن ما هو من الأساس لكنني

ظللت ناظرا في أرضية المكان بانتظار أن يغلبه الفضول و

...

- هل تريد عذرا حقيقيا أم تريد عذرا يجعلك تحتفظ بصداقتي

- أريد الحقيقة ، لماذا تركتها تذهب ؟

لماذا تركتها تذهب ، هذا سؤال وجيه...

قد أكون مختصرا في إجابتي و أخبرك أنني تركتها تذهب

...

لكن الحقيقة التي لا يمكنني إنكارها أنني فعلت ذلك لأنني أخاف عليها ، أخاف عليها من الناس و أخاف عليها من نفسي و أخاف عليها من نفسها...

كنت موقنا بداخلي أن بقائنا سويا سيجعل الأمور أكثر تعقيدا ، و برغم ذلك لم أستطع يوما تحمل فكرة ابتعادها عني ، إذ كنت

أدرك جيدا كم الهواجس التي ستطاردني كلما تذكرتها ، ماذا
تفعل الآن و مع من ، فيم تفكر و لماذا...

مناسب لي و لها ، و في
غمرة بحثي عن ذلك الحل جاء قرارها بصدد الرهينة منقذا لي ،
و كان رغم صعوبته أفضل الحلول و أنسبها في رأيي...
دير مغلق ، يحفظ جوهرتي القبطية و يصونها بعيدا عن الأعين ،
هكذا لن أقلق بشأنها ما حييت...

وغد ؟ قل شيئا جديدا

الحقيقة لا بد و حتما أن تكون مرة...

- إذن كنت تحاول التخلص منها و جائك قرار الرهينة علي طبق
من ذهب.

قلت بينما انهى الكأس الذي لا أعلم محتواه حتي الآن...

- قدرت أنه سيكون من السخيف أن تراودني مشاعر الذنب بعد
كل ما سببته لها من ألم في حياتها ، أظنها كانت سعيدة
بقرارها الأخير ، أو هكذا حاولت إقناع نفسي كي لا أندفع و
امنعها من الرحيل.

هز رأسه في اقتناع ظاهري زائف و قال...

-تعرف كيف تتخلص من عقدة الذنب بسهولة ، بل و تتخذ قرارات بناء علي عدم شعورك بالذنب ، هذا شئ رائع .
لم استنطع استشفاف مقصده هذه المرة ، لكنني التزمت الصمت علي كل حال ، ربما لأنه لم يعد هناك ما يقال...

للسهر بصورة مكثفة ، و لم
 أكن أري تلك الفتاة التي لا أعرف عنها شيئاً سوى بالصدفة
 أحياناً ، و رغم أنني حاولت أكثر من مرة إدخالها للبيات داخل
 إحدى شقق المنزل إلا أنها كانت مصرة علي اتخاذ بئر السلم
 مكاناً للنوم ، في النهاية استسلمت لرغبتها و صرت أجلب لها
 ء كل ليلة في مكانها أسفل السلم ، و قد كانت تنتهز
 فرصة نومي بالصباح لترتب المنزل و تنام ليلاً حين أستيقظ
 ...

أنها مسئولة مني بشكل أو بآخر ، ولا أنكر أنني فكرت أكثر من
 مرة في طردها خارج المنزل لكنني كنت
 ذلك ، سيظل ضميري يؤنبني بعدها و لن أتمكن من التركيز في
 شئ ، ربما أطردها حين تنتهي امتحاناتي ...

و لكن بعدما انتهت الإمتحانات لم استطع استعادة نشاطي من
 جديد ، و بدأت تراودني تلك الكوابيس اللعينة ، كوابيس ليست
 بكوابيس و لكنها في نظري أسوأ كوابيس ، ذكريات تتظاهر
 بأنها أحلام أو أحلام تتظاهر بأنها ذكريات ...

إن من عادة الأحلام أن تكون رمزية و غير مباشرة ، فهذا يمنحها
 ...

لكن أحلامي هذه كانت واضحة صريحة ، كأنها تفريغ لما التقطته كاميرا الحراسة بداخلي في الوقت الذي لم أكن واعياً فيه ،

التفاصيل التي لا يمكن سردها ، المشاعر التي راودتني حينها .. كل شيء ، بوضوح بالغ ، بإحساس بالغ ، و بذهن

...

هل قرر عقلي الإفصاح عن تلك الذكريات الآن ؟ و لماذا الآن ؟ و لماذا كلما أستيقظ أشعر بتد

بالغثيان ؟ إن كل هذه الدفعات المكثفة من الحب و العاطفة كل ليلة كانت كافية لإصابتي بالحمي و المرض...

ذات مرة استيقظت من إحدى تلك الأحلام شاعراً بآلام رهيبة ليس لها موضع محدد ، بل هي تجتاح كل شيء بداخلي حتي نفسي ذاتها ، آلام في لا مكان ، و غثيان جعلني أهول كالعادة إلي الحمام لأفرغ معدتي ، و حين انتهيت وجدت الفتاة المسكينة تقف علي مدخل الحمام تنظر لي في شفقة و

...

-

...

- لا تنظري لي هكذا أنا بخير ، إذهبي و نظفي المنزل .

ثدة ، ذات التعابير علي وجهها...

المشكلة أنني في تلك اللحظات لا أعني طبيعة مشاعري

لا أعرف هل أبكي أم أصرخ أم أضحك بجنون ، و أستغرق وقتاً طويلاً حتي أستعيد ذاتي الحقيقية...

يوم آخر استيقظت منه شاعراً بالآلام أقوي من كل مرة ، حيث أن جرعة العاطفة كانت مضاعفة هذه المرة ، و فور خروجي من الحمام وجدت نفسي لا إرادياً أذهب نحو الغنائة النائمة في بئر السلم ، هزرتها بعنف كي تصحو قائلاً في عصبية...

-أنتِ السبب في كل هذا ، منذ جئتِ و أنا مريض.

صفعتها علي وجهها ، ضربتها بعنف في كل مكان بجسدها ، و كانت هذه المرة الأولى التي أسمع فيها صوتها و لكن علي هيئة صراخ هستيري...

فعلت ذلك ، و لكنني لم أكن أعلم ، بل و لم أكن مسيطراً علي

...

شيئاً فشيئاً بدأت أدرك لماذا هي السبب حقاً ، شيئاً فشيئاً بدأت أدرك لماذا أكرهها و لكن لا أستطيع التخلص منها في ذات الوقت ، لقد كانت هي المعادل النفسي لأوديت ، كل شيء بها يذكرني بأوديت ، شعرها المنكوش ، نظرة الذعر في وجهها ، كل تلك الأشياء التي خشيت الإعراف بها منذ أول يوم ت فيه لها بالمكوث داخل منزلي ، ربما كان شيء كهذا هو السبب الرئيسي لكوني سمحت لها بالبقاء في منزلي لكنني لم أدرك ذلك مباشرة ، ليس لأنه ربما أنا لا اعلم عن نفسي الكثير ، بل لأنني بالفعل لا أعرف عن نفسي الكثير...

و جاء ذلك الحدث مواكباً لحالتي السوداء حينها ، حتي أنني

...

صدقاً لم أهتم للأمر في البداية علي الإطلاق ، بل ظللت في

عيناى و صرت أقرب للمدمنين ، ظللت أعذب في الفتاة
المسكينة عشرات المرات و برغم ذلك فإنها لا تغادر ، رميت لها
مفتاح المنزل أكثر من مرة ولا تغادر ، صرخت فيها أكثر من مرة

...

...

كان من الواضح أن البلطجية قد اقتحموا المنطقة أو شئ كهذا
، إذ أن أنبائهم التي جاءت من الشوارع المجاورة جعلت الكثير
يحتمي بمنزله و جعلت آخرين من أصحاب القلوب الميتة

...

موضعي في المنزل ، لكنى لا أعرف كيف ولا متي صرت أحمل
-أو ما يمكن تسميته بالتطور الطبيعي
للمطواة الشعبية المعروفة-ولا أعرف كيف ولا متي صرت واحدا
من أهل الشارع يهمني أمرهم و يهتمهم أمرى...

و عند مدخل الشارع انتظرنا متأهبين...

-

-

-من أين جئت بهذا السلاح ؟

-سرقته من المتحف الزراعي ، رحلة مدرسية في المرحلة الإعدادية ، حافظ عليه فإنه يمثل لي إحدى ذكريات الصبا.

تفحصته مجددا في محاولة يائسة لتبين العلاقة بين الزرا
بين ذلك الشيء البغيض ، لكن شيئا ما كان يشغل تفكيري في
ذلك الوقت ، شيء قد يجعل الوضع أكثر تعقيدا مما هو عليه...

-
-
-
لدي مشكلة هنا.

-حمامات المسجد مغلقة الآن ، يجدر بك أن تتماسك قليلا مثلي

....

-ليس هذا ما أقصده ، لدي ما هو أسوأ.

مستنقها فأجبنه سريعا قبل أن تتلاعب برأسه

...

-لا أعرف أحداً من هذا الشارع سواك ، سيكون من الصعب أن
أتبين العدو من الصديق ، أنعشم أن تلتمس لي العذر لدي أهل
المنطقة إذا ما أطاحت يدي بأحدهم ، أنت تعرفهم أكثر مني.

يعطيني سكيناً صغيرة...

-هل هذه أقصى مشاكلك سواء ؟

-

- هل أنت متأكد ؟

...

كان حماسة شبه مقيم دائم في ميدان التحرير ، و لطالما دعاني للذهاب معه و لكني كنت أرفض ، فقط بعد بأس بها صارت حالتي تسمح بالذهاب لميدان التحرير ، كنت شبه مغيب تماماً عما يحدث بالبلاد ، حتي التلفزيون لا أفتحه ، حتي اتصالات سمر أتجاهلها تماماً...

و لكني اكتشفت أن الميدان صار عالم آخر مستقل بذاته ، عالم ليك تركه بعد ذلك ، الغريب أنني لم أختبر مشاعر الوطنية بداخلي من قبل ، فلطالما اعتبرتها مزحة ، و لطالما كانت فكرة حب مصر نكتة سخيفة بالنسبة لي ، أما الآن فإنني أراها كل شئ ، و أهم من

...

كان الأمر يسير علي نحو مطمئن في البداية ، ما بين اشتباكات د الأمن البغيض أو اشتباكات بين الثوار ذاتهم نتيجة اختلاف علي رأي ما أو اتجاه ما ، لكن كل هذا كان يمر بسلام ، و كنا ندرك أنه سيمر بسلام...

و لكن بعد حوالي يومين من الحياة في الميدان حدثت بطلقة مطاطية سببت لي ألماً بالغاً لم أكن

أتصوره مما أضطرنني للتراجع في الصفوف الخلفية حيث

...

أرقدني أحدهم علي الأسفلت محاولاً تهدئتي و لكن الألم لم

قليلاً من آلامي بل و جعلتني أذهب في سبا

...

و حين استيقظت ثانية شعرت بمن يربط ساقي برباط ضاغط أو
شئ كهذا ، و حين رفعت رأسي لأري لم أحد ذات الطبيب الذي

...

-أخبرتكَ أنكِ ستكونين أجمل في الحجاب.

...

-هذا رداء الراهبات و ليس بحجاب.

-حقاً ؟ هل صرتِ فجأة متعصبة نحو الحجاب ؟ الحجاب مفروض
في المسيحية أيضاً لو كنتِ لا تعلمين.

...

-

-

-

-

- أعلم أن الألم بالغ ، ذلك الرصاص المطاطي ليس بمطاطي ،
رصاص فولاذي مغطي بالمطاط فحسب ، و هذا لا يخفف
من ضررها.

- إلي مصابون آخرون ، هل تظن أنك المصاب الوحيد هنا ؟
نهضت في صعوبة قائلاً...

- لا ، ستأتين معي ، لا مزيد من الرهينة.
شقت طريقها وسط الزحام و

هل تريد مني ترك الدير ؟

قلت بينما أسير خلفها متعرجاً...

هنا التفتت نحوي قائلة بابتسامة طفولية...

فقط قالتها و انطلقت تجري وسط الزحام بردائها ، كانت اللعينة
تجري بسهولة دون مشاكل بينما كانت قدمي تصرخ مع
خطوة أخطوها ، و شيئاً فشيئاً تاهت مني وسط الزحام و

ظللت أتلفت حولي محاولاً إيجادها دون جدوي ، حاولت الصعود فوق مكان عال لرؤيتها بوضوح قبل أن أسمع أحدهم يقول من

...

-رائع ، لا ينقصك سوي العصا و الفايكودين لتصير نسخة أخرى
هاوس.

- تفعلين هنا ؟

-احاول الوصول إليك منذ أسبوعين دون جدوي ، سأخضم من
مرتبك الكثير ، الكثير للغاية.

-صدقاً ، هل ترين الوقت مناسباً لكتابة الروايات العاطفية ؟

-لم يكن أمامنا سوي بضع صفحات أيها الوغد ، و فجأة تترك كل

-ك ، إن بضع صفحات ليست

بالشئ الكبير.

-و قد كان ، لقد قمت فعلاً بتسليم الكتاب أمس لدار النشر.

-إذن لماذا أنت هنا الآن ؟

-ليس من أجلك بالتأكيد.

بعد ذلك بفترة عاودتني الأحلام مجدداً و لكن ليس بالكثافة
المعهودة ، و حينها و

مشاعر الذنب ، و بصعوبة أرسلتها لسمر كي تتولي أمرها
بمعرفتها...

لكن الأمر لم يكن بتلك السهولة حقاً ، فحتي بعد مغادرة الفتاة

قررت بعدها اتخاذ أمر جاد بشأن هذا ، العثور ...

ذهبت لمدام موربان عازماً النية علي معرفة الدير الذي تقيم به
أوديت ، لم أكن أعلم ما وجه استفادتي من العثور عليها لكنني
شعرت أنها حتماً تملك الحل لمعاناتي...

هكذا بمجرد دخولي لمكتب مدام موربان نظرت لي في فزع ،
ولا ألومها فقد كان وجهي حينها يثير أسوأ الشبهات...

-

-

-و أين ذلك الدير الذي تقوم فيه بهذا الهراء.

-إحفظ لسانك يا فتى حين تتحدث عن الروح المقدسة.

-هل حقاً أنت متعلمة ؟ هل حقاً أنت مقتنعة بما تقولين ؟

-

-

- ما سببته لها.

-أنا بالفعل أحلم ، و تلك هي مأساتي...

-لا مشكلة سأذهب لأبيها و أعرف منه كل شئ.

-أبيها لا يعلم شئ عن علاقتك بها من الأساس ، أبيها لا يعلم

صرخت فيها قائلاً...

-إذن أخبريني أين هي .

-لماذا ؟ ما الذي ستفعله بها ثانية ؟

شيئاً قبل أن أجد بعض الفتية العاملين
يقيدونني من ظهري ، و بعد قليل وجدت نفسي ملقي في

...

و حين قمت بصعوبة وجدت المارة ينظرون لي نظرات لا أدري
أهي أسي أم فضول أم احتقار ، لكنني سرت مبتعداً علي كل

...

راودني حنين جارف للجلوس في (بعزق كافيه) ، كان خالياً
تقريباً إلا من زبائن الصباح المعتادون ، و لم يكن صوت فيروز
يملأ المكان كالعادة ، فقط التلفاز مفتوح يث أحداث ميدان
التحرير دونما انقطاع ، و الجميع أنظاره إما متعلقة بالتلفاز أو

...

أوعى تنسيني ، أوعى تنسيني ، و (تذكرني حنا السكران)...

(9)

- بعد حوالي ثلاثة أسابيع قابلت طارق في بينوس كافيه...
- لا عليك ، يوماً ما ستجد أوديت مرة ثانية.
- وجدتتها مرة أولي كي أجدها ثانية ، ربما كنت أهلوس حينها.
- حتي لو كنت تهلوس فهذا دليل علي أنك مازلت تحبها.
- هل تعلمين ؟ في مواقف كهذه يقولون (هي أفضل).
- هراء ، لو كنت تحبها حقاً فلن تري ابداً من هي أفضل منها.
- مط شفغتيه قائلاً...
-
- ساد صمت للحظات حاولت علي إثره تغيير مسار الموضوع...
- بالمناسبة ، الآن فقط وجدت تفسيراً لما فعلته بمعرض أحمد سامي ، لقد كنت تقصد ذلك التمثال تحديداً دون غيره.
- ذلك التمثال حتي لا يشبهني.
-
- بتدميره.

-المتوسط الحسابي لوجه سكان القاهرة ، محاولة فاشلة
منه لدمج الفن و العلم معاً ، إن كل من ينظر لهذا الوجه سيظن

-بل كان يقوم بتأمين نفسه فحسب ، بالضبط كما فعلت
الدكتورة هدي ، فقط هو استخدم معي أسلوباً مضاداً ،
أوهمني أنه يقدر صداقتي لأنه يعرف جانبي الجيد كي يجبرني
علي التعامل معه فعلياً علي هذا النحو ، إنها ألعيب نفسية
أفهمها جيداً.

-الحق يقال ، حين يصبح الإنسان مسئولاً فيجب عليه الإبتعاد
عنك بشتي الطرق ، أنت لست سوي مدينة ملاهي نفسية
لأي شخص بداخله فراغ ما ، و حين يمتلئ ذلك الفراغ بحياة
حقيقية فعليه إذن أن....

-شكراً علي مساهمتك البناة في جعل حياتي أكثر بؤساً.

رفعت كأسّي لأعلي قليلاً بمعني () ...)

-نعم ، هذه هي النهاية ، لقد قررنا بعد ذلك كتابة المذكرات و
منذ حينها لم يحدث شئ جديد.

- هذه ليست بنهاية ، لابد أن يجد القارئ نهاية مرضية .

-تقصدين نهاية درامية أليس كذلك ؟

-بلي ، و إجابة عن أشياء كثيرة انتظرت منك الإجابة عليها ، مثلاً
يكى السيدة موريان في تلك الليلة ؟ لماذا أحمد
سامي رجل مهذب إلي هذه الدرجة ؟

-علي الناس أن تدرك أنه ليس بالضرورة أن تنتهي كل الروايات
بموت البطل أو بزواج الأمير و الأميرة ، أحياناً تكون النهاية هي
أن الحياة تستمر فحسب ، بحلوها و مرها ، و ليس بالضرورة

-هذه سخافة .

-صدقيني ، أكثر النهايات واقعية هي تلك التي تستمر فيها
الحياة رغم كل ما مر به الأبطال .

-فليسترها الله معي ، أنا أحازف بنشر ذلك الكتاب حقاً .

نهض من مقعده قائلاً...

-تنشريه أو لا تنشريه ، هذا الأمر خاص بك وحدك ، مع

- فغرت فاهي لثوان ثم ابتسمت في رضا قائلة...

...
-
الشيء الذي أنا متأكدة منه ، أن طارق ليس وغداً خالصاً ، بل هو يغلف نفسه بذلك الرداء حماية لذاته من شيء ما ، أو إخفاء ههنا ، المهم أنه لا يترك فرصة لأحد أن يدرك تفاصيل شخصيته ولو للحظة واحدة...

في ظروف أخرى لم أكن لأرضي بتلك النهاية ، لكن الحقيقة التي لا بد لي من الإعتراف بها ، و بعيداً عن أصول كتابة الرواية التي عهدتها ، أنه ليس شرطاً أن يتغير الأبطال في النهاية ، ليس شرطاً أن يصبح الوعد مهذباً فقط لأنه مر ببعض المواقف المحورية في حياته ، هناك تلك العيوب التي نتجاهل إصلاحها و كأنها توائم حظ ، لا أحد يحب فقدان سر تميزه الوحيد مهما بدا تافها...

الآن صوت فيروز يغمر المقهي ، ليتك انتظرت قليلاً يا طارق...

التواصل مع الكاتب



facebook.com/notes.of.psycho



twitter.com/elmostafz



notes-of-psycho.blogspot.com

إنها رواية أخرى عن القرارات الجنونية التي نتخذها كل حين
وآخر ، عن مشاعرنا حين ننحرف ورائها ، عن ذلك الشعور
الغير مبرر بأن ذلك الخطأ الأكثر فداحة في حياتك هو الحل
الأمثل لمأاماتك

عن النار حين توقع لسبب ما أن الماء يهيميرا من الانطفاء
عن راجح داود حينما اعتقد لسبب ما أن دفء العود سيكون
رائعا اذا احتضنته موسيقى جنائزية باردة

حشيشة نصير